المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

علمية محكمة

العدد الأول
محرم ١٤٢٩هـ

https://dawa.center

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

علمية محكمة

العدد الأول

محرم ١٤٢٩هـ

المشروع الدعوي القومي
Osoul Center For Studies

ردمد: ١٦٥٨ ـ ٣٨٨٤ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

https://dawa.center

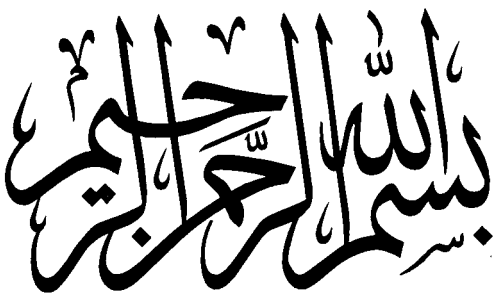
بسم الله الرحمن الرحيم

المشـــرف العـــام

أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ. د. سليمـــان بن قاســم العيـد

أعضاء التحرير

أ. د. حمـــد بن ناصـــر العمـــار

أ. د خالد بن عبد الرحمن القريشي

د. إبراهيـم بن صالـــح الحميـــدان

د. خالـــد بن راشـــــد العبـــدان

أمـين المجلـــة

وليـد بن عبد الله العثمـــان

بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.

٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغة العربية بحدود (٢٥٠) كلمة.

٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4) .

٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Microsoft Word) متوافق مع الإصدارات الحديثة.

٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (١٢×٢٠) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.

خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.

سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، أو إرساله عبر البريد الإلكتروني.

سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلات من بحثه الذي تم نشره.

تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

المراســـلات:

تتم المراسلات باسم رئيس تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ –الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢- ١- ٠٠٩٦٦

موقع الجمعية الإلكتروني:

http://www.imamu.edu.sa/dawastud/index.htm

https://dawa.center

الفهـــــرس

المقدمـــة ٩

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية ١٢

د. سليمان بن عبدالله الحبس

مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى ١٠٠

أ. د. خالد بن عبدالرحمن القريشي

دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها ١٣٢

د. علي بن أحمد الأحمد

المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم ٢٤٠

د. عبدالله بن محمد المجلي

المؤسسات الوقفية الخاصة وأثرها في دعم البرامج الدعوية ٢٧٩

د. عبدالله بن محمد المطوع

علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضبط الحريات ٢٣٤

د. خالد بن حسن العبري

الدعوة بين الأخـــوة ٤٠٠

د. الجوهرة بنت محمد العمراني

قواعـد النشـــر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

١- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.

٢- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.

٣- أن تتحقق له السلامة اللغوية.

٤- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.

٥- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.

٦- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.

٧- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.

٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف الديلمي ط١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً

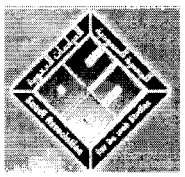

المقـــــدمة

رئيس التحرير

أ. د. سليمـان بن قـاسـم العيـد

المقدمـــة

الحمـــد لله القائـــل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [1]. وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بعثه الله بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ... **أما بعد:**

فإنه من توفيق الله سبحانه وتعالى أن يسر للجمعية السعودية للدراسات الدعوية إصدار العدد الأول من مجلة **(الدراسات الدعوية)** هذه المجلة العلمية المحكمة والتي أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها نبراساً في طريق الدعوة إلى الله تعالى، لما ينشر فيها من الأبحاث والدراسات العلمية من نتاج المتخصصين في الدعوة والمهتمين بها.

وهذه المجلة إحدى أنشطة الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، وتعنى بالأبحاث المتخصصة في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك من أجل السير بهذه المهمة الشريفة (الدعوة إلى الله) وفق المنهج القويم اقتداءً برسول الله ﷺ الذي أمره ربه سبحانه ببيان منهجه في الدعوة إلى الله بقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [2].

ولا شك أن الدعوة إلى الله وبخاصة في هذا الزمان بحاجة إلى الدراسات العلمية الجادة التي تبين المنهج الصحيح والوسائل والأساليب المناسبة في وقت تغير فيه الكثير من وسائل الحياة بدخول التقنيات

---

(١) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

المعاصرة في أمور كثيرة من حياة البشر.

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه المجلة الفتيّة داعماً قوياً في مسيرة الدعوة إلى الله مع تلك الجهود المبذولة في الرقي بهذه المهنة الشريفة ورفعة أهلها الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [1]. وقال رسول الله ﷺ عن أجر عملهم: (**لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) رواه البخاري.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رئيس التحرير

أ. د. سليمان بن قاسم العيد

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٣.

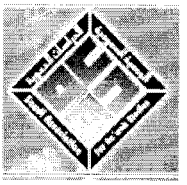

البحث رقم ١

سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية

إعداد

د. سليمان بن عبدالله الحبس

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

سلامة الصدر ، وطهارة القلب ، من الغل ، و الحقد ، و الحسد صفة عظيمة ، وخلق كريم ، أثنى الله تبارك و تعالى في كتابه الكريم على من اتصف بها ، و لهذا كان النبي صلى الله عليه و سلم كثيراً ما يدعو ربه عز وجل ويسأله أن يسلل الحقد من قلبه ونفسه.

إذا فحري بكل مسلم فضلاً عن الداعية إلى الله تعالى من أن يحرص على التحلي بسلامة الصدر ، و طهارة القلب ، لينعم بعظيم الأجر وجزيل الثواب في الدنيا و الآخرة.

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث و خاتمة.

تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم سلامة الصدر وفضلها في مطلبين اثنين.

أما المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن أبرز الأسباب المعينة على سلامة الصدر كحسن الصلة بالله تعالى ، ثم حسن التعامل مع الآخرين ، وإحسان الظن بالمسلمين و العفو و الصفح عن الناس ، و الدعاء لهم إضافة إلى تعاهد القلب و إصلاحه من الآفات المهلكة و جاء كل ذلك من خلال ستة مطالب.

وفي المبحث الثالث تطرقت إلى الحديث عن أثر سلامة الصدر في حياة الداعية ، و اشتمل المطلب الأول على الحديث عن ابرز الآثار النفسية و الاجتماعية الحسنة التي يحظى بها الداعية إذا ما كان سليم الصدر.

أما المطلب الثاني فاشتمل على الحديث عن أهم الآثار الدعوية البناءة التي تنعكس على الدعوة و الداعية متى ما كان الداعية سليم الصدر.

وفي الخاتمة حاولت إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث ثم تطرقت إلى الحديث عن عدد من التوصيات و المقترحات التي من شأنها نشر هذه الصفة الحسنة والإفادة منها بما يعود بالخير العميم والنفع العظيم على الدعوة و الدعاة بإذن الله ومنّه و كرمه.

المقدمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، واستنَّ بسنته واهتدى بهداه... أما بعد:

فقد أثنى الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم على من اتصف بسلامة الصدر، وطهارة القلب، وكان من أبرز هؤلاء نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث وصفه الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ ﴾[1].

وكان من دعاء عباد الله المؤمنين أن يُسلِّم الله قلوبهم من الغلِّ والحقد والحسد لإخوانهم المؤمنين، وأثنى عليهم ربهم عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾[2].

ولهذا كان النبي ﷺ يدعو ربه ويسأله عز وجل بقوله: «واسلل سخيمة[3] قلبي»[4].

---

(١) سورة الصافات الآيتان: ٨٣-٨٤.

(٢) سورة الحشر الآية: ١٠.

(٣) السخيمة: الحقد في القلب والنفس. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٢/٣٥١، مادة (سخم).

(٤) سنن أبي داود: كتاب الوتر، باب ما يقول إذا سلّم، ص٢٢٣، رقم الحديث «١٥١٠». وصححه =

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «وأيُّ لذة في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الربِّ تبارك وتعالى ومحبته، والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم»[1].

إذاً فسلامة الصدر، وطهارة القلب، من الصفات الحسنة التي ينبغي لكل مسلم الحرص عليها، والتخلُّقُ بها.

ويمكن أن تتضح أهمية هذا الموضوع، والأسباب الداعية إلى الحديث عنه -إضافة إلى ما تقدم - من خلال الأمور التالية:

١- فضل سلامة الصدر وعظم أجرها وثوابها، فسليم الصدر في الدنيا من خير الناس، وأفضلهم عملاً، ومن الآخرة هو من أهل الجنة - بإذن الله ورحمته - كما دلَّت على ذلك الآيات الكريمة، والأحاديث الصحيحة الصريحة.

٢- التعرف على أهم الأسباب المعينة على سلامة الصدر، سواء ما يتعلَّق منها بأعمال القلوب وأحوالها، أو الأمور المتعلقة بالسلوك والجوارح.

٣- وقوع عدد من المسلمين - فضلاً عن بعض طلبة العلم والدعاة - في أعراض بعضهم ببعض، وانتقاص كل منهم الآخر إمَّا بسبب خلاف في مسائل علمية، أو دعوية، أو تنافس على عرض من أعراض الدنيا الزائلة، ولو سَلِمَتِ الصدور، وطهرت القلوب ما بلغوا هذا الحدّ من القطيعة والتنافر فيما بينهم.

=

الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤١٤/١.

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم: ص٨٤.

٤- أنّ لسلامة صدر المسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص، العديد من الفوائد والثمرات التي تعود بالنفع العظيم، والخير الكثير على الدعوة والدعاة، الأمر الذي يؤدي -بإذن الله تعالى- إلى نهوض الدعوة، والإعلاء من شأنها داخل المجتمع الإسلامي وخارجه.

لذلك كله رَغِبْتُ في بحث هذا الموضوع والحديث عنه تحت عنوان:

«سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية»

وقد قسّمْتُ هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وهي على النحو التالي:

- المقدمة : وتضمنت أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث التفصيلية.
- المبحث الأول:سلامة الصدر مفهومها وفضلها، واشتمل على مطلبين:
  - المطلب الأول: مفهوم سلامة الصدر.
  - المطلب الثاني: فضل سلامة الصدر.
- المبحث الثاني: أسباب سلامة الصدر، واشتمل على ستة مطالب:
  - المطلب الأول: حسن الصلة بالله تعالى.
  - المطلب الثاني: حسن التعامل مع الآخرين.
  - المطلب الثالث: إحسان الظن بالمسلمين.
  - المطلب الرابع: العفو والصفح عن الناس.
  - المطلب الخامس: الدعاء.
  - المطلب السادس: تعاهد القلب وإصلاحه من الآفات المهلكة.

- المبحث الثالث: أثر سلامة الصدر في حياة الداعية، واشتمل على مطلبين:
  - المطلب الأول: الأثر النفسي والاجتماعي لسلامة صدر الداعية.
  - المطلب الثاني: الأثر الدعوي لسلامة صدر الداعية.
- الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث ، وأهم توصيات الباحث ومقترحاته.

هذا وقد بَذلْتُ وسعي وجهدي في جميع مراحل البحث لكي يخرج هذا العمل المتواضع على أكمل وجه وأحسن حال، فإن وُفِّقتُ وأدركْتُ الصواب فذلك من توفيق الله عز وجل لعبده الضعيف، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان راجياً من العلي الرحمن والكريم المنان العفو والصفح والغفران.

المؤلف

المبحث الأول

« سلامة الصدر : مفهومها وفضلها »

كثيراً ما يسمع المرء أن فلاناً من الناس سليم الصدر، وحينما يقرأ أيضاً في الكتب ولاسيما للمتقدمين يجدهم يذكرون في فضائل فلان أنه كان يتصف بسلامة الصدر.

فما المراد بسلامة الصدر؟ وما حقيقتها؟ وهل هي من الأمور والصفات الوهبية التي فطر الله الناس عليها؟ أم أنها صفة يمكن للإنسان أن يكتسبها ويتحلّى بها من خلال مجاهدته لنفسه؟ ولاسيما إذا أدرك فضلها، وعظم ثوابها، وتعددت ثمراتها.

وفي هذا المبحث سأتحدث – بعون الله تعالى – عن هذا الأمر من خلال المطلبين التاليين:

- **المطلب الأول : مفهوم سلامة الصدر.**
- **المطلب الثاني : فضل سلامة الصدر.**

المطلب الأول

«مفهوم سلامة الصدر»

للوقوف على مفهوم سلامة الصدر، وبيان المراد منها يحسن أن نُعرِّفَ بالكلمتين التاليتين:

١- سلامة.

٢- الصدر.

١- سلامة:

السَّلامة في اللغة:

يقال: سَلِمَ يَسْلَمُ سَلاَماً وسَلاَمةً، ومنه قيل للجنة: ﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[١]؛ لأنها دار السلامة من الآفات، والسلام والسلامة: البراءة.

وتَسلّمَ منه: تبرأ. وقال ابن الأعرابي: السلامة العافية. ورجل سليم: سالم والجمع سُلَماءُ. وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢] أي: سليم من الكفر. وسلَّمه الله من الأمر: وقاه إيَّاه. والسليم: اللديغ كأنَّهم تفاءلوا له بالسلامة. وقيل: لأنه أُسلم لما به[٣].

---

(١) الأنعام، جزء من الآية: ١٢٧، يونس، جزء من الآية: ٢٥.

(٢) الشعراء، الآية: ٨٩.

(٣) مختار الصحاح للرازي: ص٣١١، ولسان العرب لابن منظور: ٢٨٩/١٢-٢٩٢، مادة (سلم).

السلامة في الاصطلاح:

هي التخلص والتعرِّي من الآفات الظاهرة والباطنة.

قال العلاَّمة الراغب الأصفهاني رحمه الله: ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1] أي: متعرٍّ من الدَّغَل[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: « والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغلِّ والحسد والشُّحِّ والكبر، وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده من الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبره، ومن كل قاطع يقطع عن الله »[3].

وقال العلاَّمة القاسمي رحمه الله وهو يتحدث عن القلب السليم: أي أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب، باق على الفطرة، سليم عن النقائص والآفات»[4].

٢- الصَّـــدْر:

الصَّدر في اللغة:

قال ابن منظور: الصَّدر أعلى مقدَّم كل شيء وأوّله حتى إنّهم يقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف.

وصَدْر الأمر: أوَّله. وصَدْر كل شيء: أوّله. وكل ما واجهك: صَدْر.

---

(١) الصافات، جزء من الآية: ٨٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني: ص٢٣٩، والدَّغل: هو من قولهم: أدغلتُ في هذا الأمر إذا أدخلت فيه ما يفسده. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٢٣/٢ مادة (دغل).

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم: ص١٨١.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي: ٥٠٤٥/١٤.

وصَدْر الإنسان منه مذكر وجمعه صدور.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[1]، والقلب لا يكون إلاّ في الصَّدر إنما جرى هذا على التوكيد.

ورجل أصْدَر: عظيم الصَّدْر. ومُصدَّر: قوي الصّدر شديده[2].

وقال الجرجاني: الصَّدر: هو أوَّل جزء من المصراع الأول في البيت[3].

الصَّدر في الاصطلاح:

الصدر في الاصطلاح يطلق على القلب والفؤاد فإذا قيل: فلان سليم الصدر أي: سليم القلب.

قال عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[4] أي: يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به»[5].

وقال العلامة العظيم آبادي رحمه الله في عون المعبود عند شرح لفظة «سليم الصدر» في قول النبي ﷺ: « لا يُبْلِغْني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أُحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[6]. قال ابن المالك:

---

(١) الحج جزء من الآية: ٤٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٤/٤٤٥-٤٤٧ مادة (صدر).

(٣) التعريفات للجرجاني: ص١٧٣.

(٤) الأنعام جزء من الآية: ١٢٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/١٧٤.

(٦) مسند الإمام أحمد: ١/٣٩٦، وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٣٧٥٩)، وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، ص٦٨٦، رقم الحديث «٤٨٦٠».

والمعنى أنه ﷺ يتمنى أن يخرج من الدنيا وقلبه راضٍ عن أصحابه من غير سخط على أحد منهم»[1].

ويرى بعض العلماء أنّه يمكن أن يطلق على صاحب الصدر السليم: الأبْلَه. قال العلامة البهوتي رحمه الله: « ويقال الأبله أيضاً لمن غلبت عليه سلامة الصدر. وفي الحديث «أكثر أهل الجنة البُلْه»[2]. قال الجوهري: يعني البُلْه في أمر الدنيا لقلّة اهتمامهم بها وهم أكياس في أمر الآخرة»[3].

وقال العلامة المناوي رحمه الله: «البُلْه بضم فسكون أي: الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير الذين خلوا عن الدهماء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدر وهم عقلاء»[4].

أما الإمام ابن القيم رحمه الله فيرى أن هناك فرقاً بين سلامة الصدر والبُلْه حيث يقول: «والفرق بين سلامة القلب والبُلْه والتَّغفل هو أنَّ سلامة القلب تكون من عدم إرادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من إرادته وقصده لا من معرفته والعلم به، وهذا بخلاف البله والغفلة فإنها جهل وقلّة معرفة وهذا لا يُحمد ؛ إذ هو نقص وإنما يَحمد الناس من هو كذلك لسلامتهم منه والكمال أن يكون القلب عارفاً بتفاصيل الشر سليماً من إرادته. قال عمر بن الخطاب ﷺ: لست بِخَبٍّ ولا يخدعني الخَبُّ. وكان

---

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي: ١٤٢/١٣.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ٧٩/٨ وقال رحمه الله: «رواه البزار وفيه سلامة بن روح وثقة ابن حبان وضعفه غير واحد».

(٣) كشاف القناع للبهوتي: ٢٢٤/١.

(٤) فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي: ٧٩/٢.

عمر أعقل من أن يُخدع وأورع من أن يَخدع»[1].

فسلامة الصدر إذاً خصلة حميدة، وصفة جليلة ينبغي لكل مسلم الحرص على التحلّي والتخلُّقِ بها إذ هي من الصفات التي يمكن اكتسابها من خلال مجاهدة النفس ومكابدتها. وقد قال ﷺ موضحاً إمكانية اكتساب المرء الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة حتى ولو لم يكن قد فُطر عليها ووهب إياها منذ ولادته. «إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتق الشر يُوقه»[2].

فكما يمكن للمرء اكتساب العلم والحلم كذلك يمكنه اكتساب سلامة الصدر وطهارة القلب ونقائه.

(١) الروح لابن القيم: ص٢٤٣- ص٢٤٤.

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: ١١٨/٣، رقم الحديث «٢٦٦٣» وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٤٦١/١، رقم الحديث «٢٣٢٨».

المطلب الثاني

« فضل سلامة الصدر »

سلامة الصدر نعمة عظيمة يمنُّ الله عز وجل بها على من يشاء من عباده؛ لينعموا بها في الدنيا، ويسعدوا بها في الآخرة إذ أن من صفات أهل الجنة – حين يدخلونها – سلامة الصدر وخلوها من الأحقاد والأضغان كما قال جل وعلا: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1].

وقال ﷺ: في صفة أول زمرة تدخل الجنة: «لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد»[2].

وفي رواية عند الإمام البخاري رحمه الله: «قلوبهم على قلب رجل واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد»[3].

ولكي ينال المسلم هذا الفضل العظيم، والثواب الجزيل جاء الإسلام بالترغيب في سلامة الصدر والحث عليه.

---

(١) الحجر، الآية: ٤٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الجنة ونعيمها، باب في صفات الجنة وأهلها، ص١٢٣٢، رقم الحديث «٧١٥١».

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ص٥٤٢، رقم الحديث «٣٢٥٤».

وفي هذا المطلب سأتحدث – إن شاء الله تعالى – عن هذا الأمر من خلال النقاط التالية:

أولاً: الحث على سلامة الصدر.

ثانياً: عظم ثواب صاحب الصدر السليم.

ثالثاً: سلامة صدر النبي ﷺ.

رابعاً: سلامة صدور الصحابة ﷺ.

أولاً: الحث على سلامة الصدر:

الإسلام دين المحبة والألفة والإخاء والمودة؛ ولهذا كثيراً ما نقرأ في كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ما يحث على ذلك ويرغب فيه، كقول الله عز وجل:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فإذا كان المؤمنون إخوة أمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها وهذا من ذلك، وأيضاً فإن الأخ من شأنه أن يوصل لأخيه النفع ويكفَّ عنه الضرر وهذا من أعظم الضرر الذي يجب كفه عن الأخ المسلم»[2].

ومما يرغب في الأخوة والمودة قوله تعالى:﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا

(١) الحجرات جزء من الآية: ١٠.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٩١.

مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾[1].

ويقول النبي ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[2].

قال الإمام النووي رحمه الله: «السلام أوَّل التألُّف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكن أُلفة المسلمين بعضهم لبعض»[3].

وروى الإمام أبو داود رحمه الله في سننه عن قتادة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم – أو ضمضم، شك الراوي، كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك»[4].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر هذا الحديث: «وفي هذا الجود من سلامة الصدر، وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه»[5].

ولإدراك الصحابة ﷺ وتأثرهم بما جاء في الكتاب والسُّنَّةِ من الحث على سلامة الصدر والترغيب فيه نجدهم يحبون من يتصف بهذه الصفة ويجلُّونه فقد قال عنهم إياس ابن معاوية رحمة الله: «كان أفضلهم عندهم

---

(١) سورة الإسراء الآية: ٥٣.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، ص٤٤، رقم الحديث «١٩٤».

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٧/١.

(٤) سنن أبي داود: كتاب الأدب، باب ما جاء في الرجل يحل الرجل قد اغتابه، ص٦٨٩، رقم الحديث (٤٨٨٦)، وقال عنه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ١٩٩/٣: (صحيح مقطوع).

(٥) مدارج السالكين لابن القيم: ٢٩٥/٢.

أسلمهم صدراً وأقلهم غيبة»[1].

وقال السقطي رحمه الله: «من أجلّ أخلاق الأبرار سلامة الصدر للإخوان والنصيحة لهم»[2].

ثانياً: عظم ثواب صاحب الصدر السليم:

لحسن فعل صاحب الصدر السليم، ونبل خلقه كان جزاؤه عند الله عظيماً، فهو في الإسلام يُعدّ من خير الناس وأفضلهم في الحياة الدنيا.

أما في الآخرة فهو من المبشرين بالجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومما يدلّ على ذلك ما رواه الإمام ابن ماجة – رحمه الله –عن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أنه قال: «قيل لرسول ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب[3]، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غلّ[4] ولا حسد»[5].

فمتى ما كان قلب المرء خالياً ونظيفاً من هذه الآفات التي تكدِّره نال الشرف والخيرية ؛ فأصبح أفضل الناس كما ثبت ذلك في قول الصادق

---

(١) مكارم الأخلاق للطبراني: ٨٤/١.

(٢) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة لأبي البركات الغزي: ص١٤.

(٣) مخموم القلب: قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: ٨١/٢، مادة (خمم): هو من خممت البيت إذا كنسته» والمراد نظيف القلب.

(٤) غلّ: الغلُّ هو الحقد والشحناء والمعنى: أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٨١/٣ مادة (غلل).

(٥) سنن ابن ماجة: أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، ص٦١٤، رقم الحديث (٤٢١٦) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٣٧٣/٣.

المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

أمّا في الآخرة دار الجزاء فقد بشرَّه الحبيب ﷺ بدار السلام والنعيم الذي لا يزول حيث روى الإمام أحمد – رحمه الله – عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: «كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلع رجل من الأنصار، تنطف لحيتهُ من وضوئه، قد تعلَّق نعليه في يده الشمال، فلما كان من الغدُ، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرَّة الأولى، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلمّا قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لا حَيْتُ أبي، فأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني حتى تمضي، فعلتُ. قال: نعم. قال أنس: وكان عبدالله يُحدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقومُ من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعارَّ[1] وتقلَّب على فراشه ذكر الله عز وجل، وكبَّر، حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبدالله: غير أنّي لم أسمعه يقولُ إلاّ خيراً، فلما مضت الثلاث ليال، وكِدتُ أن أحقِرَ عمله، قلت: يا عبدالله، إني لم يكُنْ بيني وبين أبي غضب ولا هجرٌ ثَمَّ، ولكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول ثلاث مرارٍ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت الثلاث مِرارٍ، فأردت أنْ آوي إليك، لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرَكَ تعملُ كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلاّ ما رأيت.

---

(١) تعارّ: أي هبَّ من نومه واستيقظ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/١٩٠ مادة (تعر).

قال: فلمَّا وَلَّيْتُ دعاني، فقال: ما هو إلاّ ما رأيتَ غير أنيِّ لا أجدُ في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسدُ أحداً على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: هذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا نُطيق»[1].

فهذا الصحابي الجليل ﷺ لم يتميَّز عن غيره بكثرة صلاة أو صيام، بل الذي بلغ به ما بلغ سلامةُ صدْرِه، وطهارة قَلْبه ونقاؤه من الغش والحقد والحسد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فقول عبدالله بن عمرو له هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق يشير إلى خلوه وسلامته من جميع أنواع الحسد»[2].

فسلامة الصدر للمسلمين عمل جليل، وباب عظيم، موصل إلى الجنة بإذن الله تعالى. قال الشيخ قاسم الجوعي رحمه الله:

«أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر»[3].

ثالثاً: سلامة صدر النبي ﷺ :

رسول الله ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم عند الله عز وجل ومع ذلك كان ﷺ يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، هيناً ليِّناً، سهلاً سمحاً كيف لا، وهو ﷺ يحث على الاتصاف بهذه الأخلاق كما في قوله

---

(١) مسند الإمام أحمد: ١٢٤/٢٠ وقاله عنه المحققون: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧٩/٨: «رجال أحمد رجال الصحيح».

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١١٩/١٠.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٣٦/٤.

عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «حُرِّم على النار كُلُّ هيِّن ليِّن سهل قريب من الناس»[1].

والشواهد والأمثلة التي تدل على سلامة صدر النبي ﷺ ونقاء قلبه كثيرة ومتنوعة، مع القريب والبعيد، ومع العدو والصديق، وغيرهم من أنواع الناس وأصنافهم، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- ما رواه الشيخان عن عائشة – رضي الله عنها – في الحديث الطويل الذي بيَّن فيه ﷺ ما لقي من أذى ومشقة وتكذيب من أهل الطائف لمّا ذهب إليهم ليدعوهم إلى الإسلام فناداه ملك الجبال وقال له: يا محمد إنَّ الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت إن شئت أطبقتُ عليهم الأخشبين[2].

فقال له رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً»[3].

فلسلامة صدر النبي ﷺ وحسن خلقه لم يشأ أن ينتقم من هؤلاء الذي نَكَّلُوا به أشد التنكيل وأقساه.

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٤١٥/١، وقال عنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٦٠٠/١ «صحيح» رقم الحديث «٣١٣٥».

(٢) الأخشبين: قال ابن منظور " جبل أخشب: خشن عظيم. والأخشب من الجبال: الخشن الغليظ، والأخشب: كل جبل خشن غليظ. (لسان العرب لابن منظور: ٣٥٤/١، (مادة) (خشب).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء، ص٥٣٩، رقم الحديث «٣٢٣» صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين، ص٨٠٠، رقم الحديث «٤٦٥٣».

٢- وفي غزوةِ أُحد لما شُج وجه الرسول ﷺ، وكُسرت رباعيته، وسال الدم على وجهه الشريف، لم يفقد ﷺ سلامة الصدر تجاه من آذاه ونال منه؛ بل كان يقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله عن هذا الحديث: «كيف جمع في هذه الكلمات أربع مقامات من الإحسان، قابل إساءتهم العظيمة إليه. أحدها: عفوه عنهم، الثاني: استغفاره لهم، الثالث: اعتذاره عنهم بأنهم لا يعلمون، الرابع: استعطافه لهم بإضافتهم إليه فقال: اغفر لقومي. كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به: هذا ولدي، هذا غلامي، هذا صاحبي فهبه لي»[٢].

٣- وفي فتح مكة لمّا ظفر النبي ﷺ بقريش الذين - أخرجوه من مكة وآذوه بكل أنواع الإيذاء، وحاولوا قتله، في هذا اليوم - خاطبهم ﷺ وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكمه فقال: «يا معشر قريش ما ترون أنيِّ فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٣] اذهبوا فأنتم الطلقاء»[٤].

---

(١) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ١١٧/٦، باب غزوة أحد، وقال عنه الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٢) بدائع الفوائد لابن القيم: ٤٦٨/٢.

(٣) يوسف جزء من الآية: ٩٢.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٤١/٤، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم: ٤٠٨/٣.

فلم ينتقم منهم ﷺ حينما حانت له الفرصة بل أمّنهم ودعا لهم، على الرغم من أن الله – عز وجل– أنزل عليه يوم الفتح: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] فقال عليه الصلاة والسلام: «نصبر ولا نعاقب»[2].

فاختار ﷺ خَيْرَ الأَمْرينِ وهو الصبر والصفح عنهم وعدم العقوبة مما يدل على سلامة صدره ﷺ.

٤– ولما غزا رسول ﷺ الطائف وحاصرها فاستعصت عليه، وألحقت ثقيفُ الأذى بالنبي ﷺ وأصحابه حتى إنهم قالوا: يا رسول الله أَحْرَقَتْنا نبالُ ثقيف فادع الله عليهم. فقال ﷺ: «اللهم اهد ثقيفاً»[3].

فإذا كان هذا هَدْيَه ﷺ مع أعدائه الكفار من الصفح والحِلْمِ والدعاء لهم بالهداية التي تدلُّ كلها على سلامة صدره ونقاء قلبه، فكيف سيكون حاله إذاً مع إخوانه وأصحابه المؤمنين!!.

رابعاً: سلامة صدور الصحابة ﷺ:

وصف الله – عز وجل – أصحاب النبي ﷺ بالشدة على الكفار، وبالرحمة على المؤمنين فقال جل وعلا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ

---

(١) النحل: الآية ١٢٦.

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٥٣/٣٥، وقال عنه المحققون: «إسناده حسن».

(٣) جامع الترمذي: كتاب المناقب، باب في ثقيف وبني حنيفة، ص٨٨٦، رقم الحديث «٣٩٤٢»، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٩٨/٤.

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1]، ولاشك أن هذه الرحمة لا تكون إلاّ من صدر واسع سليم. قال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «رحماء بينهم: أي متحابون مُتراحمون متعاطفون كالجسد الواحد، يُحِبُّ أَحدُهم لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

وأثنى الله – تبارك وتعالى – على الأنصار؛ لحبهم لإخوانهم المهاجرين، وسلامة صدورهم تجاههم فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[3]. قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ أي: ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فَضَّلَهُم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة. قال الحسن البصري: ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً ﴾ يعني الحسد ﴿ مِّمَّآ أُوتُوا۟ ﴾ قال قتادة: يعني فيما أعطي إخوانهم»[4].

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله: «أي لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء الغِلِّ والحقد والحسد عنها»[5].

---

(١) الفتح جزء من الآية: ٢٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٧٩٥.

(٣) الحشر جزء من الآية: ٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٣٣٧.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٨٥١.

هذه تزكية على وجه العموم من الله عز وجل لهؤلاء الصحابة الأبرار تدل على سلامة صدورهم، وكفى بها فخراً وعزة وكرامة لهم في الدنيا والآخرة، أمّا على وجه الخصوص فهناك العديد من الأمثلة والشواهد التي تدل على سلامة صدور الصحابة ﷺ **أذكر نماذج منها فقط حرصاً على عدم الإطالة:**

١- ما رواه الإمام مسلم -رحمه الله- أن أبا سفيان بن حرب أتى -قبل إسلامه- على سلمان وصهيب وبلال ﷺ في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر ﷺ: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخيّ»[1].

فلسلامة صدر أبي بكر ﷺ رجع إليهم ليعتذر منهم إنْ بدر منه قول يغضبهم، على الرغم من أنَّهم كانوا أَرِقّاء وهو سيِّد من سادات قريش، وله منزلته ومكانته الخاصة عند النبي ﷺ.

ولسلامة صدر سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال بن رباح ﷺ حملوا قول أبي بكر ﷺ على أحسن المحامل فلم يُوغِروا صدورهم عليه؛ بل قاموا بالدعاء له، وإظهار روح المودة والإخاء بينهم وبينه.

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل سلمان وبلال وصهيب ﷺ، ص١١٠٢، رقم الحديث «٦٤١٢».

٢- قال زيد بن أسلم رحمه الله: دُخل على أبي دجانة الأنصاري[١] ﷺ وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل فقيل له: ما لوجهك يتهلَّل[٢]؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين: كنتُ لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً»[٣].

فأشار أبو دجانة ﷺ إلى أن من أفضل الأعمال التي كان يرجو ثوابها وبرها سلامة الصدر للمسلمين حتى إنه اعتقد أنَّ ما حصل له من وضاءة وحسن في الوجه كانت سلامة صدره من أحد أسباب ذلك.

٣- شتم رجل الصحابي الجليل عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما- فقال له ابن عباس: «إنك لتشتمني وفيَّ ثلاث خصال، إني لآتي على الآية من كتاب الله عز وجل، فلوددت أن جميع الناس يعلمون منها ما أعلم، وإني لأسمع بالحاكم من حُكَّام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلِّي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع أن الغيث قد أصاب بلداً من بلدان المسلمين فأفرح به ومالي من سائمة»[٤].

فلسلامة صدر ابن عباس - رضي الله عنهما - لم يقابل الإساءة بالإساءة بل بيَّن لهذا الرجل أن فيه العديد من الخصال الحميدة التي تدل

---

(١) اسمه سماك بن خرشة بن لوذان الساعدي الأنصاري ثبت يوم أحد وبايعه على الموت. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٤٣/١.

(٢) تهلَّل وجهه: أي استنار وظهرت عليه أمارات السرور. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٧٢/٥، مادة (هلل).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٤٣/١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني: ٢٦٦/١٠، رقم الحديث (١٠٦٢١)، صفة الصفوة لابن الجوزي: ٧٥٣/١.

على سلامة صدره، وحبه الخير للمسلمين، حتى ولو لم يعد عليه بنفع أو فائدة شخصية.

فهو ﷺ حَبْر الأمة وترجمان القرآن ومع ذلك يودُّ لو أنَّ كُلَّ مسلم كان مثله في العلم والفهم وبخاصة ما يتعلَّق بدستور المسلمين والمصدر الأول من مصادر التشريع لديهم، ويفرح إذا سمع بوجود قاضٍ عادلٍ يحكم بين المسلمين حتى ولو لم يجلس بين يديه للمقاضاة. ويفرح كذلك بأن يصيب بلاد المسلمين مطر ينبت الله به العشب لترعى منه ما شيتهم حتى ولو لم يكن له ماشية تستفيد من هذا المطر والعشب.

فهؤلاء هم أصحاب محمد ﷺ ولا عجب أن تكون هذه أخلاقهم فهم جيل تربيَّ في مدرسة النبوة التي تحث على الاتصاف بسلامة الصدر ونقائه.

قال سفيان بن دينار لأبي بشر رحمهما الله تعالى – وكان أبو بشر من أصحاب علي بن أبي طالب ﷺ– قال له: أخبرني عن أعمال من قبلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيراً ويؤجرون كثيراً. قال سفيان: ولم ذاك؟ قال أبو بشر: لسلامة صدورهم[1].

(١) الزهد لهناد بن السري الكوفي: ٢/٦٠٠.

المبحث الثاني

« أسباب سلامة الصدر »

تبيّن لنا في المبحث السابق فضل سلامة الصدر وعظم ثمرتها وثوابها في الدنيا والآخرة.

وحيث إن سلامة الصدر من الصفات التي يمكن للمرء اكتسابها والتحلي بها فلابد أن يكون هناك أسباب تعين المرء – بعد توفيق الله عزَّ وجلَّ له – ليكونَ سليم الصدر نقي القلب.

وفي هذا المبحث سأحاول – بعون الله وتوفيقه – الوقوف على أهم الأسباب المعينة على سلامة الصدر من خلال المطالب التالية:

- المطلب الأول: حُسْنُ الصلة بالله تعالى.
- المطلب الثاني: حُسْنُ التعامل مع الآخرين.
- المطلب الثالث: إحسان الظن بالمسلمين.
- المطلب الرابع: العفو والصفح عن الناس.
- المطلب الخامس: الدعاء.
- المطلب السادس: تعاهد القلب وإصلاحه من الآفات المهلكة.

المطلب الأول

« حُسْنُ الصلة بالله تعالى »

من أهم أسباب سلامة الصدر أن يكون المرء حَسَنَ الصلة بالله تعالى؛ ليستمد منه العون والتوفيق. ولحُسْنِ الصلة بالله عز وجل عدة مظاهر من أبرزها:

١- إخلاص النية لله تعالى في كل عمل يتقرَّب إلى الله عز وجل من خلاله:

فلا يرجو من وراء هذه الأعمال إلاّ رضاه، ولا يتطلَّع من خلالها إلى مكاسب شخصية، أو منافع دنيوية.

ولاشك أن هذا الإخلاص مما يعين المسلم على سلامة صدره ونقاء قلبه فقد قال ﷺ: «ثلاث لا يُغلُّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تُحيط من ورائهم»[(١)].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «فأخبر ﷺ أنَّ هذه الثلاث الخصال تنفي الغِلَّ عن قلب المسلم»[(٢)].

وعدَّد الإمام ابن القيم – رحمه الله – شروط سلامة القلب فقال: «ولا تتم له سلامته مطلقاً حتى يَسْلَمَ من خمسة أشياء: من شرك يناقض التوحيد، وبدعة تخالف السنة، وشهوة تخالف الأمر، وغفلة تناقض

---

(١) جامع الترمذي: أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ص٦٠٣، رقم الحديث «٢٦٥٨»، وصححه الألباني في صحيح الترمذي: ٦١/٣.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٨.

الذِّكر، وهوى يناقض التجريد والإخلاص»[1].

فلابد للمسلم -كي يسلم قلبه- من الإخلاص وعدم اتباع الهوى. قال الإمام عبدالرحمن بن مهدي البصري رحمه الله: «أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[2].

ولإخلاص الإمام الشافعي وعدم اهتمامه بثناء الناس عليه وإعجابهم به يقول رحمه الله: «وددتُ أن الناس تعلَّموا هذا الدين ولم يُنْسَبْ إليَّ شيء منه»[3]. فالمهم لديه أن يتعلم الناس أمور دينهم وليس أن يُشار إليه شخصياً بالبنان إعجاباً وإطراءً.

٢- رضا العبد عن ربه تبارك وتعالى:

ومن أبرز مظاهر حسن صلة المرء بالله تعالى أن يكون المرء راضياً عن كل أَمْرٍ أراده الله - عز وجل - وقدَّره سواء كان هذا الأمر متعلقا به أو بغيره من الناس، ولاشك أن اتصاف المرء بهذا الخصلة سبب من أسباب سلامة الصدر وطهارته.

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن الرضا: «إنه يفتح للعبد باب السلامة فيجعل قلبه نقياً من الغش والدغل والغل، ولا ينجو من عذاب الله إلاّ من أتى الله بقلب سليم، كذلك تستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا، وكلما كان العبد أشد رضاً كان قلبه أسلم، فالخبث والدَّغَل والغش؛ قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه: قرين الرضا،

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم: ص١٨١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية: ص٥٩.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص١٠٦.

وكذلك الحسد لهو من ثمرات السخط، وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا»[1].

فلا يجتمع إذاً في قلب العبد رضاً عن الله عز وجل وسخط وحقد وحسد لغيره من المسلمين. قال بعض الحكماء: «من رضي بقضاء الله تعالى لن يُسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد»[2].

ورضا العبد عن ربه – عزَّ وجل – هو في الحقيقة حب وتسليم وانقياد لقضاء الله وقدره. وعدم رضا العبد عن ربه يجعل المرء ضمن دائرة المعادين لله عز وجل المعترضين على قضائه وقدره.

يقوم الإمام ابن القيم رحمه الله: «الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله، فإنه يَكْرَهُ نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، وأحب زوالها عنه والله يكره ذلك فهو مضاد لله في قضائه وقدره، ومحبته وكراهته، ولذلك كان إبليس عدوه حقيقة؛ لأن ذنبه كان عن كِبْرٍ وحسد»[3].

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٢٠٧/٢.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٣٨١.

(٣) الفوائد لابن القيم: ص١٥٨.

المطلب الثاني

« حُسْنُ التعامل مع الآخرين »

من أسباب سلامة الصدر وصفائه أن يحسن المرء التعامل مع غيره من الناس. وصور إحسان التعامل متعددة ومتنوعة تشمل ما يلي:

١- الحرص على كسب ودِّ الآخرين ومحبتهم من خلال عدد من الوسائل والسبل المشروعة كالمبادرة بالسلام عليهم، وإهدائهم، والتصدق على المحتاج منهم ونحو ذلك.

وبخاصة أن الإسلام قد حث على هذه الأخلاق ورغَّب فيها كقول النبي ﷺ: «أَوَلاَ أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[(١)].

وقد قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «المصافحة تزيد في المودَّة»[(٢)].

وكقوله عليه الصلاة والسلام في الترغيب في الهدية: «تهادوا تحابوا»[(٣)]، وكقوله أيضاً ﷺ: « تهادوا ، فإن الهدية تُذهب

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون، ص٤٤، رقم الحديث (١٩٤).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٩١.

(٣) الأدب المفرد للبخاري: ٢٠٨/١، رقم الحديث (٥٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: ٥٧٧/١، رقم الحديث (٣٠٠٤).

وَغَـرَ[1] الصـــدر»[2].

أما ما يتعلَّق بالصدقة على المحتاج من المسلمين – وكونها صورة من صور حسن التعامل مع الآخرين التي تعين على سلامة الصدر وخلوه من الأحقاد والضغائن – فقد جاء ما يُرغِّبُ فيها كقوله ﷺ: «أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح[3]»[4].

فالنبي ﷺ يحث في هذا الحديث على الصدقة على الشخص القريب الذي يضمر العداوة والبغضاء؛ لأنها وسيلة فاعلة لإذهاب ما يجد في صدره من الحقد والعداوة.

٢- البعد عن غيبتهم والنميمة في حقهم؛ لأن هذين الخلقين الذميمين يساعدان في إيغار الصدور وملئها بالحقد والشحناء، فإذا ما تَمَكَّنَ المرء من التخلص منهما، والبعد عنهما كان ذلك سبباً بعون الله تعالى على سلامة صدره وصفاء قلبه.

---

(١) وَغَر: الوَغَرُ: الغلُّ والحرارةُ وأصله من الوغرة: شدَّة الحر. وقيل: الوَغَرُ: تجرُّع الغيظ والحقد. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٠٨/٥، مادة (وغر).

(٢) مسند الإمام أحمد: ١٤١/١٥، رقم الحديث (٩٢٥٠) وقال عنه المحققون: (حديث حسن).

(٣) الكاشح: العدو الذي يضمر عداوته ويطوي عليها باطنه (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ١٧٥/٤، مادة (كشح).

(٤) مسند الإمام أحمد: ٣٦/٢٤، وقال عنه المحققون: «حديث صحيح» والمعجم الكبير للطبراني: ١٣٨/٤، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٦/٣، «رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح».

وقد كان النبي ﷺ يحرص على أن لا يبلغه شيء عن الآخرين فيكون سبباً في عدم سلامة صدره تجاههم فقد قال عبدالله بن مسعود ﷺ قال رسول الله ﷺ: «لا يُبَلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»[1].

وقال ﷺ مُرَهِّباً من الغيبة: «وإنَّ أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه»[2]. وبيَّن ﷺ عقاب من يمشي بالنميمة بين الناس حيث قال: «لا يدخل الجنة نمَّام»[3].

وكتب رجل إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن اكتب إليَّ بالعلم كله. فكتب إليه: «إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم فافعل»[4].

وعن عثمان بن الأسود رحمه الله قال: قلت لعطاء بن أبي رباح رحمه الله: «الرجل يَمُّر بالقوم فيقذفهِ بعضهم أيخبره؟ قال: لا. المجالس بالأمانة»[5].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٣٩٦/١، وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٣٧٥٩)، وسنن أبي داود: كتاب الأدب، باب رفع الحديث من المجلس، ص٦٨٦، رقم الحديث (٤٨٦٠).

(٢) المعجم الأوسط للطبراني: ٤٣١/١٥، رقم الحديث (٧٣٥٥) وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٣٧٠/٤، برقم الحديث (١٨٧١).

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، ص٥٩، رقم الحديث (٢٩٠).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٢٢/٣.

(٥) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢١٤/٢.

وقال الأحنف بن قيس التميمي رحمه الله: «ثلاث في ما أذكرهن إلا لمعتبر وذكر منها: وما أَذْكُرُ أحداً بعد أن يقوم من عندي إلاّ بخير»[1].

أمَّا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله – فقد كان يقول: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً»[2].

وقال أيضاً رحمه الله: «ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها»[3].

فكل ما سبق من شواهد وأمثلة تدل على حرص السلف الصالح رحمهم الله على سلامة الصدر من خلال البعد عن الوقوع في أعراض الناس بالغيبة أو النميمة ونحوهما.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩٢/٤.
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٣٩/١٢.
(٣) المرجع السابق: ٤٤١/١٢.

المطلب الثالث

« إحسان الظن بالمسلمين »

من الأمور المعينة للمرء على سلامة صدره وطهارة قلبه أن يكون حَسَنَ الظن بإخوانه المسلمين بأن يحمل أقوالهم وأفعالهم على أحسن المحامل وأصلحها. وقد أمر الله – عز وجل – عباده المؤمنين باجتناب الظن وبيَّن أنه إثم وزورٌ فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[1]، وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»[2].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: «ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالباً، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل، وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلّف به»[3].

فالإسلام جاء بكل ما يقطع دابر إساءة الظن، ويغلق كل مدخل من المداخل التي يمكن للشيطان أن ينفذ من خلالها لما لكل ذلك من آثار سلبية على سلامة الصدور.

---

(١) الحجرات جزء من الآية: ١٢.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، ص١٠٥٩، رقم الحديث (٦٠٦٦)، صحيح مسلم: كتاب الأدب، باب تحريم الظن والتجسس، ص١١٢٣، رقم الحديث (٦٥٣٦).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ٤٨١/١٠.

قال العلامة الزمخشري رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ﴾[1]: أي الرجوع أطيب لكم وأطهر، لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة»[2].

فالله عز وجل يوجه المؤمنين – حتى في أدق الأمور – إلى ما فيه الخير لهم وأسلم لصدورهم، فإذا ما علم المسلم بهذا التوجيه وأدركه رجع ونفسه راضية عن أخيه المسلم.

فلابد للمسلم أن يُغلِّب جانب إحسان الظن بإخوانه ويلتمس لهم الأعذار لما قد يبدر منهم، فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه، ولا تظن بكلمة خرجت من فيِّ امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[3].

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «ما بلغني عن أخ مكروه قط إلاّ أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفتُ له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة»[4].

ولما قالت زوجة طلحة بن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهما: «ما رأيت قوماً ألأَم من إخوانك. قال: مَهْ ولم ذاك؟ قالت: أراهم إذا أيْسَرْتَ

---

(١) سورة النور جزء من الآية: ٢٨.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٣/٧٠.

(٣) طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الأندلسي: ص٢٤٤، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٢١٢.

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي: ١/٧٥٤.

لزموك، وإذا عسرت تركوك. قال: هذا والله من كرمهم: يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم».

ثم علَّق الإمام الماوردي على هذا الموقف بقوله رحمه الله:

«وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم»[1].

فطلحة هنا التمس العذر لإخوانه، وحمل فعلهم على أحسن المحامل دفاعاً عنهم وذباً عن أعراضهم.

ورحم الله الإمام أبا قلابة عبدالله بن زيد الجرمي حيث كان يوصي بعض جلسائه بقوله: «إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جُهْدك، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعلَّ لأخي عُذْراً لا أعلمه»[2].

وكان الإمام الشافعي – رحمه الله – يرغب في إحسان الظن لإدراكه لنتائج ذلك وثمراته الطيبة حيث كان يقول: «من أراد أن يقضي الله تعالى له بالخير فليحسن الظن بالناس»[3].

وها هو رحمه الله يعمل بهذا الترغيب ويطبقه على نفسه فقد مرض رحمه الله فعاده أحد إخوانه فقال له: يا أبا عبدالله قوَّى الله ضعفك. فقال يا أبا محمد: لو قوَّى الله ضعفي على قوتي أهلكني. فقال أبو محمد: يا أبا عبدالله ما أردت إلاّ الخير. فقال له الإمام الشافعي: لو دعوت الله عليَّ لعلمتُ أنك لم ترد إلاَّ الخير»[4].

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٢٦٧.

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢٣٨/٣.

(٣) بستان العارفين لابن شرف النووي: ص٣٢.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني: ١٢٠/٩.

ومن إحسان الظن بالمسلم إقالة عثرته واغتفار زلته، وهذا بلا شك مما يعين على سلامة الصدر وصفائه ولهذا حَثَّ النبي ﷺ على ذلك بقوله: «من أقال مسلماً عثرته أقاله الله عثرته يوم القيامة»[1]. وقال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «الفتوَّة الصفح عن عثرات الإخوان»[2].

(١) مسند الإمام أحمد: ٤٠١/١٢، وقال عنه المحققون: «إسناده صحيح على شرط الشيخين»، صحيح ابن حبان: ٤٠٥/١١.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم: ٣٤١/٢ وبيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله معنى الفتوَّة فقال: إنما هي استعمال الأخلاق الكريمة مع الخَلْق.

المطلب الرابع

« العفو والصفح عن الناس »

ومن أسباب سلامة الصدر ونقاء القلب وخلوه من الحسد والحقد والبغضاء، أن يتحلّى المرء بصفة العفو والصفح عن الناس، فإذا ما عفا المرء عن الناس بمحض إرادته واختياره انشرح صدره، وزال عنه غمه وهمه، وبالتالي فإنه لا يظهر منه للناس إلاّ حب الخير لهم، والمودة إليهم، مما يكون سبباً في سلامة صدره.

ولنشر هذه الفضيلة بين المسلمين جعلها الله – عز وجل – من صفات عباده المتقين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «العفو عن الناس أَجَلُّ ضروب فعل الخير»[2].

والعفو عن الناس إحسان بالغ إليهم، ولاشك أن هذا الإحسان سينعكس إيجاباً على من قام بالعفو. قال الحافظ بن كثير رحمه الله عند

(١) سورة آل عمران الآيتان: ١٣٣ –١٣٤.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠٧/٤.

تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1] قال: «أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك، ومحبتك، والحنو عليك حتى يصير كأنه وليٌّ لك»[2].

ولهذا كان ﷺ يُرَغِّب في العفو والصفح عن الناس بفعله وقوله. فقد روى الإمام أحمد رحمه الله وغيره. عن عائشة – رضي الله عنها –أنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح»[3].

وروى الإمام مسلم – رحمه الله – عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلاّ عزاً، وما تواضع أحد لله إلاّ رفعه الله»[4].

ومن نماذج عفوه ﷺ عن من أساء إليه ما رواه الإمام البخاري رحمه الله عن عبدالله ابن مسعود ﷺ أنه قال: «قسم رسول الله ﷺ قسمة، فقال رجل من الأنصار: «والله ما أراد محمد بهذا وجه الله، فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته فتمعّر وجهه وقال: «رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من

---

(١) سورة فصلت الآية: ٣٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٠١/٤.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٢٥٦/٤٢. وقال عنه المحققون: «إسناده صحيح»، والترمذي أبواب البر والصلة، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، ص٤٦٥، رقم الحديث (٢٠١٦)، وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٤) صحيح مسلم: كتاب الأدب، باب استحباب العفو والتواضع، ص١١٣١، رقم الحديث «٦٥٩٢».

هـذا فصبر»[1].

فلم يعنِّف النبي ﷺ هذا الرجل ولم ينتصر لنفسه منه؛ بل عفا عنه ووكل أمره إلى الله عز وجل.

وروى الإمام البخاري – رحمه الله – أن أبا بكر الصديق ﷺ لما أنزل الله براءة عائشة – رضي الله عنها – من حادثة الإفك وكان ممن خاض في عرضها مسطح بن أثاثة ﷺ، وكان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق عليه لقرابته منه فقال الصديق: «والله لا أُنفق على مسطح بشيءٍ أبداً بعدما قال لعائشة» فأنزل الله: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[2]. فقال أبو بكر الصديق ﷺ: «بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فَرَجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه»[3].

فالصديق هنا عفا وصفح عن مسطح – رضي الله عنهما – على الرغم من أنه كان قد حلف ألا ينفق عليه أبداً. وفي هذا دلالة على سلامة صدر الصديق ﷺ، وخُلوِّه من الحقد والبغض، والانتصار للذات.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب من أخبر صاحبه بما يقال فيه، ص١٠٥٨، رقم الحديث «٦٠٥٩».

(٢) سورة النور الآية: ٢٢.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، ص٤٣٣، رقم الحديث «٢٦٦١».

وهكذا كان السلف الصالح – رحمهم الله تعالى – يحرصون على كل ما يكون سبباً في سلامة صدورهم وطهارتها، فهم لا يتوانون في العفو والصفح عن الذي يخطئ عليهم ويظلمهم بأيِّ نوع من أنواع الظلم؛ بل وكان بعضهم لا يقف عند العفو والصفح؛ بل يتجاوزون ذلك إلى الإحسان إلى من ظلمهم أو أساء إليهم.

فقد قال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله: «وقد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن شخصاً اغتابهم أهدوا إليه هدية»[1].

وقد أوذي الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إيذاء بالغاً في فتنة خلق القرآن، بالضرب والسجن، ونحو ذلك من أنواع الإيذاء إلاّ أنه رحمه الله كان يحث على العفو والصفح، وبعد وفاة الخليفة المعتصم بالله – وكان ممن أمر بضرب الإمام أحمد وسجنه – أُخِذَ الإمام أحمد للعلاج فلمَّا أحس بالألم قال رحمه الله: «أُحلل المعتصم من ضربي»[2].

بل إنه – رحمه الله – جعل كل من آذاه في حِلٍّ إلاّ أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ..... الآية ﴾[3]، ويقول: ماذا ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[4].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي: ص٢٣٦.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢٥٧/١١، ٢٦٥.

(٣) سورة النور الآية: ٢٢.

(٤) سورة الشورى جزء من الآية: ٤٠، وانظر البداية والنهاية لابن كثير: ٣٣٥/١٠.

وقال الإمام الذهبي – رحمه الله – وهو يترجم للشيخ عبدالرحمن ابن قدامة رحمه الله: وكان رقيق القلب، غزير الدمعة، سليم القلب كريم.... وكان يبلغه الأذى من جماعة فما أعرفُ أنه انتصر لنفسه .... وقد أوقع الله محبته في قلوب الخلق[1].

وهكذا فإنَّ تحلّي المرء بالعفو والصفح عن الآخرين يكون بإذن الله تعالى سبباً من الأسباب المعينة له على سلامة صدره وصفاء قلبه.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ١٣/٦١-٦٣.

المطلب الخامس

الدعـــاء

ومن الأسباب المعينة – بإذن الله تعالى – على سلامة الصدر حرص المرء على الدعاء بالخير والمغفرة لإخوانه المسلمين عموماً ولكل من بدر منه خطأ أو إساءة في حقه على وجه الخصوص.

ومما لاشك فيه أن المرء لا يصل إلى هذه المرحلة إلاّ من خلال الاستعانة بالله عز وجل ثم بمجاهدته لنفسه وحملها على هذا الأمر حملاً. ولعظم هذه الصفة وأهميتها للمؤمن نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه ﷺ بدعاء الله عز وجل وطلب المغفرة للمؤمنين كقوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[1]. ومن أنواع الاستعانة بالله تعالى اللجوء إليه سبحانه بالدعاء للتخلص من كل ما يسبب إيغار الصدور وغِلّها على المسلمين.

ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ: «واسلل سخيمة[2] قلبي»[3]، وقد امتدح سبحانه وتعالى من دعا لإخوانه المؤمنين وسأل الله – عز وجل – أن يُخلّص قلبه من كل بغض وحسد للمؤمنين فقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ

---

(١) سورة محمد جزء من الآية: ١٩.

(٢) سخيمة: السخيمة تقدم شرحها في ص أ.

(٣) سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم، ص٢٢٣، رقم الحديث «١٥١٠»، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤١٤/١.

بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[1].

يقول العلامّة السعدي رحمه الله: « وهذا دعاء شامل لجميع المؤمنين السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضاً. ولهذا ذكر الله في الدعاء نَفْيَ الغِلِّ عن القلب، الشامل لقليل الغِلِّ وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالاة والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين»[2].

ولحرص أبي الدرداء ﷺ على سلامة صدره كان يدعو لسبعين من أصحابه، فقد روي عنه أنه قال ﷺ: «إني لأستغفر الله لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسماء آبائهم»[3].

كان السلف الصالح – رحمهم الله – يحرصون على الدعاء لغيرهم من المسلمين حتى وإن اعتدوا عليهم أو أساءوا إليهم بأيِّ نوع من أنواع الإساءة.

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٨٥٢.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥٥/٩.

وها هي بعض النماذج التي تدل على ذلك وتوضحه:

١- سُرِقَ لعبدالله بن مسعود ﷺ مال فجعل أصحابه يدعون على السارق فقال ﷺ: «اللهم إن كان حَمَلَتْهُ على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخذ ذنوبه»[(١)].

٢- صَفَع رجل الإمام إبراهيم بن أدهم – رحمه الله – على وجهه ولم يعرفه، فلما قيل له هذا إبراهيم بن أدهم رجع إليه معتذراً أشد الاعتذار، وقال له: يا سيِّدي ما عرفتك. فقال له إبراهيم بن أدهم: والله ما ارتفعت يدك عني حتى سألت الله تعالى لك المغفرة. فقال الرجل: وما حملك على ذلك؟ فقال: لأنك لمّا صفعتني علمت أن الله يثيبني على ذلك وما كنت بالذي توصل إليّ خيراً فأوصل إليك شراً»[(٢)].

٣- كان الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – إذا شعر بألم من آثار الضرب الذي كان الخليفة العباس المعتصم بالله أمر به، كان رحمه الله يدعو للخليفة قائلاً: «اللهم اغفر للمعتصم»[(٣)].

٤- قال الإمام ابن القيم رحمه الله واصفاً شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ما رأيته يدعو على أحد من خصومه قط، بل كان يدعو لهم»[(٤)].

فمن جميع النماذج السابقة يتبيّن لنا أن دعاء المرءِ لإخوانه المؤمنين مما

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين لجمال الدين القاسمي: ص٢٣٩.

(٢) المدخل لمحمد العبدري الشهير بابن الحاج: ٢٠١/١.

(٣) انظر: مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي: ص٢٢١-٢٢٢.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم: ٣٤٥/٢.

يعينه على سلامة صدره وطهارة قلبه ونقائه، وأن يحبَّ الخير والفلاح لهم في أمور دينهم ودنياهم.

وما العفو عن من ظلمهم، والإحسان إلى من أساء إليهم، والحلم على من جهل عليهم، إلا دليل على تأصل هذه الصفة في قلوبهم، حتى أصبحت سجية من سجاياهم التي لا يمكن لهم الاستغناء عنها، أو الانفكاك منها.

المطلب السادس

تعاهد القلب وإصلاحه من الآفات المهلكة

ومن الأسباب المهمة التي تعين المرء على سلامة صدره وخُلُوِّه من كل ما يكدِّره، أن يحرص على تعاهد قلبه مرة تلو أخرى، وتخليصه من كل ما قد يكون سبباً في مرضه أو هلاكه من الآفات والتي من أبرزها ما يلي:

١- الحسد:

وهو أن يرى الرجل لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دُونَه[(١)]. والحسد خلق ذميم، وداء عظيم، له أضراره البالغة على الحاسد والمحسود؛ ولهذا جاء الإسلام بذمه والتحذير منه، فقد وبَّخ الله عز وجل بني إسرائيل على حسدهم للنبي ﷺ لما آتاه الله من النبوة فقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[(٢)]. وقال ﷺ: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام»[(٣)].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٨٣/١، مادة (حسد).

(٢) سورة النساء جزء من الآية: ٥٤، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥١٣/١.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ص١٠٥٩، رقم الحديث (٦٠٦٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا»[1].

وقال ﷺ مُرَهِّباً منه، ومُحَذِّراً الأمة من خطره: «دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»[2].

وكان السلف الصالح -رحمهم الله- يُحذِّرون من الحسد والوقوع فيه فقد قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: «ليس في خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود»[3].

وعن فتح بن شخرف - رحمه الله - أن عبدالله الأنطاكي رحمه الله قال له: يا خراساني: إنما هي أربع لا غير: عينك ولسانك وقلبك وهواك، فانظر عينك لا تنظربها إلى ما لا يحل، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكون منه غِلٌّ ولا حقد على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا يهوى شيئاً من الشر، فإذا لم يكن فيك هذه الأربع خصال فاجعل الرماد على رأسك فقد شقيت»[4].

لذا يجب على المسلم أن يحرص على ألاّ يقع في هذا الداء، أمَّا إن كان قد وقع فيه فلابدّ من التخلص منه؛ ليسلم صدره، ويطهر قلبه مستحضراً في ذلك قول النبي ﷺ: «فمن أحبَّ أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة،

---

(١) المعجم الكبير للطبراني: ٣٦٠/٧، رقم الحديث (٨٠٨٣)، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٨/٨: «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) جامع الترمذي: أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في فضل صلاح ذات البين، ص٥٧٠، رقم الحديث (٢٥١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي: ٦٠٧/٢.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي: ص٣٨٢.

(٤) الزهد الكبير للبيهقي: ص١٧٤.

فلتأته منيَّته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه»[1].

ولاشك أن الحاسد إذا عمل بهذا الحديث، وجعله نصب عينه لم يتمادَ في حسده. قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «ليس من ولد آدم إلاّ وقد خُلق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا فعل لم يتبعه شيء»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والمقصود أن الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلاّ قليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه. وقد قيل للحسن البصري: (أيحسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك! لكن عمِّه في صدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولساناً). فمن وجد في نفسه حسداً لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر فيكره ذلك من نفسه»[3].

وقال الحافظ بن رجب رحمه الله: « وحديث أنس[4] الذي نتكلَّم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسرُّه ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير، وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، ص٨٢٨، رقم الحديث (٤٧٧٦).

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي: ص٤٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: ١٠/١٢٤-١٢٥.

(٤) يعني قول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقد رواه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ص٥، رقم الحديث (١٣)، والإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ص٤١، رقم الحديث (١٧٠).

الصدر من الغش والغلّ والحسد، فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه؛ لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم. والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء»[1].

وقال أيضاً رحمه الله: «وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإبداء الإحسان إليه والدعاء له ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد حتى يُبَدِّله بمحبته أن يكون المسلم خيراً منه وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

فإذا ما جاهد المسلم نفسه على التخلص من هذا الداء العضال وأخلص نيته في ذلك فإنّ الله – عز وجل – سيعينه على ذلك كما وعد سبحانه حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[3].

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص١٠٤.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٨٧.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

٢- حب الشهرة والرياسة:

ومن الآفات التي تصيب الصدر وتمرض القلب، أن يحب المرء الشهرة والرياسة، ويحرص عليها حرصاً شديداً بحيث يلجأ إلى كل سبيل للحصول عليهما، وفي المقابل يحزن أشد الحزن لفقدهما، ويحقد ويعادي كل من سلب منه هذا الأمر أو تسبَّب فيه.

ولاشك أن حب الشهرة والرياسة مرض خطير، وآفة مهلكة للمرء في حياته وبعد مماته؛ لذا فقد رَهَّبَ منها الرسول ﷺ ترهيباً شديداً حيث قال: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة»[(١)].

فإذا كان هذا الوعيد في مجرد لبس الثوب فكيف بغيره من الأمور التي هي أعظم، وأكبر منه، مما يقع فيه المرء من أمور الشهرة؟.

ولهذا فقد كان السلف الصالح – رحمهم الله – يخافون من الوقوع في هذا الأمر، ويحذرون إخوانهم من الوقوع فيه.

فقد كان الإمام إبراهيم النخعي – رحمه الله – يتوقي الشهرة فقد كان لا يجلس إلى اسطوانة[(٢)]، وكان يجلس مع القوم فيجيء الرجل فيوسع له، فإذا اضطره المجلس إلى اسطوانة قام[(٣)].

---

(١) سنن ابن ماجة: كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب ، ص٥١٩، رقم الحديث (٣٦٠٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٢٠٠/٣.

(٢) اسطوانة: الاسطوانة العمود والسارية في المجلس أو في المسجد وهي مكان يجلس فيه العالم لإلقاء دروسه. (انظر لسان العرب لابن منظور: ٢٠٨/١٣، مادة (سطن).

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٨٨/٣.

وقال صفوان بن عمرو رحمه الله كان خالد بن معدان الكلاعي إذا عظمت حلقته قام فانصرف، فقيل لصفوان: ولم كان يقوم؟ قال: كان يكره الشهرة[1].

أمّا الإمام إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقد كان يقول: «ما صدق الله عبد أحبّ الشهرة»[2].

وكان الإمام بشر بن الحارث الحافي – رحمه الله – يقول: «ما اتقى الله من أحبّ الشهرة»[3].

وكما رهَّبوا من الوقوع في الشهرة وحذروا منها، نجدهم كذلك يُرَهِّبون من حرص المرء على طلب الرياسة، والسعي إليها؛ لأضرارها المتعددة على الفرد والمجتمع.

فقد قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما من أحد أحبّ الرياسة إلاّ حسد، وبغى، وتتبَّع عيوب الناس، وكره أن يَذكر أحداً بخير»[4].

فطالب الرياسة إذا لم تحصل له لوحده وقع في عدد من الأمور التي تسبِّب الحقد، والبغضاء، كالحسد، وتتبع عيوب الناس وإبرازها، ويكره أن يَذكر أحداً بخير مهما كان له من الفضل والمكانة.

---

(١) المرجع السابق: ٤/٢١٥.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح: ٢/٣٤٤.

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/٣٢٥.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر: ص٢٢٧.

وحبّ الرياسة ليس هو فقط في أمور الخلافة والإمارة؛ بل وللأسف أنّه قد يدخل حتى في أمور العلم ولهذا قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «من طلب الرياسة بالعلم قبل أوانه لم يزل في ذل ما بقي»[1].

أمّا الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – فقد بيَّن أن حب الرياسة، وطلبها بالنسبة للمرء قد يفوق كل شيء من أمور الدنيا، حتى المال فقد قال رحمه الله: «حب الرياسة أعجب إلى الرجل من الذهب والفضة، ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس»[2].

ولعظم مكانة الرياسة لدى البعض، وحرصهم على نيلها نجد أنهم لا يفرقون بين الحق والباطل؛ بل المهم لديهم تحصيلها بأيٍّ وسيلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وطالب الرياسة –ولو بالباطل– ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمُّه وإن كانت حقاً»[3].

فمن خلال ما سبق تبيَّن لنا عظم وخطورة حب الشهرة وطلب الرياسة. فالواجب على المسلم أن يحرص على الابتعاد عن ذلك، والحذر منه، ويوقن تمام الإيقان، أن الحرص عليهما يفسد على المرء دينه ودنياه.

ومما يعين المرء على التخلص منهما، استحضار أهمية إخلاص العمل لله عز وجل، وأنه شرط للقبول عند الله عز وجل.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح: ١١٢/٢.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح: ٣٤١/٢.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٥٩٩/١٠.

وقد أثنى النبي ﷺ على المرء الذي لا يأبه بجاه، ولا منصب، ولا مكانة، بل الهم الوحيد لديه أن يعمل عملاً ينفع الله به الإسلام والمسلمين حيث قال ﷺ: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبّرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفَّع»[1].

قال الحافظ بن حجر رحمه الله: «فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع»[2].

وقال الحافظ بن رجب رحمه الله: «فمن أخرج من قلبه حب الرياسة في الدنيا والترفع فيها على الناس فهو الزاهد حقاً»[3].

وإن كان المرء زاهداً زهداً حقيقياً فإنه سيصبح سليم الصدر، طاهر القلب لكل مسلم.

٣- التنافس على الدنيا:

ومن الآفات التي تمنع من سلامة الصدر ونقاء القلب التنافس على أمور الدنيا والتفاني في الحصول عليها والغفلة والإعراض عن أمور الآخرة.

وقد حذَّر الله - تبارك وتعالى - من ذلك في كتابه العزيز فقال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ص ٤٧٧، رقم الحديث (٢٨٨٧).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر: ٨٣/٦.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٥٥.

بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝﴾[1].

وقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وقال ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[3].

وبيَّن عليه الصلاة والسلام أن هذا الداء سيصيب أمته كما أصاب غيرها من الأمم فقال: «سيصيب أمتي داء الأمم: الأشر، والبطر، والتكاثر، والتشاحن في الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي»[4].

وضرب ﷺ لأمته مثلاً يوضح فيه خطورة حرص المرء على الدنيا والتنافس فيها فقال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»[5].

---

(١) سورة فاطر الآية: ٥.

(٢) سورة الأنفال جزء من الآية: ٦٧.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، ص١١٨٧، رقم الحديث (٦٩٤٨).

(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم: ١٨٥/٤، رقم الحديث (٧٤١٩)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٦٨٢/١، رقم الحديث (٣٦٥٨).

(٥) جامع الترمذي: أبواب الزهد، باب حديث ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، ص٥٤١، رقم الحديث (٢٣٧٦)، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته: ٩٨٣/٢، رقم الحديث (٥٦٢٠).

قال العلامة المباركفوري - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: «ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفساداً لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها»[1].

وأوضح ﷺ عقوبة من جعل الدنيا همَّه الوحيد ونسي أمر الآخرة حيث قال: «من كانت الدنيا همّه، فرَّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلاّ ما كتب له. ومن كانت الآخرة نيَّته جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة»[2].

ولأجل كل ذلك كان السلف الصالح - رحمهم الله - أبعد الناس عن التنافس على الدنيا بأفعالهم وأقوالهم.

فقد أعطى عمر بن الخطاب ﷺ غلاماً عنده أربعمائة دينار من بيت المال وقال له: «اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم تلهَّ ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع، قال: فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: خذ هذه، فقال: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر، وأخبره، فوجده قد أعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل. فأرسله بها إليه، فقال معاذ: وصله الله: يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، ولبيت فلان بكذا. فاطلعت امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين، فأعطنا، ولم يبق في

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري: ٩٢/٧.

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب أبواب الزهد، باب الهم بالدنيا، ص٥٩٩، رقم الحديث(٤١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة: ٣٤٦/٣، رقم الحديث (٣٣٢٩).

الخرقة إلاّ ديناران، فدحا بهما إليها. ورجع الغلام، فأخبر عمر فسرَّ بذلك، وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض»[1].

وبعث ابن عمر -رضي الله عنهما- إلى محمد بن المنكدر -رحمه الله- بمال فبكى واشتد بكاؤه وقال: خشيت أن تغلب الدنيا على قلبي فلا يكون للآخرة فيه نصيب، فذلك الذي منه أبكاني، ثم أمر به فتُصدِّق به على فقراء أهل المدينة[2].

وقد كان عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - قبل أن يلي الخلافة من أعطر الناس، وألبس الناس، حتى قال عن نفسه: «لقد خفت أن يعجز ما قسم الله لي عن كسوتي، وما لبست ثوباً قط فرآه الناس عليَّ إلاّ خيِّل لي أنه قد بلي»[3].

فلما استخلف - رحمه الله - خرج من ذلك كله، حتى قوَّموا ثيابه باثني عشر درهما[4].

وباع رحمه الله كل ما كان يملكه من الفضول، من عبد، ولباس، وعطر، وكل ما يستغنى عنه فبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار فجعله في السبيل[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٥٦/١.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٦٢.

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي: ص١٧٣.

(٤) الزهد للإمام أحمد بن حنبل: ص٣٠١، وحلية الأولياء للأصبهاني: ٣٢٣/٥.

(٥) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم: ص٣٨.

وقال الإمام مالك بن دينار رحمه الله: «يقولون مالك زاهد، أيُّ زهد عندي إنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها جملة»[1].

فالتنافس على الدنيا والتهافت عليها آفة مهلكة للقلب والبدن؟ لما يترتب عليها من الأحقاد والكراهية بين المتنافسين بسبب عرض من الدنيا، كمال، أو منصب، أو نحو ذلك.

وإن مما يعين المرء على التخلص من هذه الآفة والسلامة منها تذكر حال قدوة الخلق وسيدهم، وأكرمهم على الله تعالى، محمد ﷺ الذي خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً، أو يكون ملكاً نبياً فاختار أن يكون عبداً نبياً[2].

ولهذا كان عليه الصلاة والسلام هو أزهد الناس كما أخبر بذلك الصحابي الجليل عمرو بن العاص حيث قال ﷺ: «أمّا هو – يعني النبي ﷺ– فأزهد الناس في الدنيا»[3].

ولّما نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثَّر في جنبه فقال له الصحابة: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «مالي وللدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ٢٠٢/٩.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لا بن كثير: ٣٩/٤، وفتح الباري لابن حجر: ٣٥٨/٩.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٣٥١/٢٩، رقم الحديث (١٧٨١٥) وقال عنه المحققون: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٤) جامع الترمذي: كتاب الزهد، باب حديث «ما الدنيا إلا كراكب استظل» ص٥٤١، رقم الحديث (٢٣٧٧) وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح =

ومما يعين المرء كذلك على التخلص من التنافس على الدنيا أن يدرك أن الزهد في الدنيا مما يحببه إلى خالقه – تبارك وتعالى – ثم إلى الناس. فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: دلّني على عمل إذا عملته، أحبني الله، وأحبني الناس، فقال رسول الله ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك»[1].

فمن زهد فيما في أيدي الناس وعَفَّ عنهم فإنهم يحبونه، ويكرمونه لذلك ويسود به عليهم، كما قال أعرابي لأهل البصرة مَنْ سيِّدُ أهل هذه القرية؟ قالوا: الحسن البصري. قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه، واستغنى هو عن دنياهم[2].

ومن الأمور المعينة على التخلص من هذا الداء أن يعلم المرء أن التنافس على الدنيا سبب من أسباب التشاحن والتحاسد، كما قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا، فإنَّ علماء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون»[3].

فالذي يطلب السعادة والراحة وسلامة القلب يحرص على الزهد في الدنيا، والتقلل منها، كما قال الحسن البصري: «والزهد في الدنيا يريح

=

الترمذي: ٥٤٤/٢.

(١) سنن ابن ماجة: أبواب الزهد، باب الزهد في الدنيا، ص٥٩٨، رقم الحديث (٤١٠٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ٣٤٤/٣.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ٢٦٥.

(٣) صيد الخاطر لابن الجوزي: ص٢١.

القلب والبدن»[1].

وبعد فقد تبين لنا – بحمد الله تعالى – أن تلك الآفات التي تقدم الحديث عنها وكان من أبرزها: الحسد، وحب الشهرة والرياسة، والتنافس على الدنيا، أنها آفات، وأمراض تُوغِرُ الصدور، وتُورِثُ الغِلَّ، والحقد بين المسلمين فلابد للمسلم أن يداوم على علاج قلبه، ويحرص على سلامة صدره منها أيّما حرص.

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٢٦١.

المبحث الثالث

أثر سلامة الصدر في حياة الداعية

بعد التعرف على فضل سلامة الصدر وعظم ثوابها، والأسباب المعينة على اتصاف المرء بها، يحسن الحديث عن الآثار الحسنة التي تنعكس على الداعية إذا ما تحلّى بهذه الصفة، وحرص عليها.

وفي هذا المبحث سأتحدث – بعون الله تعالى – عن أبرز آثار سلامة الصدر في حياة الداعية، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

- **المطلب الأول: الأثر النفسي والاجتماعي لسلامة صدر الداعية.**
- **المطلب الثاني: الأثر الدعوي لسلامة صدر الداعية.**

المطلب الأول

الأثر النفسي والاجتماعي لسلامة صدر الداعية

مما لا شك فيه أن الداعية إلى الله إذا كان سليم الصدر، نقي القلب، سيكون بإذن الله أوَّل المستفيدين من هذه الخصلة الكريمة من خلال انعكاس عدد من الآثار الحسنة على حياته النفسية والاجتماعية.

وفي هذا المطلب سأحاول – بعون الله تعالى – الوقوف على أهم تلك الآثار النفسية والاجتماعية من خلال النقاط التالية:

١– اطمئنان نفس الداعية وإراحتها وإبعادها عن الهموم والغموم.

٢– حب الداعية الخير للناس والحرص على نفعهم وقضاء حوائجهم.

٣– حصول المودة والألفة بين الداعية ، وغيره من الناس.

١– اطمئنان نفس الداعية وإراحتها وإبعادها عن الهموم والغموم:

إذا كان الداعية سليم الصدر، فلم يحمل في قلبه حقداً، ولا حسداً، على أحد اطمأنت نفسه، ونعمت بالراحة، والاستقرار، فلا يهمه تتبع عيوب الناس والوقف على زلاتهم وعثراتهم.

يقول الإمام أبو حاتم بن حبان البستي رحمه الله:

«الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإنَّ من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يُتعب قلبه، فكلّما اطّلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى

مثله من أخيه، وإنَّ من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذَّر عليه ترك عيوب نفسه»[1].

فالداعية سليم الصدر إذا لم يشغل باله بتتبع عيوب الناس، ورصد زلاّتهم وعثراتهم، أراح بدنه ونفسه عن كل ما يجلب لها الهمَّ والغمَّ.

يقول الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله: « رأيت أكثر الناس – إلاّ من عصم الله وقليل ما هم – يتعجلون الشقاء والهم، والتعب لأنفسهم في الدنيا، ويحتقبون عظيم الإثم الموجب للنار في الآخرة بما لا يحظون معه بنفع أصلاً، من نيات خبيثة يضبون عليها من تمني الغلاء المهلك للناس وللصغار، ومن لا ذنب له، وتمني أشد البلاء لمن يكرهونه، وقد علموا يقيناً أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل لهم شيئاً مما يتمنونه أو يوجب كونه وأنهم لو صفّوا نياتهم وحسنوها لتعجلوا الراحة لأنفسهم وتفرغوا بذلك لمصالح أمورهم، ولا فتنوا بذلك عظيم الأجر في المعاد من غير أن يؤخر ذلك شيئاً مما يريدونه أو يمنع كونه، فأي غبن أعظم من هذه الحال التي نبهنا عليها؟ وأي سعد أعظم من الحال التي دعونا إليها؟»[2].

ففي صفاء النية، وسلامة الصدر إراحة للنفس والبدن، وتفرغ لما فيه صلاح للمرء في دنياه وأخراه.

---

(١) روضة العقلاء لابن حبان البستي: ص١٢٥.

(٢) مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق، لابن حزم: ص٤٥.

كان ابن عياش المنتوف يقع في الإمام الزاهد عمر بن ذرّ الهمداني رحمه الله ويشتمه فلقيه عمر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا، وابق للصلح موضعاً، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه»[1].

وقد كان الإمام الشافعي – رحمه الله – يؤكد أن المرء إذا كان سليم الصدر ولم يحقد على الناس، ارتاحت نفسه، واطمأن قلبه، ومما روي عنه في ذلك قوله رحمه الله:

لما عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ أرحتُ نفسي مِنْ هَمِّ العداواتِ
إنِّي أُحيِّي عَدوِّي عندَ رؤيتِهِ لأدفَع الشرَّ عنِّي بالتحيَّاتِ
وَأُظهِرُ البشْرَ للإنسانِ أُبغضهُ كما أنْ قد حَشا قَلبي محبَّاتِ[2]

وجاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – فقال له: «نكتبُ عن محمد بن منصور الطوسي؟ فقال: إذا لم نكتب عن محمد بن منصور فعمَّن يكون ذلك – وكرَّر ذلك مراراً – فقال: إنه يتكلَّم فيك. فقال الإمام أحمد: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل»[3].

ولسلامة صدر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يهتم ولم يغتم حينما حرَّض عليه مجموعة من الأشخاص –وكان منهم علماء وقضاة– واتهموه بالضلال وكان من أبرز هؤلاء علي بن مخلوف النويري المالكي؛ بل كان ابن تيمية رحمه ا لله مطمئن النفس، مرتاح

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣٨٩/٦.
(٢) ديوان الإمام الشافعي: ص٣٤.
(٣) طبقات الحنابلة لأبي الحسين أبي يعلى الفراء: ١٩٥/١.

البال ويقول: « وابن مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر على خير إلاّ وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط ولا حول ولا قوة إلاّ بالله»[1].

فأثّر هذا الموقف العظيم من ابن تيمية – رحمه الله – في ابن مخلوف فأصبح يثني على ابن تيمية ويقول: «ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنّا، وحاجج عنّا»[2].

٢– حب الداعية الخير للناس والحرص على نفعهم وقضاء حوائجهم:

من أبرز آثار سلامة صدر الداعية أن يحب الخير للناس ولو لم يرج منهم مصلحة دنيوية؛ بل يكون همُّه النظر في مصلحته الأخروية يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

ولهذا نجد أن الرسول ﷺ قد أثنى على من كانت هذه حاله في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– أنَّ النبي ﷺ قال: «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهراً .... »[3].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٧١/٣.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ٥٤/١٤.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ٨٤/١١ رقم الحديث «١٣٤٦٩» وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٨٠/٢ رقم الحديث «٩٠٦».

فالداعية سليم الصدر يحب الخير للناس، ولا يحب أو يفرح بزوال النعم عنهم. يقول الإمام الآجري رحمه الله مؤكداً ذلك: «سليم القلب للعباد من الغِلِّ والحسد يغلب على قلبه حسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العذر لا يحب زوال النعم عن أحد من العباد»[1].

وقال الإمام محمد بن أحمد الغرناطي رحمه الله: «سلامة الصدر للمسلمين وهو يثمر طيب النفس، وسماحة الوجه، وإرادة الخير لكل أحد، والشفقة، والمودة، وحسن الظن، ويذهب الشحناء، والبغضاء، والحقد، والحسد؛ ولذلك ينال بهذه الخصلة ما يُنال بالصيام والقيام»[2].

ولسلامة صدر قيس بن سعد بن عبادة – رضي الله عنهما – كان كريماً جواداً محباً للخير للناس حريصاً على قضاء حوائجهم، وإقراضهم من المال ما يحتاجون إليه. فلما مرض لم يعده أحد خشية أن يطالبهم بديونه فأمر منادياً ينادي: «من كان لقيس عليه مال فهو في حل» فما أمسى حتى كُسِرت عتبة بابه لكثرة من عاده[3].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حريصاً على نفع الناس وقضاء حوائجهم حتى ولو كانوا من أعدائه فقد قال عنه الإمام ابن القيم رحمه الله: «وجئته يوماً مبشراً بموت أكبر أعدائه وأشدهم عداوة، وأذى له، فنهرني وتنكّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزَّاهم وقال: إني لكم مكانه ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلاّ

(١) أخلاق العلماء للآجري: ص٥٤.

(٢) القوانين الفقهية لابن جزي الغرناطي: ص٢٨٥.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم: ٢/٢٩٥-٢٩٧.

وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام فسرُّوا به ودعوا له وعظَّموا هذه الحال منه»[1].

فلسلامة صدر ابن تيمية رحمه الله لم يتشفَّ من هذا الرجل، أو يفرح بموته؛ بل بادر إلى التعزية، وبذل المعروف لأهله وذويه.

٣- حصول المودة والألفة بين الداعية وغيره من الناس:

ومن الآثار النفسية والاجتماعية لسلامة صدر الداعية ما يحصل بينه وبين غيره من إخوانه المسلمين من مودَّة وألفة حيث إن سلامة صدر الداعية جعلته لا يحمل أيَّ غِلٍّ، ولا حقد؛ بل استُلت سخيمة صدره، وضغينة قلبه، مما أدَّى إلى ألف الناس له ومحبتهم إيَّاه.

وقد أثنى النبي ﷺ على من يألفه الناس ويحبونه، حيث روى الإمام أحمد - رحمه الله - عن سهل بن سعد ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن مألفة، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤْلف»[2].

فسلامة صدر الداعية تجعله يصفح عمن أساء إليه بقصد أو بغير قصد. فقد جاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ وهو جالس مع أصحابه في المسجد فأساء إليه بالقول حتى إنه ما ترك شيئاً إلاّ قاله له. وكان علي ساكتاً حتى انصرف حسن وخرج من المسجد. فلماّ كان في الليل ذهب علي إلى حسن في منزله وقال له: يا أخي إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك،

---

(١) المرجع السابق: ٢/٣٤٥.

(٢) مسند الإمام أحمد: ٥/٣٣٥ وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣/٤٠٧ «رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح».

السلام عليكم.

فلمّا ولّى علي راجعاً تبعه حسن فالتزمه وبكى وقال: لا عدتُ في أمر تكرهه.

فقال له علي: وأنت في حلٍ مما قلت لي[1].

فسليم الصدر يحبه الناس ويألفونه ويحظى بمنزلة عالية في قلوبهم، فقد قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة»[2].

وسلامة الصدر تورث المودة والأخوة بين الداعية وغيره حتى وإن كان بينهم من الاختلاف في الرأي ووجهات النظر ما بينهم، فقد قال يونس الصري رحمه الله: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة»[3].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق – يعني ابن راهوية – وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً»[4].

---

(١) انظر صفة الصفوة لابن الجوزي: ٢/٩٤.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: ٧/٤٣٩، جامع العلوم والحكم لابن رجب: ص٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٠/١٦.

(٤) المرجع السابق: ١١/٣٧١.

فلسلامة صدور هؤلاء الأئمة – رحمهم الله – لم يجعلوا من الاختلاف بينهم في وجهات النظر سبباً في العداوة والبغضاء؛ بل جعلوا صدورهم تتسع لسماع المخالف وتقدير جهوده وحسن الظن به والإشادة بفضله وإن لم يروا أن الحق معه والصواب حليفه.

المطلب الثاني

الأثر الدعوي لسلامة صدر الداعية

إن الداعية إلى الله تعالى إذا كان سليم الصدر، طاهر القلب، نقي السريرة، سيكون له بإذن الله تعالى العديد من الآثار الدعوية التي يمكن أن تؤثر في المدعوين على اختلاف أصنافهم وأجناسهم. إضافة إلى عدد من الآثار الحسنة التي تعود على الداعية نفسه بشكل خاص والدعوة بشكل عام.

وفي هذا المطلب سأتحدث - بمشيئة الله تعالى - عن أبرز تلك الآثار الدعوية من خلال النقاط التالية:

١- استماع المدعوين للداعية.

٢- إشغال الداعية وقته بما يفيد الدعوة وينهض بها.

٣- تفويت الفرصة على أعداء الدعوة.

١- استماع المدعوين للداعية:

من أبرز الآثار الدعوية لسلامة صدر الداعية إزالة العوائق والعقبات التي قد تحول بينه وبين غيره من المدعوين، وبخاصة أن بعض المدعوين لديهم نفرة وصدود عن مجرد السماع من الدعاة، فضلاً عن الجلوس معهم، والالتقاء بهم، وقبول ما لديهم؛ لاعتقادهم بتنافر الطباع والأمزجة، وغير ذلك من الأسباب الواهية التي ربما يصورها الشيطان ويلبس بها عليهم.

فإذا كان الداعية سليم الصدر أَحْسَنَ التعامل مع هؤلاء وأمثالهم مما يجعلهم يقبلون على سماع ما لديه، الأمر الذي يجعل فُرَصَ قبولهم لدعوته وتقبلها كثيرة جداً.

ولسلامة صدر النبي ﷺ ونقائه وطهارته كان أحسن الناس تعاملاً مع جميع أصناف المدعوين، مسلمهم وكافرهم، ذكرهم وأنثاهم، شريفهم ووضيعهم، صغيرهم وكبيرهم.

فكان عليه الصلاة والسلام كثير التبسم في وجه كل من لقيه حتى اشتهر عنه ذلك، حيث قال عبدالله بن الحارث ﷺ: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ»[1].

بل إنه عليه الصلاة والسلام لا يترك التبسم والضحك حتى في وجه من أساء التعامل معه واعتدى عليه. فقد قال أنس بن مالك ﷺ: «كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ، قد أَثَّرتْ به حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء»[2].

---

(١) جامع الترمذي: أبواب المناقب، باب قول ابن جزء: «ما رأيت أحداً أكثر تبسماً...»، ص٨٣٠، رقم الحديث «٣٦٤١» وقال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن». وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٤٩٥/٣.

(٢) صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة وغيرهم من الخمس ونحوه، ص٥٢٣، رقم الحديث «٣١٤٩»، صحيح مسلم: كتاب الزكاة باب إعطاء من يسأل بفظاظة، ص٤٢٤، رقم الحديث «٢٤٢٩».

فسلامة صدر الداعية، وحسن تعامله مع المدعو تَتْركُ آثاراً حسنة عليه بإذن الله تعالى، فهو إن لم يستجب للداعية فإنه على الأقل سيحْمل عنه في نفسه صورة حسنة، وكذلك عن الدعوة التي يدعو الناس إليها.

٢- إشغال الداعية وقته بما يفيد الدعوة وينهض بها:

ومن الآثار الدعوية لسلامة صدر الداعية حرص الداعية على أن يشغل وقته بما يعود على الدعوة بالنفع العظيم، والخير الكثير، فيتعلَّم العلم، ويعلمه، ويدعو الناس إلى العمل به، والإفادة منه، فيكون بذلك قد تفرَّغ تماماً للدعوة إلى الله تعالى، مما سيكون سبباً في نهوضها والرفع من شأنها بإذن الله تعالى.

أما إذا لم يكن الداعية سليم الصدر- وبخاصة إذا تعرَّض للنقد والاعتراض- فسيرد على هذا، وينتقد ذاك، وينقص من شأن ثالث وهكذا ينشغل بهذه الأمور عن الدعوة والبناء بالردود والأمور التي لا تفيد الدعوة شيئاً بل قد تضر بها، وتعيق مضيها وتقدمها.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «فإن القلب إذا اشتغل بشيء فاته ما هو أهم عنده وخير له منه»[1].

ويقول الشيخ عبدالمحسن العباد البدر حفظه الله موجهاً طلبة العلم والدعاة إلى الله للإفادة من أوقاتهم: «أن يشغل نفسه - بدلاً من التجريح والتحذير - بتحصيل العلم النافع، والجد والاجتهاد فيه ليستفيد ويفيد، وينتفع وينفع، فمن الخير للإنسان أن يشتغل بالعلم تعلُّماً وتعليماً ودعوة

(١) مدارج السالكين لابن القيم: ٢/٣٢٠.

وتأليفاً، إذا تمكن من ذلك ليكون من أهل البناء، وألاّ يشغل نفسه بتجريح العلماء وطلبة العلم من أهل السنَّة، وقطع الطريق الموصلة إلى الاستفادة منهم، فيكون من أهل الهدم، ومِثْلُ هذا المشتغل بالتجريح لا يخلّف بعده – إذا مات – علماً يُنتفع به، ولا يفْقدُ الناس بموته عالماً ينفعهم، بل بموته يسلمون من شره»[1].

فإذا ما التزم الداعية بهذا وأخذ به فإنه سيجد الوقت الذي يتفرّغ فيه لإصلاح عيوب نفسه بدلاً من تصيُّد عيوب الآخرين كي لا يقع فيما حذَّر منه النبي ﷺ حين قال: «يبصر أحدكم القذاة[2] في عين أخيه وينسى الجِذْع[3] في عينه»[4].

فسلامة صدر الداعية إذاً تعينه على العناية بوقته والحرص عليه، والاقتداء بسلف الأمة في ذلك، فقد قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: «أدركت أقواماً كان أحدهم أَشَحَّ على عمره منه على درهمه»[5].

---

(١) رفقاً أهل السنة بأهل السنة، لعبدالمحسن البدر: ص٥٣.

(٢) القذاة: الوسخ ونحوه مما يقع في العين والماء والشراب والمراد العيب والنقيصة. (انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٣٠/٤ مادة (قذا).

(٣) الجِذْع: ساق النخلة والمراد الشيء الكبير وهو مثل لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب ما نسبته إليه كنسبة الجذع إلى القذاة. انظر: المرجع السابق: ٢٥٠/١. مادة (جذع) و ٣٠/٤ مادة (قذا).

(٤) صحيح ابن حبان: ٧٣/١٣، رقم الحديث «٥٧٦» وصححه السيوطي في الجامع الصغير: ١٣٢٨/٢، رقم الحديث (٨٠١٣).

(٥) شرح السنة للبغوي: ٢٢٥/١٤.

ورحم الله الفقيه يحيى بن محمد بن هبيرة حين قال:

والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه وأراهُ أسْهلُ ما عليكَ يضيعُ[1]

٣- تفويت الفرصة على أعداء الدعوة:

ومن الآثار الدعوية لسلامة صدر الداعية تفويته للفرص التي قد يقتنصها ويستفيد منها عدد من أعداء الدعوة الذين يحرصون على إضعاف شوكة الدعاة والمصلحين من خلال تذكية روح الاختلاف والتنازع، والشحناء فيما بينهم.

وقد أخبرنا الله - عز وجل - في كتابه الكريم عن الموقف الرائع لسلامة صدر نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال لإخوته وقد آذوه وألقوه في الجب فقال لهم بعد ما تمكن منهم: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[2].

وحرص عليه الصلاة والسلام أن يسدَّ أيَّ ثغرة يمكن أن يدخل من خلالها الشيطان بينه وبين إخوته حيث قال: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾[3]. فأضاف ما جرى بينه وبين إخوته إلى السبب وهو الشيطان ولم

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لزين الدين أبي الفرج الحنبلي: ٢٨١/١.

(٢) سورة يوسف الآية: ٩٢.

(٣) سورة يوسف الآية: ١٠٠.

يضفه إلى إخوته كي لا يثرِّب عليهم بعد أن عفى عنهم[1].

وأمر سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بعدم التنازع والتفرق فقال عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

يقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله: «وإنما كان التنازع مفضياً إلى الفشل؛ لأنه يثير التغاضب ويزيل التعاون بين القوم، ويحدث فيهم أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر، فيحدث في نفوسهم الاشتغال باتقاء بعضهم بعضاً، وتوقع عدم إلفاء النصير عند مآزق القتال، فيصرف الأمة عن التوجه إلى شغل واحد فيما فيه نفع جميعهم»[3].

فالله عز وجل أمر المؤمنين بعدم التنازع تفويتاً للفرصة على الأعداء من إذكاء هذه الخصلة الذميمة ، وإشاعتها بين المؤمنين.

بل إن الإسلام حرص على عدم التشاحن حتى بين الشخصين فضلاً عن جماعة المسلمين. فقد روى الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « تُعْرَضُ الأعمال في كل يوم خميس واثنين، فيغفر الله – عز وجل – في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً، إلاّ امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال اتركوا هذين حتى يصطلحا ،

(١) انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي: ص٤٠٥.

(٢) سورة الأنفال الآية: ٤٦.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٣٥٢/١٠.

اتركوا هذين حتى يصطلحا»[1].

ولاشكّ أنّ تعليق المغفرة بذهاب المشاحنة ، والصلح بين الشخصين دليل على اهتمام الإسلام بسلامة الصدر ودرء كل ما يحول بينها؛ لأن المسلم إذا سلم صدره، وطهر قلبه، والى إخوانه المسلمين وأحبهم، وكره أعداء الدين وحرص على تفويت أيِّ فرصة يمكن أن يدخلوا من خلالها للنيل من الإسلام والمسلمين.

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والأدب، باب النهي عن الشحناء، ص١١٢٤، رقم الحديث «٦٥٤٦».

الخاتمة

أحمد الله تعالى وأشكره حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، على ما يسر وأعان من إتمام هذا البحث عن «سلامة الصدر وأثرها في حياة الداعية» والذي تضمن مقدمة وثلاثة مباحث تحدثت في المبحث الأول عن سلامة الصدر مفهومها وفضلها واشتمل على مطلبين، وفي المبحث الثاني تطرَّقت إلى أسباب سلامة الصدر وأوضحت أهم تلك الأسباب من خلال ستة مطالب. أما المبحث الثالث فقد خصصته للحديث عن بيان أثر سلامة الصدر في حياة الداعية وتحدثت عن أبرز تلك الآثار من خلال مطلبين.

ويحسن هنا أن أذكر أهم النتائج التي تَوَصَّلْتُ إليها من خلال هذا البحث ثم أُعرِّج إلى ما ظهر لي مناسبته من توصيات ومقترحات تتعلَّق بموضوع البحث ومجاله وذلك على النحو التالي:

أولاً: نتائج البحث:

١- إنَّ الإسلام حث على سلامة الصدر، ورغّب فيها، ورتَّب عليها الفضل العظيم، والثواب الجزيل؛ مما يدلُّ على كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاج الناس إليه في أمور دينهم ودنياهم.

٢- إنَّ سلامة الصدر صفة حميدة، وخصلة كريمة، وأنها من صفة أهل الجنة في دار الخلد والكرامة.

٣- إنَّ النبي ﷺ كان أسلم الناس صدراً، وأنقاهم قلباً، وأحسنهم سريرة وعلانية.

٤- إنَّ سلامة الصدر من الصفات المكْتَسبة التي يمكن للمرء التخلق بها، من خلال مجاهدة النفس وأطَّرَها على ذلك.

٥- أهمية اتصاف الداعية إلى الله تعالى بسلامة الصدر؛ ليكون قدوة حسنة لغيره، ودعوة صامتة تؤثر أبلغ الأثر وأحسنه في الآخرين، حتى وإن كانوا من أكبر أعداء الداعية ومناوئيه.

٦- إنَّ الدعاة إلى الله – عز وجل – في هذا الزمان أحوج ما يكونون إلى الاتصاف بسلامة الصدر؛ لتعدد سبل ودواعي ما يُوغِرُ الصدور، ويُورِثُ الضغائن والأحقاد من التنافس على لُعَاعَةٍ من الدنيا والتهافت عليها من قبل الخاصة والعامة.

٧- إنَّ فساد ذات البين بين العلماء والدعاة من أبرز العوائق والعقبات التي تقف في طريق الدعوة إلى الله تعالى، وتحدُّ من انتشارها وتأثيرها.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١- أُوصي نفسي وإخواني الدعاة إلى الله تعالى بتقوى الله عز وجل، والعناية بكل ما يُعْلي من شأن الدعوة إلى الله تعالى وينهض بها.

٢- أن يحرص الدعاة إلى الله – عز وجل – على الاتصاف بسلامة الصدر للناس كافة، ولإخوانهم الدعاة خاصة الذين يشتركون معهم في همِّ حمل الدعوة وتبليغها.

٣- ضرورة تعاون الدعاة إلى الله تعالى فيما بينهم على ما اتفقوا عليه، وأن يناصح بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه، وألاّ تكون تلك المناصحة سبباً في العداوة والبغضاء فيما بينهم؛ مما يجعلهم يشغلون أوقاتهم بالردود على بعضهم البعض انتصاراً لذواتهم، وتعظيماً لأنفسهم، بينما أعداء الدعوة والمتربصون بها يعيثون في الأرض فساداً وتغريباً.

٤- العناية بدراسة سيرة الرسول ﷺ، والإفادة من مواقفه العظيمة التي تدلُّ على سلامة صدره، وحبه الخير للناس كافة؛ للاقتداء به عليه الصلاة والسلام، كما ينبغي على الدعاة وطلبة العلم الاطلاع على سِيَرِ العلماء والدعاة الذين أكرمهم الله – عز وجل – بسلامة الصدر؛ ليفيدوا منها في حياتهم العلمية والعملية.

٥- أن تتبنى الجهات التي لها علاقة بالدعوة والدعاة – سواء كانت رسمية، أو خيرية، أو تعليمية– إقامة محاضرات، وندوات، ولقاءات، حول سلامة الصدر، وضرورة تَحَلّي كل مسلم بها فضلاً عن العلماء والدعاة إلى الله تعالى.

٦- أن تنظم الجمعيات الدعوية، والمعاهد، والمراكز التدريبية المتخصصة دورات عن كيفية اكتساب المسلم لسلامة الصدر، ويكون ذلك ضمن مجال العناية بفن التعامل مع الناس؛ لعظم نفع هذه الصفة، وتعدّد ثمراتها على المسلم والمجتمع على حدٍّ سواء.

هـــذا وأســـأل الله – عـــز وجـــل – أن يجعـــل أعمالنـــا جميعـــاً خالـصـة لوجهـــه الكريـــم، وأن ينفعنـا بمـا علمنـا، وأن يزيـدنا علمـاً وعمـــلاً، وأن يستعملنا في طاعتـه ومرضاتـــه، إنـــه خـــير مأمـــول، وأعظـم مسؤول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين..

فهرس المصادر والمراجع

- «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لأبي عبدالله بن مفلح المقدسي (ط. بدون، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩١هـ).
- «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» لأبي البركات الغزي (ط. بدون مطبعة العاني، بغداد، بدون سنة طبع).
- «أخلاق العلماء» للآجري (ط. بدون، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون سنة طبع).
- «أدب الدنيا والدين» لأبي الحسن الماوردي (ط. الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: مصطفى السقا).
- «الأدب المفرد» للإمام البخاري (ط. الثالثة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.
- «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ط. الأولى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٤هـ).
- «بدائع الفوائد»لابن القيم (ط. الأولى، دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).
- «البداية والنهاية» لابن كثير (ط. الخامسة، مكتبة المعارف بيروت، ١٤٠٣هـ).
- «بستان العارفين» لابن شرف النووي (ط. الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).

- «تاريخ الإسلام» لشمس الدين الذهبي (ط. الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ) تحقيق: د/ عمر عبدالسلام تدمري.
- «التحرير والتنوير » محمد الطاهر بن عاشور (ط. بدون، الدار التونسية، ١٩٧٢م).
- «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (ط. الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٩هـ).
- «التعريفات» للجرجاني (ط. الأولى، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ) تحقيق: د/عبدالرحمن عميرة).
- «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (ط. بدون، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون سنة طبع).
- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» لابن سعدي. (ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ).
- «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (ط. الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤١٤هـ، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري).
- «جامع الترمذي» للإمام أبي عيسى الترمذي (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ط. بدون، دار الفكر، بيروت، بدون سنة طبع).

- «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (ط. بدون، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ).
- «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» لابن القيم (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة طبع).
- «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» لأبي نعيم الأصفهاني، (ط. الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ).
- «ديوان الإمام الشافعي» إعداد رحاب عكاوي (ط. الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م).
- «ذيل طبقات الحنابلة» لزين الدين أبي الفرج بن رجب الحنبلي (ط. بدون، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٢هـ).
- «رفقاً أهل السنة بأهل السنة» لعبدالمحسن العباد البدر (ط. الثانية، دار المغني، الرياض، ١٤٢٦هـ).
- «روضة العقلاء» لابن حبان البستي (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد).
- «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم (ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزميله).
- «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ).
- «الزهد» لهناد بن السري الكوفي (ط. الأولى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ، تحقيق: عبدالرحمن الفريوائي).

- «الزهد الكبير» لأبي بكر أحمد البيهقي (ط. الأولى، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عامر حيدر).
- «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» للألباني (ط. الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ).
- «سنن ابن ماجة» للإمام أبي عبدالله بن ماجة (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- «سنن أبي داود» للإمام سليمان السجستاني (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ).
- «سير أعلام النبلاء» لشمس الدين الذهبي (ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ).
- «السيرة النبوية» لأبي محمد عبدالملك بن هشام (ط. بدون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة بدون سنة طبع).
- «شرح السنة» للحسين بن مسعود البغوي (ط. الثانية، بيروت، ١٤٠٣هـ، تحقيق: زهير الشاويش وزميله).
- «شرح صحيح مسلم» للنووي (ط. الأولى، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ).
- «شعب الإيمان» لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد بسيوني).
- «صحيح البخاري» للإمام أبي عبدالله البخاري (ط. الثانية، دار السلام الرياض، ١٤١٩هـ).

- «صحيح ابن حبان» لأبي حاتم بن حبان البستي (ط. الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط).
- «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (ط. الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ).
- «صحيح سنن ابن ماجة» للألباني (ط. الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٧هـ).
- «صحيح سنن أبي داود» للألباني (ط. الثانية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢١هـ).
- «صحيح مسلم» للإمام مسلم القشيري (ط. الأولى، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ).
- «صفة الصفوة» لابن الجوزي (ط. الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمود فاخوري).
- «صيد الخاطر» لابن الجوزي (ط. بدون، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون سنة طبع).
- «طوق الحمامة في الألفة والألاَّف» لابن حزم الأندلسي (ط. بدون، المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٢٣هـ).
- «عون المعبود شرح سنن أبي داود » لمحمد العظيم آبادي (ط. الثانية، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٣٨٨هـ).
- «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني (ط. بدون، دار المعرفة، بيروت، بدون سنة طبع).

- «الفوائد لابن القيم» (ط. الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ).
- «فيض القدير» لعبدالرؤوف المناوي (ط. الأولى، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ).
- «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل» للزمخشري (ط. الأولى، دار الفكر، بيروت ١٣٩٧هـ).
- «كشاف القناع عن متن الإقناع» لمنصور البهوتي (ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).
- «لسان العرب» لابن منظور (ط. بدون، دار صادر، بيروت، بدون سنة طبع).
- «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» لأبي بكر الهيثمي (ط. بدون، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ).
- «مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية» جمع وترتيب ابن قاسم، (ط. بدون، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ).
- «محاسن التأويل» محمد جمال الدين القاسمي (ط. الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ).
- «مختار الصحاح» للرازي (ط. بدون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ).
- «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» لابن القيم (ط. الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٣هـ، تحقيق: محمد لطفي).

- «مداواة النفوس وإصلاح الأخلاق» لأبي محمد بن حزم (ط. بدون، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤م).
- «المدخل» لمحمد العبدري الشهير بابن الحاج (ط. بدون، دار الفكر، القاهرة، ١٤٠١هـ).
- «المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابوري (ط. الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا).
- «مسند الإمام أحمد» لأبي عبدالله أحمد بن حنبل (ط. الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، أشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط).
- «المعجم الأوسط» لسليمان بن أحمد الطبراني (ط. بدون، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض وزميله).
- «المعجم الكبير» لسليمان بن أحمد الطبراني (ط. الثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق: حمدي السلفي).
- «المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ط. بدون، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ).
- «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ط، الأولى، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٩٩هـ، تحقيق: د. عبدالله التركي).
- «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» لمحمد جمال الدين القاسمي (ط. بدون، دار المعرفة، بيروت، بدون سنة طبع).
- «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (ط. بدون، الناشر أنصار السنة المحمدية، تحقيق: محمود الطناحي وزميله).

البحث رقم ٢

مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

أ. د. خالد بن عبدالرحمن القريشي

الأستاذ بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

(مكانة الإفتاء في الدعوة إلى الله)

هذا المشروع الأول، يتحدث عن الآتي :

بيان مفهوم الإفتاء، وعلاقته بالدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم ذكر أهميته في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النصوص الشرعية، والواقع المعاصر، وذلك كله ليهتم العلماء والمصلحون بهذا الأسلوب لكي يؤثر في المدعوين الذين يستفتونه، ويتحقق الإقناع بما يقول، ويحدث التغيّر في سلوكهم وأخلاقهم إلى ما يراه موافقاً لشرع الله ﷻ، وهدي رسوله ﷺ .

وقد اعتَمد الباحث في ذلك على ما جاء في كتاب الله ﷻ، خير البيان، والحجة والبرهان، ثم على سنة رسول الله ﷺ، وذلك لأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى الله ﷻ، خير دعوة، فلم يسمع الناس بعد القرآن الكريم كلاماً قط، أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أكثر تأثيراً، من أحاديثه وفتاويه ﷺ، التي قلت حروفها، وكثرت معانيها، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى .

واعتمد الباحث كذلك على ما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، والعلماء الكبار ذوي الأفهام .

إذن فمن أساليب الدعوة إلى الله تعالى المهمة والمؤثرة، التي سلكها الأنبياء والمرسلون والدعاة المخلصون : أسلوب الإفتاء، وهذه الأهمية والمكانة ظهرت من خلال تقسيم هذا البحث وفق الفقرات الآتية :

- المقدمة : وتتضمن أهمية الموضوع، وتقسيم الدراسة.

- المبحث الأول : تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما .
- المبحث الثاني : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص السنة النبوية.
- المبحث الرابع : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء
- المبحث الخامس : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة .
- ثم الخاتمة، وقائمة بالمراجع، والفهارس .

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُسلِمُونَ ﴾ (١).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيباً ﴾ (٢).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً ♦ يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾ (٣). (٤)

أما بعد: فقد حرص سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، ومن يقتفي أثرهم بإحسان إلى يوم الدين، على الدعوة إلى الله بكل أسلوب ووسيلة مشروعة لنشر الإسلام بين الناس، وتبليغ دين الله وإقامة الحجة على الناس، فمثلاً: من الصحابة ﷺ، من كان يدعو إلى الله بالإنفاق من ماله: كتجهيز الجيوش، وتأليف القلوب، وإطعام الفقراء...

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية: ١.

(٣) سورة الأحزاب آية: ٧٠، ٧١.

(٤) تسمى هذه الخطبة عند العلماء بـ (خطبة الحاجة)، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، ٣/١. الطبعة الرابعة ١٤٠٥ هـ. طبع المكتب الإسلامي، بيروت.

ومنهم من كان يدعو إلى الله ببدنه : كالجهاد في سبيل الله، ومساعدة الآخرين ... ومنهم من كان يشارك بعلمه وفكره وجهده العقلي : كالمشاركة بإقامة الدروس، والخطابة، والإفتاء .. .

وكان رسول الله ﷺ -في كل مجال من مجالات العمل الدعوي السابقة-القدوة والمثل الأعلى للصحابة الكرام-والتابعين لهم بإحسان.

ومما ذكر من المجالات السابقة كانت الفتوى أساساً لرسول الله ﷺ، في نشاطه الدعوي العلمي . وكان عليه الصلاة و السلام، لا يكتفي بالإجابة على السؤال فقط، بل يحرص – من خلال الإجابة – على التوجيه والتأثير في المستفتي والسامع، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، منها : عندما جاء بلال بن رباح ﷺ، يستفتي رسول الله ﷺ، في شراء صاع من التمر الجيد بصاعين من الرديء، نهاه عن ذلك ثم دله على الطريق الصحيح فقال: « بع الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيباً [1] » [2]، فأفتاه رسول الله ﷺ، في مسألته وحذره ونهاه، ولو اكتفى رسول الله ﷺ، بذلك فقط لكانت الإجابة كاملة وكافية في بيان الحكم الشرعي، ولكن لأن رسول الله ﷺ، المفتي الداعية – بعد أن بين له الحكم – دله على الطريق الصحيح، وفتح له باباً من الحلال مع إغلاق باب الحرام، ليكون ذلك أدعى للاستجابة والتأثير .

ومثال هذا : الطبيب الناصح، يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما

---

(١) الجنيب : نوع من التمر، جيد معروف . (النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، ٣٠٤/١) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه، ١٦٠/٣، برقم ١٤٥.

ينفعه، وهذا هو شأن أطباء الأديان والأبدان [1].

هذا وقد كثُر في هذا الزمان الذين يفتون الناس، فمنهم من يفتي بعلم، وهو أهل لذلك، فيكون داعية هدى وخير، ومنهم الجاهل المتطفل الجريء، فيكون داعية ضلالة وشر، وهذا يستدعي منّا البحث والدراسة لهذا الأسلوب الدعوي المهم، والخطير أيضاً، الذي تتسابق على تقديمه للجمهور، كثير من وسائل الإعلام، كالصحف والمجلات، والإذاعات، والقنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت ..، وذلك لما يرون من إقبال الناس عليه، واهتمامهم بمتابعته، والاطلاع على ما يقدم فيه .

ومما يستدعي الكتابة عن هذا الموضوع : ظن كثير من الناس أن الحديث عن الفتوى والإفتاء، خاص بالفقهاء والحديث عنه لا يكون إلا في جانب الأحكام والأصول والقواعد الفقهية .

وهذا – بلا شك – خطأ في التصور، وتقصير من الدعاة في بيان هذا الأسلوب، وكيفية الاستفادة منه في الدعوة إلى الله تعالى، وتوظيفه في خدمة الإصلاح والتصحيح، والتوجيه والإرشاد .

وأول خطوات هذا المشروع الدعوي – الذي أنا بصدد الكتابة فيه، تجاه أسلوب الإفتاء – هو بيان مكانته في الدعوة إلى الله تعالى كأسلوب من أساليبها، وسيتلوه – بإذن الله تعالى – مجموعة من المشاريع البحثية كالحديث عن ضوابط الإفتاء الدعوي، وآداب وأساليب الإفتاء الدعوي، ووسائله القديمة والحديثة، ومزالق الفتوى والاحتساب عليها .

فلذا أقول: بعون الله وتوفيقه سيكون هذا المشروع الأول، يتحدث

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، ١٥٩/٤ .

عن الآتي :

بيان مفهوم الإفتاء، وعلاقته بالدعوة إلى الله تعالى، ومن ثم ذكر أهميته في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النصوص الشرعية، والواقع المعاصر، وذلك كله ليهتم العلماء والمصلحون بهذا الأسلوب لكي يؤثر في المدعوين الذين يستفتونه، ويتحقق الإقناع بما يقول، ويحدث التغيّر في سلوكهم وأخلاقهم إلى ما يراه موافقاً لشرع الله ﷻ، وهدي رسوله ﷺ .

وقد اعْتَمدْتُ في ذلك على ما جاء في كتاب الله ﷻ، خير البيان، والحجة والبرهان، ثم على سنة رسول الله ﷺ، وذلك لأنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ودعا إلى الله ﷻ، خير دعوة، فلم يسمع الناس بعد القرآن الكريم كلاماً قط، أعم نفعاً، ولا أصدق لفظاً، ولا أكثر تأثيراً، من أحاديثه وفتاويه ﷺ، التي قلت حروفها، وكثرت معانيها، فهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، علمه شديد القوى .

واعتمدت كذلك عن ما جاء عن سلف هذه الأمة من الصحابة الكرام، والتابعين لهم بإحسان، والعلماء الكبار ذوي الأفهام .

إذن فمن أساليب الدعوة إلى الله تعالى المهمة والمؤثرة، التي سلكها الأنبياء والمرسلون والدعاة المخلصون : أسلوب الإفتاء، وهذه الأهمية والمكانة أبينها من خلال تقسيم هذا البحث وفق الفقرات الآتية :

- المقدمة : وتتضمن أهمية الموضوع، وتقسيم الدراسة.
- المبحث الأول : تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما .
- المبحث الثاني : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم .
- المبحث الثالث : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص

السنة النبوية.

- المبحث الرابع : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في أقوال العلماء
- المبحث الخامس : المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة .
- ثم الخاتمة، وقائمة بالمراجع، والفهارس .

وبعد: لا أزعم الكمال في هذا البحث، إذ لا طاقة لي به، ولكن حسبي أن أحاول، وأن أبدأ السير متوكلاً على الله ﷻ، مستعيناً بحوله وقوته، متبرئاً من حولي وقوتي، راجياً منه القبول، سائلاً إياه التوفيق والسداد.

المبحث الأول

تعريف الإفتاء والدعوة والعلاقة بينهما

١ – تعريف الإفتاء :

إن تعريف الإفتاء وما يتعلق به من مصطلحات، ثم تعريف كلمة الدعوة وبيان المقصود بها، يكشف لنا مدى العلاقة بينهما، والنقاط التي يتفق فيها الإفتاء مع الدعوة، ومن هنا نبدأ :

بتعريف الإفتاء لغة : فأفتاه في الأمر : أبانه له . وأفتى الرجل في المسألة، واستفْتَيْتهُ فيها فأفتاني إفتاءً. واستفتاه: سأله رأيه في المسألة . والفتوى: بالواو وبفتح الفاء، وبالياء فتضم (الفتيا)، هي: اسم من (أفتى) العالم، إذا بين الحكم. و(استفيته) سألته يفتي. والفتيا والفَتوى والفُتوى : ما أفتى به الفقيه . يقال : أفتاه في المسألة، يفتيه، إذا أجابه [١] .

وأما الإفتاء اصطلاحاً هو : (إخبار عن حكم الله) [٢]. وقيل: (بيان الحكم) [٣] .

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناحي، طاهر الزاوي، ٤١١/٣، طبعة ١٣٩٩هـ، طبع المكتبة العلمية، بيروت . ولسان العرب، لابن منظور، مادة (فتا)، ٣٣٤٨/٦ ، ط دار المعارف . والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (فتاه)، ٦٧٣/٢، ط دار الدعوة، تركيا . والمصباح المنير، للفيومي، مادة (الفتي)، ٤٦٢/٢، ط المكتبة العلمية، بيروت .

(٢) أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان، ص١٥١، الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ، ط مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٣) صلاح العالَم بإفتاء العالِم، حامدبن علي العمادي، تحقيق / علي حسن علي عبد الحميد، ص٤، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، طبع دار عمار، الأردن .

والمفتي: هو (المخبر بحكم الله تعالى لمعرفته بدليله) [1] . وقيل : المفتي هو : من يقوم بالإفتاء ويتصدى لها بين الناس [2].

والفتوى والفتيا : ذكر الحكم المسؤول عنه للسائل [3] .

ويقول الإمام ابن بطة – رحمه الله تعالى – : (إن الفتوى عند أهل العلم، تعليم الحق والدلالة عليه، قال الله ﷻ : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ﴾[4]، يقول : يستعلمونك قال الله : يعلمكم الحق، ويدلكم عليه. وقول الله ﷻ: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾[5]، فالفتوى هي تعليم الحق، والدلالة عليه) [6].

إذن فالفتوى : هي بيان الحق والدلالة عليه، في قضية من القضايا، جواباً عن سؤال سائل معين ، أو مبهم ، أو فرد ، أو جماعة[7] .

---

(١) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان الحراني الحنبلي، تحقيق/محمد ناصر الدين الألباني، ص٤، الطبعة الثالثة١٣٩٧ هت، ط المكتب الإسلامي، بيروت .

(٢) انظر : المعجم الوسيط، ، مجموعة من العلماء، مادة (فتاه)، ٦٧٤/٢، . وأصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص١٥١.

(٣) التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق/ محمد رضوان الداية، ٥٥٠/١، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، طبع دار الفكر، بيروت .

(٤) النساء : من الآية ١٧٦ .

(٥) يوسف: من الآية ٤٦ .

(٦) إبطال الحيل، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، تحقيق زهير الشاويش، ٣١/١، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، طبع المكتب الإسلامي، بيروت .

(٧) انظر : الفتوى بين الانضباط والتسيب، يوسف القرضاوي، ص١١، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، ط دار الصحوة للنشر، القاهرة .

٢ – وبعد تعريف الإفتاء، ننتقل إلى تعريف الدعوة، وذلك للوصول إلى العلاقة والرابط الذي بينهما، فنقول:

الدعوة لغة: من دعا بالشيء، دعواً، ودعوة، ودعاءً، ودعوى: طلب إحضاره. ودعوت الله: أدعوه، دعاءً، ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير. ودعوت زيداً: ناديته، وطلبت إقباله. ودعوت الولد زيداً، أو بزيدٍ، إذا سميته بهذا الاسم. وادعيت الشيء: تمنيته. وتداعى الناس على فلان: تألبوا عليه. وتداعى البنيان: تصدع من جوانبه، وآذن بالسقوط. وتداعوا بالألقاب، دعا بعضهم بعضاً بذلك[١].

والدعوة في الاصطلاح لها عدة تعريفات، منها:

أولاً: قيل هي: (مجموعة القواعد والأصول، التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه)[٢].

ثانياً: وقيل الدعوة هي: (البيان والتبليغ لهذا الدين، أصولاً، وأركاناً، وتكاليف، والحث عليه، والترغيب فيه)[٣].

ثالثاً: وقيل الدعوة: إنها (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة، الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، مما حوى، عقيدةً،

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (دعا)، ٣/١٣٨٥- ١٣٨٨. والمعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، مادة (دعا)، ١ /٢٨٦، والمصباح المنير، للفيومي، مادة (دعا)، ١/١٩٦.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتوح البيانوني، ص١٤، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ، ط دار الرسالة، بيروت.

(٣) فصول في الدعوة الإسلامية، حسن عيسى عبد الظاهر، ص٢٦، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ط دار الثقافة، قطر، الدوحة.

وشريعة، وأخلاقاً) [1] .

ومن هنا تظهر العلاقة بين تعريف الإفتاء وتعريف الدعوة:

في أن الإفتاء الذي هو إخبار بحكم الله تعالى، وتبليغ عن الله ﷻ، يشترك مع تعريف الدعوة في أنه نوع من أنواع الإخبار، والتبليغ لدين الله، والنشر لأحكامه، وفي أنه أحد فنون الدعوة وأساليبها المتعددة، كالحوار، أو الخطابة، أو الندوة، أو المحاضرة، أو الدرس، وغيرها من الأساليب الدعوية، ولذا قيل عن الإفتاء: إنه (قيام المفتي بجواب المستفتي ، وهو في حقيقته تبليغ عن الله تعالى، وإخبار عما شرعه لعباده من أحكام)[2]، أي : أنه دعوة وتبليغ للدين، وسعي من المفتي – الداعية إلى الله تعالى – من خلال هذا الأسلوب المهم في نشر الإسلام، وتعليم الجاهلين أمور دينهم، وحثهم على العمل به .

---

(١) الدعوة الإسلامية : أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، ص١٠، طبعة ١٣٩٩هـ، ط دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة بيروت .

(٢) أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان، ص١٦٠ .

المبحث الثاني

المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص القرآن الكريم

إن المتأمل في نصوص القرآن الكريم، يجد فيها إبرازاً لمكانة الفتوى في الدعوة إلى الله، كأسلوب له تأثيره، وأهميته في نشر العقيدة والفقه والأخلاق، وأنه باب طرقه الأنبياء والعلماء، كان له التأثير الكبير، وذلك كله يظهر من خلال الآتي :

أولاً – أن الله ﷻ، هو الذي يفتي عباده فيما يحتاجون إليه :

إن أعظم ما يبين مكانة الإفتاء كأسلوب دعوي، أن الله ﷻ، تولى بنفسه – في بعض نصوص كتابه الكريم – إفتاء الناس في بعض المسائل والقضايا التي وقعت لهم، ومن ذلك :

١ – قوله ﷻ، لمن سأل عن الأهلة ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَاكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ البقرة (١٨٩).

٢ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الأحق بالصدقة ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة ٢١٥)

٣ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن القتال في الأشهر الحرم ؟ : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (البقرة ٢١٧).

٤ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن حكم الخمر والميسر، قبل تحريمهما

القطعي ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (البقرة ٢١٩).

٥ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن اليتامى ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (البقرة ٢٢٠).

٦ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن إتيان المرأة وهي حائض ؟ : ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة ٢٢٢).

٧ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الميت الذي ليس له ولد ولا والد ؟ : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ ... ﴾ (النساء ١٧٦).

٨ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الحلال من الأطعمة ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (المائدة ٤).

٩ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن موعد قيام القيامة ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ١٨٧)، وقوله ﷻ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ ﴾ (النازعات ٤٢).

١٠ – وقوله ﷻ - لمن سأل عن غنائم الحرب ؟ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الانفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن

﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال ١).

١١ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الوعيد حق ؟ أو هل الشرع والدين حق ؟ ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ (يونس ٥٣) .

١٢ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن الرجل الصالح ذي القرنين: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ﴾ (الكهف ٨٣).

١٣ – وقوله ﷻ، لمن سأل عن حقيقة الروح: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الإسراء ٨٥)

١٤ – وقوله ﷻ، عن حال الجبال يوم القيامة ؟: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾ (طه ١٠٥).

فهذه آيات بيّنات يفتي فيها ملك الملوك العليم الخبير، في مسائل متعددة، وقضايا مختلفة، تأكيداً على هذا الأسلوب العظيم، وتعظيماً لأهميته، وأنه شديد التأثير والتغيير في نفوس السائلين .

يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى – عند تفسير آيات سورة النساء السابقة : (الاستفتاء طلب السائل من المسؤول : ببيان الحكم الشرعي في ذلك المسؤول عنه، فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون الرسول ﷺ في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه، فقال : (قل الله يفتيكم فيهن) فاعملوا على ما أفتاكم به ...) [1].

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – في بيان هذا الشرف والمكانة العظيمة لأسلوب الإفتاء الذي تولاه الله ﷻ بنفسه : (فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب ؛ أن يعدّ له عدّته، وأن يتأهّب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٢٠٦/١ .

الحقّ، والصّدع به، فإن اللّه ناصره وهاديه، وكيف وهو المنصب الذي تولّاه بنفسه ربّ الأرباب، فقال تعالى: ﴿ **وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وما يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ** ﴾، وكفى بما تولّاه اللّه تعالى بنفسِهِ شرفاً وجلالة، إذ يقول في كِتابِهِ: ﴿**يستفتونك قل اللّه يفتيكم في الكلالةِ** ﴾، ولِيعلم المفتِي عمّن ينوب في فتواه، ولِيوقِن أنّه مسؤول غداً وموقوفٌ بين يدي اللّهِ)[1].

ثانياً – استخدام الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لأسلوب الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى :

فمما يبين هذه المكانة الدعوية للإفتاء أن الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – تولوا بأنفسهم الإفتاء للناس والإجابة عن أسئلتهم، مهما تعددت، وتنوعت، فمثلاً ذكر الله في كتابه العزيز أن نبي الله يوسف – عليه السلام – عندما جاءه من يستفتيه وهو في السجن، أنه استغل الفرصة للدعوة إلى الله ﷻ، إذ يقول الله ﷻ، في ذكر قصته: ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدهمَا إِنِّي أَرَانِي أَعصِر خَمراً وَقَالَ الآخَر إِنِّي أَرَانِي أَحمِل فَوقَ رَأسِي خبزاً تَأكل الطَّير مِنه نَبِّئنَا بِتَأوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحسِنِينَ ◆ قَالَ لا يَأتِيكمَا طَعَامٌ ترزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأتكمَا بِتَأوِيلِهِ قَبلَ أَن يَأتِيَكمَا ذَلِكمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكت مِلَّةَ قَومٍ لا يؤمِنونَ بِاللَّهِ وَهم بِالآخِرَةِ هم كَافِرونَ ◆ قَالَ لا يَأتِيكمَا طَعَامٌ ترزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأتكمَا بِتَأوِيلِهِ قَبلَ أَن يَأتِيَكمَا ذَلِكمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكت مِلَّةَ قَومٍ لا يؤمِنونَ بِاللَّهِ وَهم بِالآخِرَةِ هم كَافِرونَ...** ﴾[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١١/١ .

(٢) سورة يوسف، الآيات : ٣٦ إلى ٤١ .

ثالثاً – الوعيد الشديد لمن كتم العلم ولم يجب السائل:

إن من النصوص التي عَظَّمَت الإجابة عن أسئلة السائلين، وأنه لا مناص من الإجابة عند السؤال لمن عنده علم بالجواب، قول الله ﷻ: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعده ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ (سورة البقرة ١٥٩، ١٦٠)، وقوله ﷻ: ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ﴾ (البقرة ١٧٤)، وقال تعالى: ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ﴾، (آل عمران ١٨٧) .

يقول العلامة ابن سعدي – رحمه الله تعالى –: هذه الآيات وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول ﷺ، وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق، المظهرات له، والهدى، وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما مَنَّ الله به عليهم من علم الكتاب، ولا يكتمونه، فمن نبذ ذلك، وجمع بين المفسدتين، كَتْم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يلعنهم الله، أي يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته [1] .

فأسلوب هذا حكمه: الإجابة فيه عن الأسئلة من العلماء حتماً، ولا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ٧٧/١ .

مفرّ منها، بل : وفي حال الامتناع مع العلم، وزوال الموانع، يترتب على ذلك العقاب، والوعيد الشديد من الله تعالى ؛ لاشك أنه يعطي الصورة الكبيرة في بيان ما له من مكانة دعوية، وأهمية عظيمة في كتاب الله ﷻ، وهذا لشدة حاجة الناس إليه، وعظم تأثيره على دينهم وحياتهم .

المبحث الثالث

المكانة الدعوية للإفتاء من خلال النظر في نصوص السنة النبوية

إن الناظر في سنة رسول الله ﷺ، يجد فيها نصوصاً كثيرة، ومواقف متعددة، يظهر منها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة، وأهمية واضحة، كأسلوب من أساليب الدعوة والإرشاد، وتصحيح أخطاء الناس، والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب، فلذا كان هذا المبحث – الذي يظهر هذه المكانة – وفق الجوانب الآتية :

أولاً : الفتوى قد تكون سبباً في قتل المفتي (الداعية) :

إن أهمية الفتوى في الدعوة إلى الله، وقوة تأثيرها، تظهر من خلال أنها قد تكون سبباً في قتل المفتي، فما حدث للراهب – غير العالم – الذي أفتى لقاتل التسعة و التسعين نفساً أن ليس له توبة، فأكمل به المائة، يظهر منه مدى أثر الفتوى الكبير، وعظم أهميتها، وخطورتها على المفتي والمستفتي، وعندما أفتى العالم بأن له توبة، وأرشده إليها، تاب وتاب الله عليه، يقول رسول الله ﷺ: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً . فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب . فأتاه فقال : إنه قتل تسعة و تسعين نفساً، فهل له توبة ؟ فقال : لا . فقتله . فكمل به مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم . فقال : إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال : نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا . فإن بها أناساً يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت،

فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله . وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم . فقال : قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما أدنى فهو له، فقاسوها فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»[1] .

ثانياً – الفتوى قد تكون سبباً في قتل المستفتي :

فكما أن أهمية الفتوى كأسلوب دعوي، ومكانة كبيرة في حياة الناس، ظهرت في المثال السابق بأنها قد تكون سبباً في قتل المفتي، فهي كذلك قد تكون سبباً في قتل المستفتي كذلك، وهذا يشهد له حديث جابر ﷺ، عندما قال : خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه، فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات . فلما قدمنا على النبي ﷺ، أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر – أو يعصب– على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده »[2].

فكم تسببت فتوى في غير مكانها : من قتلٍ وهَدْرٍ للأرواح، على مَرِّ التاريخ، فحالات كثيرة قد يستعجل فيها طالب العلم فيفتي بغير علم، فيقتل ويتسبب في موت المستفتي، أما الجهال الذي يفتون، والجهال الذين يستفتون من ليس لديه علم، فحدث ولا حرج، فهم كثير جداً .

---

(١) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل، ٢١١٨/٢، برقم ٢٧٦٦ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المجروح يتميم، ٩٣/١، برقم ٣٣٦ . وقال عنه الألباني : صحيح . (انظر : صحيح سنن أبي داود، ٦٨/١) .

ومن الصور والحالات التي تكون فيها الفتوى سبباً في قتل المستفتي، إفتاء بعض العوام بعضهم لبعض عند اشتداد الزحام حول الجمرات بضرورة الرمي ودخول الزحام، وإلزام المرأة والصغير والضعيف والمريض بذلك، فيتسببون في شر كبير، وظلم عظيم.

ثالثاً – نصوص عامة تبين أهمية الفتوى في التأثير في الناس :

هذا وقد جاءت نصوص كثيرة تبين أهمية الفتوى وخطورتها في التأثير على الناس، يقول ﷺ : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار »[1] .

فهذا الوعيد والتحذير الشديد من الجرأة على الفتيا لخطورتها، وأهميتها في التأثير على الناس، فالرسول ﷺ، يحذر منها حتى لا تكون إلا بعلم، وعلى نور وبصيرة، لا على جهلٍ وضلال، فيعم الجهل والضلال بين الناس.

ويوضح ذلك قوله ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهلاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »[2] .

وبالمقابل لهذا الوعيد والنهي عن الفتوى بغير علم، وبتسرع وعجلة، يأتي النهي عن كتم العلم، وعدم الإجابة على السائل، يقول ﷺ : «من سئل عن علم يعلمه فكتمه، أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار »[3] .

---

(١) سنن الدارمي، باب الفتيا وما جاء فيها من شدة، ٥٧/١ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ٦٠/١ .

(٣) سنن ابن ماجه، باب من سئل عن علم فكتمه، ٩٨/١، برقم ٢٦٦ . (وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٤٩/١) .

المبحث الرابع

المكانة الدعوية للإفتاء

من خلال النظر في أقوال العلماء

توجد أقوال كثيرة للصحابة الكرام ﷺ، والأئمة الأعلام، مبثوثة في كتب التفسير، والسنة وشروحها، وغيرهما من الفنون، يتبين من خلالها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة في الدعوة إلى الله تعالى، بنشر الدين، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وما يحتاجون فيهما من معلومات، وتوجيهات.

ولكثرة هذه الأقوال، وتنوعها، سأختار منها عينة تصور حقيقة هذه المكانة الدعوية لأسلوب الإفتاء، وألخصها تحت العناوين الآتية:

١- حثّ من كان عالماً على التصدر لإفتاء، ونهي غيرهم عنه:

ورد عن الصحابة الكرام، والأئمة الأعلام: في أن العلماء هم الذين ينبغي لهم التصدر للإفتاء، وأن لا يفتي إلا العالم؛ وذلك لخطورة الفتوى، ومكانتها الكبيرة في التأثير على الآخرين سلباً، أو إيجاباً.

فعَن زِيَادِ بنِ حدَيرٍ قَالَ: قَالَ لِي عمَر ﷺ: هَل تَعرِف مَا يَهدِم الإِسلَامَ؟ قَالَ: قلت: لا! قَالَ: يَهدِمه زَلَّة العَالِمِ، وَجِدَال المنَافِقِ بِالكِتَابِ، وَحكم الأَئِمَّةِ المضِلِّينَ[1].

ومن هذا الباب: قول الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى-: (لا يجوز الإفتاء: إلا لرجل عالم بالكتاب والسنة - وقال في رواية حنبل -

(١) الدارمي، المقدمة، باب كراهية أخذ الرأي، برقم ٢١٦.

ينبغي لمن أفتى أن يكون عالماً بقول من تقدم، وإلا فلا يفتي)[1].

وذُكر عن الإمام مالك – رحمه الله تعالى – أنه قال : (أخبرني رجل أنه دخل على ربيعة، فوجده يبكي، فقال : ما يبكيك ؟ أمصيبة دخلت عليك ؟ وارتاع لبكائه، فقال : لا، ولكن استفتي من لا علم له، وظهر في الإسلام أمر عظيم . قال ربيعة : ولبعض من يفتي ههنا، أحق بالحبس من السراق)[2].

وهذا التشديد من العلماء – رحمهم الله تعالى – هو من باب بيان مكانة الإفتاء، وعظم شأنه، يقول القاضي أبو يعلى – رحمه الله تعالى –: (وهذا محمول على الاحتياط، والتغليظ في الفتوى)[3].

٢– اشتراط مجموعة من الصفات المهمة لمن يتصدى للإفتاء :

يذكر العلماء – رحمهم الله تعالى – مجموعة من الصفات، والخصال العظيمة التي ينبغي توافرها لمن يتصدى للفتوى، وذلك لأهميتها في تحقيق التأثير على المستفتين، وحثهم على الاستجابة لجواب المفتين، ومن ذلك اشتراطهم خمس خصال[4]، وهي :

إحداها: أن تكون له نية، أي أن يخلص في ذلك لله تعالى ولا يقصد رياسة ولا نحوها، فإن لم يكن له نية ؛لم يكن عليه نور، ولا على كلامه نور . وذلك استدلالاً بقوله ﷺ : " إنما الأعمال بالنيات ولكل

(١) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/ ١٥٧ .

(٢) بدائع الفوائد، ٣/٧٩٤ .

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٤/١٥٧ .

(٣) انظر : كشاف القناع، منصور بن يونس البهوتي، تحقيق/ هلال مصيلحي، ٦/٢٩٩، طبعة ١٤٠٢هـ، دار الفكر، بيروت .

امرىء ما نوى "[1].

الثانية: أن يكون له حلم، ووقار، وسكينة، وإلا لا يتمكن من فعل ما تصدى له من بيان الأحكام الشرعية، بسبب ما قد يتعرض له من استفزاز من المستفتين، وكذلك لتاثير هذه الصفات فيهم.

الثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه، وعلى معرفته، وإلا فقد عرض نفسه لعظيم.

الرابعة: الكفاية وعدم النظر إلى ما في أيدي المستفتين، وإلا أبغضه الناس، فإنه إذا لم تكن له كفاية، احتاج إلى الناس، وإلى الأخذ مما في أيديهم، فيتضررون منه، ولا يستجيبون له.

الخامسة: معرفة الناس، أي ينبغي للمفتي أن يكون بصيراً بمكر الناس، وخداعهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذراً فطناً مما يصورونه في أسئلتهم، لئلا يوقعوه في المكروه، ويؤيده قول مطرف بن عبد الله – رحمه الله تعالى – ويؤيده قول النبي ﷺ: " احترسوا من الناس بسوء الظن "[2].

٣ – تهيب السلف الصالح – رحمهم الله – من الفتوى:

فالفتوى وإن كانت تبليغاً لشرع الله، وقياماً بواجب ديني، إلا أن صاحبها معرض للخطأ، وهنا كان السلف الصالح يتهيبون من الفتوى، مع صلاحيتهم لها، ويود كل واحد منهم أن يقوم غيره بها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، برقم١ وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، برقم١٩٠٧.

(٢) سنن البيهقي الكبرى، برقم٢٠٢٠٣، ١٢٠/١٠. وقال عنه الهيثمي: (رواه الطبراني في الأوسط وفيه بقية بن الوليد وهو مدلس وبقية رجاله ثقات) مجمع الزوائد، ٨٩/٨.

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى – رحمه الله تعالى – قال : (أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، يسأل أحدهم عن مسألة، فيردها هذا وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول) [1] .

٤– طلب العلماء من الولاة الاحتساب على من هو غير مؤهل للفتيا :

الاحتساب له مجالات كثيرة، ومتنوعة بتنوع الحياة وأشكالها، ومن ذلك حرص العلماء على التأكيد على الولاة، والأمراء، وأصحاب السلطان، أن يكون من مجالات احتسابهم، منع من يتطفل على العلم، والعلماء من الإفتاء، يقول الخطيب البغدادي – رحمه الله تعالى – : (وينبغي للإمام أن يتصفح أحوال المفتين، فمن صلح للفتيا: أقره، ومن لا يصلح منعه، ونهاه أن يعود، وتواعده بالعقوبة إن عاد)[2] .

قال أبو الفرج ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – عن المتطفلين على الفتوى : (ويلزم ولي الأمر منعهم كما فعل بنو أمية، وهؤلاء بمنزلة من يدل الركب وليس له علم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يرشد الناس إلى القبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب، وهو يُطَبِّبُ الناس، بل هو أسوأ حالاً من هؤلاء كلهم، وإذا تعين على ولي الأمر منع من لم يحسن التطبب من مداواة المرضى، فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة !! ولم يتفقه في الدين !) [3].

---

(١) أدب الفتيا، جلال الدين السيوطي، ص٤٢، الطبعة الأولى١٤٠٥هـ، ط المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٢٥٦/٤ .

(٣) إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٢١٧/٤ .

ويذكر ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – أنه كان شديداً على المفتين الجهلة، وأنه يحتسب عليهم، فقال: و (كان شيخنا – رضي الله عنه– شديد الإنكار على هؤلاء فسمعته يقول: قال لي بعض هؤلاء: أجعلت محتسباً على الفتوى ؟ ! فقلت له: يكون على الخبازين والطباخين محتسب، ولا يكون على الفتوى محتسب) [1].

وأما الطريقة التي يعرف بها المحتسب – الذي قد يكون من العوام– المؤهل للفتيا وغير المؤهل فقد أشار العلماء إلى ذلك بقولهم: (وطريق الإمام إلى معرفة من يصلح للفتوى: أن يسأل علماء وقته، ويعتمد أخبار الموثقين بهم) [2].

فهذا الإمام مالك – رحمه الله تعالى – مع جلالته وعلو مكانته يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك – وفي رواية – ما أفتيت حتى سألت من هو أعلم مني، هل تراني موضعاً لذلك ؟ و قال الإمام مالك ولا ينبغي لرجل أن يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من هو أعلم منه [3].

٥ – تأكيد العلماء على أهمية قول المفتي: لا أدري، إذا لم يعرف الجواب:

إن مما ينبغي العلم به: أن كل عالم لا يستطيع الإفتاء والإجابة عن كل سؤال يرد عليه، فلذا جاء التأكيد من العلم على أن قول: لا أدري، نصف العلم، وأن هذه الكلمة مما ينبغي لكل عالم تعلمها، واللجوء إليها، قال الإمام أبو داود – رحمه الله تعالى –: ماأحصي ما سمعت الإمام

---

(١) المرجع السابق، ٢١٧/٤ .

(٢) المرجع السابق، ٢٥٦/٤ .

(٣) المرجع السابق، ٢٥٦/٤ .

أحمد سئل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم ؟ فيقول : لا أدري . قال : وسمعته يقول : ما رأيت مثل ابن عيينة في الفتوى ! أحسن فتيا منه، كان أهون عليه أن يقول : لا أدري [1] .

ومن القصص المشهورة في هذا الباب، قصة الإمام مالك – رحمه الله تعالى – مع الرجل الذي جاء من الغرب، ليسأله عن مسألة ؟ فقال له : لا أدري ! فقال : يا أبا عبد الله، تقول : لا أدري، قال : نعم، فأبلغ من وراءك أني لا أدري [2] .

وكان السلف من الصحابة ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، يكرهون التسرع في الفتوى ، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة، أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى [3] .

---

(١) انظر : المدخل، عبد القادر بدران الدمشقي، تحقيق د/ عبدالله التركي، ١٢٠/١، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢) انظر : إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزية، ٢٥٦/٤ .

(٣) المرجع السابق، ٢٥٦/٤ .

المبحث الخامس

مكانة أسلوب الإفتاء من خلال النظر إلى الحياة المعاصرة

إن الناظر في حال الناس في العصر الحاضر مع الفتوى والإفتاء، لابد وأن يطرح على نفسه مجموعة من الأسئلة المهمة، منها : لما ينال بعض برامج الفتوى، متابعة الجمهور الكبير من الناس، ويشتهر بينهم ؟

والآخر من البرامج : يقل المتابع له، بل ينفرون منه، ومما يقدم فيه؟

- هل هذا بسبب نوعية الوسيلة التي يقدم فيها البرنامج – قناة فضائية، إذاعة، إنترنت .. ؟
- أم أنه بسبب شخصية المفتي وشهرته، ومراعاته لآداب الإفتاء وضوابطه؟
- أم أنه بسبب طريقة الإفتاء وأساليبه ؟

لا شك أن هذا يعود إلى أسباب كثيرة : منها ما يتعلق بالمفتي، ومنها ما يتعلق بالأسلوب، ومنها ما يتعلق بالوسيلة، إلى غير ذلك من الأمور التي يترتب عليها النجاح، والإقبال، والاستجابة من الناس، بل والعمل بها، أو عدمه، والنفور منها .

إن الناظر في واقع الناس اليوم، يخرج بنتيجة مفادها أن حال الفتوى وواقعها، يشهد بقيمتها العظيمة، وأثرها الكبير في حياة الناس، فمثلاً : برامج الفتوى (الإذاعية، أو التلفزيونية)، أصبحت محل اهتمام القائمين على هذه الأجهزة الإعلامية، وذلك لما يرون من الإقبال الكبير عليها من جمهور الناس، خاصة وأن الكثير منهم يبحث عن أكبر قاعدة جماهيرية

لجهازه الإعلامي ؛ لتحقيق الربح الكبير، لأن شركات ومؤسسات الدعاية والإعلان تبحث عن الجهاز الإعلامي – في الغالب – الأكثر مشاهدين، ومستمعين، وكذلك قيمة الإعلان ترتفع، وتنخفض بحسب عدد الجمهور والمتابعين، وهذا هو السبب الرئيس في حرص كثير من مواقع الإنترنت على تسجيل عدد الزائرين يومياً، فكلما ارتفع العدد ؛ زاد عدد الإعلانات، وارتفع أجرها .

وهذا ما دفع بعض المؤسسات الإعلامية أن تجعل برامج الإفتاء في أفضل، وأهم أوقات اليوم، (مثلاً : من بعد العصر إلى المغرب في رمضان)، وبعد الظهر في يوم الجمعة من الأسبوع، وبعد العشاء في سائر الأيام .

وكذلك يجد المتأمل أن الصحف اليومية أصبحت لا تخلو من ركن، أو صفحة – في كل عدد يصدر لها – خصصتها للإجابة عن أسئلة المستفتين .

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء من خلال النظر في حياة الناس وواقعهم، ما نشاهده من تسابق الناس على العلماء وطلبة العلم بطرح الأسئلة عليهم واستفتائهم .

فمثلاً : إذا كانت وليمة وحضرها عالم ما ؛ انصرف الناس عن حديثهم إلى طرح الأسئلة، والإنصات من الجميع حينما يطرح من جواب.

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء في الدعوة إلى الله تعالى من خلال النظر إلى واقع الناس، ما نشاهده من إقبال جميع الناس عليه بجميع فئاتهم وأصنافهم وأعمارهم وأحوالهم، فالصغير والكبير، والرجل والمرأة، والغني والفقير ..، كلهم بغير استثناء يقبل على السؤال والإجابة عنه، لأن هذا الأسلوب يثير فيهم التشويق، وحب المعرفة للمجهول عند طرحه عليهم .

ومما يؤكد على أهمية الإفتاء : هذا الحرص من أصحاب السلطان على تأييد أفعالهم وأقوالهم بالفتاوى :

ومما يبين أهمية الفتوى في التأثير والتوجيه، ما نراه من القادة والحكام –مع جبروت وتسلط بعضهم– منذ القدم على تأييد أقوالهم، وأفعالهم، وما يريدونه من الناس، بالفتاوى من العلماء، ليأخذ صبغة وشرعية أقوى، وليكون العمل، والالتزام به أكبر وأشد .

وكذلك أيضاً مما يزيد أسلوب الفتوى خصيصة وأهمية أن السائل هو الذي يأتي، ويسأل ليعرف حكماً، أو علماً، ويرفع جهلاً . إذن روح الاستعداد الاستجابة موجودة، لا تحتاج إلا الجهد يسير وفق ضوابط وآداب معينة، ذكرها العلماء وبينوها في كتبهم [1] .

(١) من أفضل ما اطلع عليه الباحث في هذا الباب، ما كتبه العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه النفيس، إعلام الموقعين عن رب العالمين، وخاصة الجزء الرابع منه .

الخاتمـــة

الحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشكره ﷻ، على توفيقه، وتيسيره لي في كتابة هذا البحث، وإتمامه على الوجه الذي لا أدعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جهدي وفكري، وأفرغت فيه الوسع، مع اعترافي بالعجز والتقصير، ويقيني أن ما لا يدرك كله ؛ لا يترك كله .

ثم إني أناشد كل ناظر عن علم في بحثي هذا، أن يغض الطرف عما نب به القلم، أو زلّ به العقل، وأن يمحو سيئات هذا البحث بحسناته، وأن ينبهني مشكوراً إلى ما وقعت فيه من الخطأ، وأن يدعو لي ولوالدي وجميع المسلمين بالعفو والغفران .

هذا وقد تجلى في هذا البحث عدة أمور، منها :

١ – إنّ الإفتاء – الذي هو إخبار بحكم الله تعالى، وتبليغ عن الله ﷻ – يشترك مع تعريف الدعوة في أنه نوع من أنواع الإخبار والتبليغ لدين الله، والنشر لأحكامه، وفي أنه أحد فنون الدعوة وأساليبها المتعددة، كالحوار، أو الخطابة، أو الندوة، أو المحاضرة، أو الدرس، وغيرها من الأساليب الدعوية.

٢ – إنّ المتأمل في نصوص القرآن الكريم، يجد فيها إبرازاً لمكانة الفتوى في الدعوة إلى الله كأسلوب له تأثيره وأهميته، وذلك من خلال مجموعة من النقاط :

- إنّ الله ﷻ، هو الذي يفتي عباده فيما يحتاجون إليه .
- استخدام الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – لأسلوب الإفتاء في

الدعوة إلى الله تعالى .

- الوعيد الشديد لمن كتم العلم ولم يجب السائل .

٣ – إنّ الناظر في سنة رسول الله ﷺ، يجد فيها نصوصاً كثيرة، ومواقف متعددة، يظهر منها ما لأسلوب الإفتاء من مكانة كبيرة، وأهمية واضحة، كأسلوب من أساليب الدعوة والإرشاد، وتصحيح أخطاء الناس، والأخذ بأيديهم إلى جادة الحق والصواب .

٤ – كثرة أقوال الصحابة الكرام ﷺ، والأئمة الأعلام، المبثوثة في كتب التفسير، والسنة وشروحها، وغيرهما من الفنون، التي يتبين من خلالها المكانة الكبيرة لأسلوب الاستفتاء في الدعوة إلى الله تعالى، بنشر الدين، وتعليم الناس أمور دينهم ودنياهم، وما يحتاجون فيهما من معلومات وتوجيهات .

٥ – إنّ الناظر في واقع الناس اليوم، يخرج بنتيجة مفادها أن حال الفتوى وواقعها، يشهد بقيمتها العظيمة، وأثرها الكبير في حياة الناس، وذلك من خلال اهتمام وسائل الإعلام ببرامج الإفتاء، وحرص الأمراء والقادة واهتمامهم بها، وكذلك مما يبين أهمية هذا الأسلوب ما نشاهده من تسابق الناس على العلماء وطلبة العلم بطرح الأسئلة عليهم واستفتائهم .

هذا والله أعلم وأحكم،
وصلى الله على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

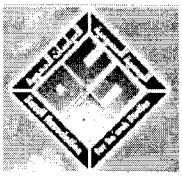

البحث رقم ٣

دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها

إعداد

د. علي بن أحمد الأحمد

عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث "دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها"

رصدت الدراسة عدداً من رجالات النصارى الذين قدم النبي ﷺ لهم الدعوة ممن عاصروه بأصنافهم المتنوعة مع إبراز معالم دعوته لهم ، مقرونة بنكات علمية وإشارات مهمة للعلماء في عموم مجال الدعوة إلى الله تسهم في إنارة الطريق للدعاة في العصر الحاضر .

والموضوع استمد أهميته من خلال ما يلي:

١- أن طرق هذا المجال إسهام جلي في الذب عن المصطفى ﷺ ونصرة له أمام المنصفين من النصارى في ظل التطاول المتتالي على مقامه الكريم من قبل بعض المغرضين .

٢- أن إبراز قيام النبي ﷺ بدعوة نصارى زمنه ، وحرصه على هدايتهم ؛ تأكيد على شفقته ورحمته بالنصارى وهى إحدى أوصافه الكريمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم .

٣- أن دعوته ﷺ للنصارى تتضمن معالم مهمة لها فائدتها في حقل دعوة النصارى التي من خلالها يستلهم الدعاة ما يسهم في نجاح دعوتهم المقدمة للنصارى في العصر الحاضر .

وجاءت الدراسة في ثلاثة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول: اشتمل على مبحثين الأول : عالمية الدعوة ، والثاني : حرص النبي ﷺ على هداية النصارى.

والفصل الثاني : دعوة النبي ﷺ للنصارى ومعالمها ، تناوله الباحث من خلال مبحثين : الأول بعنوان : دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها والثاني : دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى ومعالمها.

أما الفصل الثالث : ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى فجاء في مبحثين هما : تحقق مقاصد الدعوة الكبرى ، ثم بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة .

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسـولـه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ (٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من المعلوم أن حاجة البشرية إلى الدعوة أعظم من حاجتها إلى أي أمر

---

(١) سورة: آل عمران، آية: ١٠.

(٢) سورة: النساء، آية: ١.

(٣) سورة: الأحزاب، آية ٧٠ – ٧١.

آخر، ولذا بعث الله الأنبياء وأنزل الكتب، فكان كل نبي يدعو قومه إلى دين الله، وبعث الله محمداً ﷺ بالإسلام إلى الناس كافة، وجعل دعوته ناسخة لكل الديانات السابقة كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1]، فتحتم على كل من سمع دعوته ﷺ من أهل الكتاب أو من غيرهم الدخول في دين الإسلام.

ومن أهل الكتاب النصارى أمة عيسى عليه السلام دينهم النصرانية، وكتابهم الإنجيل الذي من خلاله بشّر عيسى عموم النصارى بنبي يأتي من بعده اسمه أحمد، فعلموا اسمه وأدركوا صفته، ولما بُعث ﷺ ساق لهم الدعوة بطابع خاص ورونق جميل أثر في أولئك المدعوين أيما تأثير، وفي هذه الدراسة سنتناول دعوته ﷺ تلك للنصارى تحديداً ومعالمها وما أدت إليه من ثمار.

أهمية الموضوع:

يمكن إيضاح أهمية الموضوع من خلال ما يلي:

١- إنَّ إبراز قيام النبي ﷺ بدعوة نصارى زمنه، وحرصه على هدايتهم؛ تأكيد على شفقته، ورحمته بالنصارى، وهي إحدى أوصافه الكريمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [2].

---

(١) سورة : آل عمران، آية: ٨٥.

(٢) سورة : الأنبياء ، آية ١٠٧ .

٢- إنَّ دعوته ﷺ للنصارى تتضمن معالم مهمة لها فائدتها في حقل دعوة النصارى التي من خلالها يستلهم الدعاة ما يسهم في نجاح دعوتهم المقدمة للنصارى في العصر الحاضر.

٣- إنها رد بالحقائق العلمية، والوقائع الثابتة على بعض المؤرخين المستشرقين الذين ما زالوا ينكرون عالمية دعوة نبينا محمد ﷺ، وأن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد.

٤- إن طرق هذا المجال إسهام في الذب عن المصطفى ﷺ ونصرة له في ظل التطاول المتتالي على مقامه الكريم من قبل بعض المغرضين.

ومما سبق رأيت من المناسب دراسة هذا الموضوع وتجليته تحت عنوان:

"دعوة النبي ﷺ للنصارى وأبرز معالمها وثمارها".

التعريف بمفردات الدراسة:

أولاً: تعريف الدعوة:

الدعوة في اللغة:

الدعوة في اللغة لها عدة معان منها: الدعاء إلى الشيء، فيقال: دعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب:أي حثه على اعتقاده وساقه إليه[1].

الدعوة في الاصطلاح:

عرفت الدعوة عدة تعريفات ومن أجمعها في رأيي تعريف شيخ الإسلام

---

(١) المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية، ط [الثانية، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت]، ١/ ٢.

ابن تيمية – رحمه الله –[1] حيث قال: "إن الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، وذلك يتضمن الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه"[2].

كما عرفها سماحة الشيخ ابن باز – رحمه الله – بأنها: "دلالة الناس إلى الصراط المستقيم، وهو الإسلام الذي هو دين الله الحق، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[3]، فسبيل الله هو الإسلام، وهو الصراط المستقيم"[4].

ثانياً: تعريف النصارى:

النصارى هم الذين يدينون بالنصرانية، والنصرانية هي: "الديانة المسيحية التي أنزلت على عيسى عليه السلام، مكملة لرسالة موسى عليه السلام ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم.. لكنها سرعان ما فقدت

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني المفسر الفقيه الحافظ المحدث، الملقب شيخ الإسلام، ولد بحران، سنة: إحدى وستين، وتوفي سنة: ثمان وعشرين وسبعمائة، انظر: فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، ، ط: لعام: ١٩٧٣م، الناشر: دار صادر، – بيروت]، ٧٤/١.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع عبد الرحمن ابن قاسم ١٥٧/١٥ – ١٥٨.

(٣) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٤) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ط١، عام:١٤١٥هـ ، الناشر : مكتبة السفير– الرياض]، ص٢٩.

أصولها واختلطت بمعتقدات محرفة وفلسفات وثنية" [1].

سبب التسمية:

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عن سبب تسمية النصارى بهذا الاسم: "وسُموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم أنصار كما قال عيسى عليه السلام: "من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله".

وقيل إنهم سموا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها: ناصرة[2].

ثالثاً: تعريف المعالم:

المعالم: جمع معلم قال ابن منظور في اللسان: " والمعلم ما جعل علامة، وعلماً للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم، ومعالمه المضروبة عليه " [3].

والمراد بمعالم دعوته للنصارى: استخراج ما ظهر للباحث من منارات وبصائر في مجال الدعوة إلى الله تنير الطريق للدعاة في كل زمان لتقديم الدعوة للنصارى بالأساليب المناسبة، والطرق الحكيمة.

تقسيمات الدراسة:

قسمت الدراسة وفق الفِقْر الآتية:

الفصل الأول:

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: عالمية الدعوة.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط[الثانية، عام: ١٤٠٩هـ]، ص٤٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ط[الأولى، عام: ١٤٠٥هـ، الناشر: عالم الكتب، بيروت – لبنان] ١/ ١٠٤.

(٣) لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، ط[الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار صادر – بيروت] ١٢/ ٤١٩.

المبحث الثاني: حرص النبي ﷺ على هداية النصارى.

الفصل الثاني: دعوة النبي ﷺ للنصارى ومعالمها.

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها.

المبحث الثاني: دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى ومعالمها.

الفصل الثالث: ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى:

ويشمل مبحثين:

المبحث الأول: تحقق مقاصد الدعوة.

المبحث الثاني: بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة

الخاتمة: وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

عالمية دعوة النبي ﷺ

ويشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : عالمية الدعوة.

المبحث الثاني: حرص النبي ﷺ على هداية النصارى.

المبحث الأول

عالمية الدعوة النبوية

لم تكن دعوة النبي ﷺ محصورة بوقت زمني، أو حد مكاني، بل هي دعوة عالمية، عالمية في الزمان والمكان.

وقد استفاضت بذلك نصوص الكتاب والسنة، ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [1]. وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[2].

ومن السنة النبوية قوله ﷺ: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) [3].

---

(١) سورة سبأ، جزء من الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الصلاة، باب: جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا حديث: ٢٥٧.

ولما كانت دعوته ﷺ عالمية، كان عليه واجب إبلاغ الدعوة إلى كل أحد من العالم، أياً كان دينهم، ومهما كان جنسهم، وأينما كان نزلهم في سبيل نشر الإسلام في آفاق الدنيا لتحقيق مراد الله عزوجل.

ومن هذا المنطلق فقد وجه ﷺ الدعوة إلى الإسلام لأصحاب الديانات المتنوعة، والأمم الأخرى مع بداية أمر الدعوة بل تم ذلك حينما لم يعرف أهل مكة الإسلام معرفة تامة.. ومن جملة المدعوين؛ أصحاب الدين النصراني بمختلف أصنافهم، حيث قدم لهم الدعوة بنفسه، وأرسل الكتب والرسائل، وبعث لهم الدعاة[1]، ويعد بلال وصهيب وسلمان وعداس ثماراً أولية للدعوة من قبل الحبشة واليونان وإيران ووسط آسيا [2].

بل إن قدوم الوفود عليه ﷺ من كل ناحية بأجناسهم، وأديانهم المختلفة يعد دليلاً قوياً على عالمية الدعوة الإسلامية.

وتأتي هذه الدراسة بما تضمنته من تطبيقات عملية لدعوة النبي ﷺ لنصارى عصره مؤكدة جانب العالمية في دعوته مضافاً ذلك إلى نصوص الكتاب، والسنة التي سبق ذكر بعضها.

---

(١) وهذا المبحث أعني "عالمية الدعوة" وما سيتبعه من إثبات ممارسة النبي ﷺ دعوة النصارى عملياً ؛ فيه رد على بعض المؤرخين المستشرقين الذين ينكرون عالمية دعوة نبينا محمد ﷺ ، وأن فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعد، وأنه لم يوجه دعوته منذ أن بعث إلى أن مات إلا للعرب..
انظر: الدعوة إلى الإسلام، سير توماس. وأرنولد. ط الثالثة، عام ١٩٧٠م، نشر: مكتبة النهضة المصرية]، ص: ٥٠، مترجم، حيث ذكر المؤلف هذا القول منكرا مثل هذا الرأي.
وانظر : الشبهات حول عالمية الدعوة الإسلامية – د. إبراهيم بن عبدالله السماري، رسالة ماجستير مقدمة لقسم الدعوة والاحتساب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عام ١٤١٦هـ

(٢) انظر : رحمة للعالمين – للقاضي محمد بن سليمان المنصورفوري ، ط] الأولى ، عام : ١٤١٠هـ ، الناشر : الدار السلفية – الهند]١/١٧٣

المبحث الثاني

حرص النبي ﷺ على هداية النصارى

نجد من خلال شواهد القرآن الكريم أن النصارى أقرب مودة للذين آمنوا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله: أي إن الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح، وعلى منهاج إنجيله فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً..﴾[2]، وفي كتابهم: " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر "[3]، وفي هذا السياق يبرز القرآن الكريم أنهم كانوا يتأثرون، ويعتبرون حين سماعهم الآيات التي تتنزل على الرسول ﷺ بدموع غزار متدفقة قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ

---

(١) سورة : المائدة ، جزء من آية رقم :٨٢ .

(٢) سورة ، الآية: .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٨٦/٢.

وفي كلمة :" لتجدنّ" تأكيدان : لام القسم ، ونون التوكيد ، وفي المخاطب بها وجهان : أحدهما أنه للنبي ﷺ وثانيهما أنه لكل من يوجه إليه الكلام ، وفي "الناس" الذي نزل فيهم التفصيل قولان : أحدهما أنهم يهود الحجاز ، ومشركوا العرب ، ونصارى الحبشة ، والثاني أنه عامّ . انظر : تفسير القرآن العظيم (المنار) – للشيخ محمد رشيد رضا ، ط [الأولى ، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت] ٥/٧ .

مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [1].

ولهذا تضمنت السيرة النبوية إشارات متنوعة تشي بهذا القرب وهذه المكانة للنصارى كثنائه ﷺ على القسيسين والرهبان، وإرساله أصحابه ليكونوا في جوار أحد ملوك النصارى في الحبشة، وسروره بانتصار الروم الذي أسفر عن عدم هدم كنائس النصارى وبيعهم، وأنه كان بحب متابعتهم فيما لم يؤمر فيه بشيء بادئ الأمر [2]

ولذا حينما حمل حاطب بن أبي بلتعة[3] ﷺ كتاب النبي ﷺ للمقوقس ملك مصر والإسكندرية قال له من ضمن ما قال: " إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليهم قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى" [4].

وبتأمل الممارسة النبوية للدعوة نجد أنه كان يرغّب أمة النصارى – أهل الكتاب– من بين عموم الخلق بمزايا حرصاً على هدايتهم فمن أسلم منهم فله أجر يفوق من سواهم، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين) وذكر منهم: (ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي ﷺ، فله أجران..) [5] وقال ﷺ: (.. وإذا آمن

(١) انظر: دراسة في السيرة د. عماد الدين خليل [ط: ١٤١٢، دار النفائس] ص/٢٧٨.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، ط[الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض]، باب/ صفة النبي ﷺ، رقم الحديث: ٣٥٤٢، ص/٧٣٠.

(٣) وهو من مشاهير المهاجرين، شهد بدرا وبقية المشاهد، وكان رسول الله ﷺ للمقوقس، وكان تاجرا في الطعام، ومن الرماة الموصوفين، وتوفي سنة ثلاثين للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، ٤٣/٢.

(٤) انظر: زاد المعاد ٦٩١/٣ وتاريخ الإسلام، ١٥٨/١ والبداية والنهاية، ٢٧١/٢.

(٥) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، ص: =

بعيسى ثم آمن بي فله أجران..)[1].

قال القرطبي[2]: "قال علماؤنا لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبا بأمرين من جهتين استحق كل واحد منهم أجرين؛ فالكتابي كان مخاطبا من جهة نبيه، ثم أنه خوطب من جهة نبينا فأجابه واتبعه، فله أجر الملتين"[3]، ولا ريب أن هذا فيه زيادة ترغيب من النبي ﷺ لهم في الإسلام.

كما يتضح الحرص على هدايتهم من خلال استعراض الجوانب العملية لدعوتهم، وهذا ما تشير إليه الدراسة في الصفحات القادمة.

=

٦١٠، رقم الحديث: ٣٠١١.

(١) أخرجه الإمام البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ص: ٧٠٩، رقم الحديث: ٣٤٤٦.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصار الخزرجي الأندلسي القرطبي، المفسر، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، وله عدة تصانيف، توفي سنة: ٦٧١هـ، انظر: مقدمة الجامع لأحكام القرآن، ط الثانية، عام: ١٣٧٢هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت] ٥/١.

(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، ط [كتاب الشعب]، ٧/ ٥٠١٣.

الفصل الثاني

دعوة النبي ﷺ للنصارى ومعالمها

وتشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول : دعو ته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها.

المبحث الثاني : دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى ومعالمها.

المبحث الأول

دعوته ﷺ المباشرة للنصارى ومعالمها

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: دعوة النبي ﷺ لأفراد من النصارى ومعالمها.

المطلب الثاني: دعوة النبي ﷺ لجماعات من النصارى ومعالمها.

المطلب الأول

دعوته ﷺ لأفراد من النصارى ومعالمها

ويمكن استعراض ملامح هذا المطلب من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دعوته عدي بن حاتم رضي الله عنه ومعالمها.

الفرع الثاني: دعوته سلمان الفارسي رضي الله عنه ومعالمها.

الفرع الثالث: دعوته رسول قيصر ومعالمها.

الفرع الرابع: دعوته يحنة بن رؤية ومعالمها.

الفرع الخامس: دعوته عداس ومعالمها.

وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول: دعوته ﷺ عدي بن حاتم ﷺ ومعالمها:

أولاً: دعوته عدي:

قال عدي بن حاتم ﷺ: ما رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله حين سمع به مني، أما أنا فكنت أمرءا شريفا، وكنت نصرانيا، وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع بي.. فلما سمعت برسول الله ﷺ؛ كرهته؛ ! فقلت لغلام كان لي راعيا لإبلي: لا أبا لك أعدد لي من أبلي أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا مني فإذا سمعت بجيش لمحمد وقد وطئ هذه البلاد فآذاني. ثم إنه أتاني ذات غداة فقال: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فإني قد رأيت رايات، فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد. قال: قلت: فقرب إلى أجمالي. فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألْحَقُ بأهل ديني من النصارى بالشام، وخلفت بنتا لحاتم، فلما قدمت الشام أقمت بها فتخالفتني خيل رسول الله ﷺ،

فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله ﷺ إلى الشام. فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها فمر بها رسول الله ﷺ، فقامت إليه وكانت امرأة جزلة. فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن على من الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم. قال الفار من الله ورسوله. قالت ثم مضى، وتركني حتى إذا كان الغد مر بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس. قالت: حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست، فأشار إلي رجل خلفه أن قومي فكلميه. قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك.

فقال ﷺ: قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني، قالت: فقمت حتى قدم من بلى أو قضاعة، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام فجئت، فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالت: فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام..

قال عدي: فوالله إني لقاعد في أهلي فنظرت إلى ظعينة تصوب إلى قومنا قال فقلت ابنة حاتم قال فإذا هي هي فلما وقفت علي استحلت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدت وتركت بقية والدك عورتك؟

فقلت: أي أخية، لا تقولي إلا خيرا، فوالله مالي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه

فضله وإن يكن ملكا فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت !

قلت: والله إن هذا الرأي قال: فخرجْتُ حتى أقدم علي رسول الله، فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟

فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا، تكلمه في حاجتها، قلت في نفسي: والله ما هذا بملك. ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إلي فقال: "اجلس على هذه" قلت: بل أنت فاجلس عليها. قال: "بل أنت" فجلست وجلس رسول الله بالأرض، قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: "إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسيا [1]؟ قلت: بلى! قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع"[2] قلت: بلى! قال: "فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك". قلت: أجل! والله، ثم قال: "لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين؛ ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه؛ ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشك أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية [3] على بعيرها، حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك

---

(١) الركوسية: هم قوم لهم دين بين النصاري والصابئين . انظر : لسان العرب – لابن منظور ، ١٠١/٦ مادة : ركس .

(٢) المرباع: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة . انظر : لسان العرب – لابن منظور ، ١٠١/٨ مادة : ربع.

(٣) القادسية: في العراق، قيل سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام دعا لها فقال: قدست من أرض، وبهذا الموضع كانت وقعة القادسية المشهورة، انظر معجم البلدان الحموي، ت: ٦٢٦هـ، ج٤، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان–]، ص٨.

من دخول فيه؛ أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشك أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم". قال عدي ﷺ: فأسلمت.

فكان ﷺ يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن!، وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج البيت، وأيم الله! لتكونن الثالثة؛ ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه [1]. وفي رواية من طريق الإمام أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال: يا عدي بن حاتم ما أفرك؟ أفرك أن يقال لا إله إلا الله فهل من إله إلا الله، ما أفرك؟ أفرك أن يقال الله أكبر فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟

قال عدي: فأسلمت فرأيت وجهه استبشر وقال: "إن المغضوب عليهم اليهود وإن الضالين النصارى " [2].

ثانياً: معالم دعوته لعدي بن حاتم رضي الله عنه:

في هذه القصة معالم بارزة، من صفات حميدة ومعاملة رائعة، قدمها النبي ﷺ بين يدي دعوته، مما مكن لدعوته أن تنفذ إلى قلب المخاطب، وهو عدي بن حاتم ﷺ، ومن أهم هذه المعالم:

---

(١) قال: ابن كثير رحمه الله: "هكذا أورد ابن إسحاق هذا السياق بل إسناد وله شواهد من وجوه أخر". البداية والنهاية للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير، ت: ٧٧٤هـ، ، ط [الأولى، عام: ١٤٠٨هـ، دار الريان]، ٣/ ٥٩. وانظر سير أعلام النبلاء – للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط [السابعة، عام ١٤١٠هـ الناشر: مؤسسة الرسالة]، ١٦٤/٣حيث أورد القصة مختصرة بإسناد قوي.

(٢) قال ابن كثير: "وقد رواه الترمذي من حديث شعبة وعمرو بن أبي قيس كلاهما عن سماك ثم قال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سماك". البداية والنهاية ٥٩/٣ .

أولاً: الاتصاف باحترام الآخرين وتقديرهم:

سياق القصة يوضح أن النبي ﷺ بادر عدي بن حاتم رضي الله عنه بالاحترام والتقدير، وإنزاله منزلته، لأنه الرئيس المطاع في قومه، ويمكن أن نأخذ احترام النبي ﷺ له من خلال المشاهد التالية:

أ- القيام إليه:

فقد وردت رواية بأن عدي رضي الله عنه قال: ".. فدخلت عليه – أي النبي ﷺ – وهو في مسجده، فسلمت عليه. فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ ".

وهذا القيام للتقدير ولتلقي القادم، وقد كان له وقعه في نفوس الصحابة – رضي الله عنهم – ولذا في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، لما أذن الله بالتوبة عليهم، قال كعب بن مالك رضي الله عنه – وكان أحدهم –: فتلقاني الناس يهنوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك، حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله ﷺ حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنَّاني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، لا أنساها لطلحة[1].

ب- اصطحابه إلى بيت النبي ﷺ:

ففي سياق القصة أن عدي رضي الله عنه قال: "وانطلق بي إلى بيته فوالله إنه لعامد بي إليه..".

حينما نتأمل اصطحاب النبي ﷺ عدي إلى بيته يتضح لنا أن هذا الأمر فيه مزيّة لعدي، وعناية بدعوته، ولا ريب أن ذلك في محله فعدي رجل له

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: حديث كعب بن مالك، رقم: ٤٠٦٦.

منزلة في قومه، ورجل هرب من الدعوة إلى الشام، وهذا من التأليف له، ولقد كان لذلك تأثيره في استمالة قلب عدي ﷺ إلى الإسلام، ومما يشير إلى ذلك أنه على رغم البعد الزمني للحدث، وأنه من نافلة القول؛ إلا أن عدي يسوقه بتفاصيله مما يدل على أنه تمكن من نفسه، ونفذ إلى قلبه آنذاك.

ثانياً: كرم النبي ﷺ وتواضعه:

حينما كان النبي ﷺ ومعه عدي ﷺ في طريقهما إلى البيت حدث أمر مهم تنبه له عدي ﷺ حيث قال: ".. فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها قال: "فقلت لنفسي والله ما هذا بملك". فعدي ﷺ تأمل الموقف وفكره ما يزال متردداً.. وكون امرأة ضعيفة وكبيرة تستوقفه يدل على أنه ليس بملك، فلم يبق إلا أنه نبي.

ولا شك أن للنبوة مهابة! ولذا ألقى له النبي ﷺ وسادة من أدم محشوة ليفاً، وهذا من الإكرام العفوي الذي يطرد الرهبة من نفسه ويجلب الطمأنينة، ثم قال النبي ﷺ له: "اجلس على هذه" زيادة في الإكرام، ولكن لم يبادر عدي ﷺ بالجلوس، فقال: بل أنت فاجلس عليها، ومع هذا كرر النبي ﷺ دعوته، فقال: "بل أنت" وهذا من أدب الضيافة فالمرء لا يكرم في داره. قال: فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض "وهذا تواضع من النبي ﷺ، وقال عدي في نفسه: "والله ما هذا بأمر ملك"، وانزاح الشك من قلبه.

إن النبي ﷺ قد قدم بين يدي دعوته مكارم الأخلاق من خلال احترام عدي وإكرامه، والتواضع له، مما جعل الجو مهيأ لدعوته إلى الإسلام،

ولو شاء النبي ﷺ دعوته أول ما لقيه لفعل، ولكن مما لا شك فيه أن هذه المقدمات قد أثرت في عدي تأثيرا بالغا! فعلى حين أنه قد علم أن هذا الرجل ليس بملك بل نبي مرسل، فقد رأى بأم عينيه وقوفه طويلا مع امرأة ضعيفة، ورأى جلوسه على الأرض، ورأى احترام النبي عليه السلام له وتقديره، ثم إكرامه بكل حفاوة وإدناء.

ومما يدل على أن هذا الإكرام والاحترام من أبرز المعالم في هذه القصة؛ إن الإمام الذهبي – رحمه الله – لما ترجم لعدي قال: "وفد عدي على النبي ﷺ في وسط سنة سبع فأكرمه واحترمه"[1] فجعل صفتي الإكرام والاحترام من الصفات البارزة التي تضمنتها سيرته.

ثالثاً: علم النبي ﷺ بحال المخاطب:

لما دخل عدي رضي الله عنه على المصطفى الكريم ﷺ قال له: "يا عدي بن حاتم أسلم تسلم، ثلاثا. فقال عدي: إني على دين، فقال له: أنا أعلم بدينك منك. فأجاب عدي بقوله: أنت أعلم بديني مني؟.

قال: نعم " ثم أخذ يعدد عليه بعض مبادئ دينه فقال: ألست من (الركوسية) وأنت تأكل (مرباع) قومك. قلت: بلى، قال: هذا لا يحل لك في دينك "

وهذا العلم بحال المخاطب، ومعرفة الداعية لتفاصيل دين المدعو يجعل المدعو في دهشة، ويسلم بأهلية الداعية ولذا قال عدي في نهاية الحوار " "فلم يعد أن قالها فتواضعت لها ".

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، ١٦٣/٣.

رابعاً: كشف الشبهات:

حيث قال النبي ﷺ له: " أما إني أعلم الذي يمنعك عن الإسلام تقول: (إنما اتبعه ضعفة الناس)، (ومن لا قوة لهم)، و(قد رمتهم العرب) هذه شبه كانت تحجب عدي ﷺ عن الإسلام فشرع النبي ﷺ بكشفها حتى إذا آمن يكون راسخا في إيمانه لا تنتابه شكوك، ولا تعتريه شبه، فقال له: " أتعرف الحيرة؟ " قلت: نعم، لم أرها وقد سمعت بها، قال: "فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة – وهي المرأة في الهودج – من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد.

"وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز" وكسرى هو علم على من ملك الفرس، لكن كانت المقالة في زمن كسرى بن هرمز ولذلك استفهم عدي ﷺ وإنما قال ذلك لعظمة كسرى في نفسه إذ ذاك ثم قال ﷺ: "وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد. "وفي بعض الروايات أن النبي ﷺ قال له: "يا عدي بن حاتم ما أفرك؟ أفرك أن يقال لا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله. ما أفرك؟ أفرك أن يقال الله أكبر، فهل شيء هو أكبر من الله عز وجل؟".

خامساً: الاستبشار باستجابة المدعو:

قال عدي ﷺ: فأسلمت فرأيت وجهه – أي النبي ﷺ – استبشر. ولذا الداعي إلى الله ينبغي له أن يكون قرحاً مستبشرا حين يرى نفسا كافرة عتقت من النار بإيمانها بالله سبحانه وتعالى.

سادساً: الدعاء بالهداية لمن يرجى إسلامه:

قال: الحافظ بن حجر: "إن النبي ﷺ كان يرجو الله قبل إسلام عدي أن يجعل الله يد عدي في يد النبي ﷺ "[1].

وكان هذا شأن النبي ﷺ كما دعا الله أن يهدي أم أبي هريرة رضي الله عنهما [2].

بل يطلب أحدهم منه ﷺ أن يدعو على قومه، فيدعو لهم، كما روى الإمام البخاري –رحمه الله– أن طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه قدموا على النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوسا عَصَتْ وأَبَتْ، فادع الله عليهم، فقيل: هلكت دوساً. قال:"اللهم اهد دوسا وائت بهم"[3].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط [الأولى، عام ١٤٠٧هـ، الناشر: دار الريان]، ٧٠٦/٧.

(٢) قال الإمام البخاري رحمه الله في كتابه الأدب المفرد: باب عرض الإسلام =

= على الأم النصرانية، وذكر تحته حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو قول أبي هريرة: ما سمع بي أحد يهودي ولا نصراني إلا أحبني، إن أمي كنت أريدها على الإسلام فتأبى، فقلت لها: فأبت، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ادع الله لها، فدعى، فأتيتها وقد أجافت عليها الباب، فقالت: يا أبا هريرة إني أسلمت، فأخبرت النبي ﷺ ، فقلت: ادعي الله لي ولأمي، فقال: "اللهم عبدك أبو هريرة وأمه، أحبهما إلى الناس". الأدب المفرد، ص٤٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين ليتألفهم، ص٥٩٥، رقم الحديث: ٢٩٣٧.

الفرع الثاني: دعوته ﷺ سلمان الفارسي ومعالمها:

أولاً: دعوة النبي سلمان الفارسي رضي الله عنه:

عن ابن عباس ﷺ قال: حدثني سلمان الفارسي ﷺ قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من أهل قرية يقال لها جي [1] وكنت أحب خلق الله إلي والدي، فلم يزل بي حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، فاجتهدت في المجوسية [2] حتى كنت قاطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة، فشغل في بنيان له يوما، فقال لي: يا بني! إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها، وأمرني ببعض ما يريد. فخرجت، ثم قال: لا تحتبس علي، فإنك إن احتبست علي كنت أهم إلي من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري. فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس بحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم، وسمعت أصواتهم، دخلت إليهم انظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلواتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. قال: ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني! أين كنت؟.. قلت: يا أَبه! مررت بناس يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم

---

(١) بالفتح وبالتشديد، مدينة ناحية أصبهان، انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي، ١٠٥/٣.

(٢) قال عنهم ابن القيم رحمه الله: المجوس من أخبث الأمم دينا ومذهباً، ولا ينتمون إلى ملة، ولا يثبت لهم كتاب.. انظر: أحكام أهل الذمة، لابن القيم الجوزية، ٩٩/١، ت: د. صبحي الصالح.

حتى غربت الشمس. قال أي بني: ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قلت: كلا والله! إنه لخير من ديننا. قال: فخافني، فجعل في رجلي قيدا، ثم حبسني في بيته. قال: وبعثت إلى النصارى فقلت: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى، فاخبروني بهم. فقدم عليهم ركب من الشام. قال: فأخبروني بهم، فقلت: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة، فأخبروني. قال: ففعلوا. فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها، قلت: من أفضل أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة. فجئته، فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك وأصلي معك. قال: فادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة، ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها شيئا، اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع. ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها فإذا جئتم بها كنزها لنفسه، ولم يعط المساكين، وأريتهم موضع كنزه سبع قلال مملوءة، فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبداً. فصلبوه ثم رموه بالحجارة. ثم جاؤوا برجل جعلوه مكانه، فما رأيت رجلا أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدب ليلا ولا نهارا، ما أعلمني أحببت شيئا قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة، فقلت: يا فلان! قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني والله ما أحببت شيئا قط حبك، فماذا تأمرني وإلى من توصيني؟

قال لي: يا بني والله ما أعلمه إلا رجلا بالموصل [1]، فائته، فإنك ستجده على مثل حالي. فلما مات وغيب، لحقت بالموصل، فأتيت صاحبها، فوجدت على مثل حاله من الاجتهاد والزهد فقلت له إن فلانا أوصاني إليك أن آتيك، وأكون معك.

قال فأقم أي بني. قال فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة. فقلت له: إن فلانا أوصى بي إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني به؟ قال: والله ما أعلم، أي بني، إلا رجلا بنصيبين.

فلما دفناه، لحقت بالآخر، فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضره الموت، فأوصى بي إلى رجل من أهل عمورية [2] بالروم فأتيته فوجدته على مثل حالهم واكتسبت حتى كان لي غنيمة وبقيرات. ثم احتضر فكلمته إلى من يوصي بي؟ قال: أي بني! والله ما أعلمه بقي أَحَدٌ على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه، ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مهاجره بين حرتين إلى أرض سبخة ذات نخل، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلص إلى تلك البلاد فإنه قد أظلك زمانه. فلما واريناه، أقمت حتى مر بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتي وبقراتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتهم إياها وحملوني، حتى إذا جاؤوا بي وادي القرى، ظلموني فباعوني عبداً من رجل يهودي

---

(١) بالفتح وكسر الصاد المدينة المشهورة وتقع بالعراق، وهي مدينة قديمة الأس على طرف دجلة معجم البلدان، ٣٤٠/٤.

(٢) بفتح أوله وتشديد ثانيه بلدة في الروم، فتحها المعتصم عام ٢٢٣هـ، انظر معجم البلدان، ٣٥٥/٣.

بوادي القرى. فوالله لقد رأيت النخل، وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي.. حتى قدم رجل من بني قريظة وادي القرى، فابتاعني من صاحبي، فخرج بي حتى قدمنا المدينة. فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعتها.

فأقمت في رقي، وبعث الله نبيه ﷺ، بمكة لا يذكر لي شيء من أمره مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله ﷺ قباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاءه ابن عم له، فقال يا فلان! قاتل الله بني قيلة [1]، والله إنهم الآن لفي قباء مجتمعون على رجل جاء من مكة يزعمون أنه نبي. فوالله ما هو إلا أن سمعتها فأخذتني العرواء – يقول الرعدة – حتى ظننت لأسقطن على صاحبي. ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ فرفع مولاي يده فلكمني لكمة شديدة، وقال: مالك ولهذا، أقبل على عملك. فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبرا، فأحببت أن أعلمه.

فلما أمسيت، وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فقلت له: بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابا لك غرباء، وقد كان عندي شيء من الصدقة فرأيتك أحق من بهذه البلاد، فهاك هذا، فكل منه.

قال: فأمسك، وقال لأصحابه: كلوا. فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي.

ثم رجعت، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئا كان عندي ثم جئت به فقلت: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية. فأكل

---

(١) أي الأنصار. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ٥١٢/١.

رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هاتان خلتان.

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة، فاستدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف. فلما رآني استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فانكببت عليه أقبله وأبكي! فقال لي: تحول. فتحولت، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه، ثم شغل سلمان في الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر [1] وأحد [2].

ثم قال رسول الله: كاتب يا سلمان [3]. فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير وبأربعين أوقية. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: "أعينوا أخاكم"، فأعانوني بالنخل.. فقال: "اذهب يا سلمان ففقر لها، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي" ففقرت لها وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها، وأخبرته، فخرج معي إليها نقرب له الودي [4]، ويضعه بيده.

فو الذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة. فأديت النخل،

---

(١) بدر: أي غزوة بدر، وكانت في السابع من رمضان، سنة اثنتين من الهجرة، فتح الله على نبيه ﷺ فيها بالظفر على من أشرك بالله. انظر: البداية والنهاية ٢٥٥/٣.

(٢) أحد: أي غزوة أحد، وكانت في شوال سنة ثلاث للهجرة، وفيها انكشف المسلمون، وأصاب العدو منهم، حتى كسرت رباعية النبي ﷺ وشج وجهه، وكان يوم بلاء وتمحيص. انظر: البداية والنهاية، ١٠/٤.

(٣) المكاتبة: وهي أن يكتب السيد على نفسه لعبده العتق إذا أدى إليه المال منجما، ويكتب العبد على نفسه لسيده أن يؤدي إليه المال، فإذا أدى جمع ما عليه عتق. انظر لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، ج١، ط١ الثانية، عام ١٤١٢هـ، دار صادر – بيروت لص٧٠٠. مادة: كتب

(٤) الودية: جمع ودي: وهي صغار الفسيل. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي ٥١٢/١.

وبقي علي المال. فأتى رسول الله ﷺ بمثل بيضة دجاجة من ذهب من بعض المغازي. فقال: "ما فعل الفارسي المكاتب"؟ فدعيت له، فقال: "خذها فأد بها ما عليك" قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: خذها فإن الله سيؤدي بها عنك. فأخذتها فوزنت لهم منها أربعين أوقية، وأوفيتهم حقهم وعتقت، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً، ثم لم يفتني معه مشهد [1].

ثانياً: معالم دعوته سلمان الفارسي رضي الله عنه:

يتبين من قصة سلمان الفارسي ﷺ عَدَدٌ من المعالم منها:

أولاً: هداية التوفيق والإلهام:

إن طالب الحق المتجرد عن الهوى حتما سيجده طال الزمان أو قصر، ومن اجتهد للوصول إلى الحق فالله سيهديه إلى السبيل القويم، لقد بذل سلمان من نفسه الكثير كما اتضح من القصة في سبيل الوصول إلى المنعوت والتحقق من ذلك بنفسه فهداه الله تعالى، وساقه إلى الحق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2].

قال ابن قيم الجوزية: فهذا دليل التوفيق عرج بسلمان من تأجيج نار المجوسية إلى مناظرة أبيه في الوثنية، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد، فنزل به ضيف "ولنبلونكم" فنال بإكرامه مرتبة "سلمان منا آل

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٠٥/١، وقال محقق الكتاب: رجاله ثقات، وإسناده قوي، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد وابن هشام وابن سعد، وأخرجه الإمام أحمد ٤٤١/٥.

(٢) سورة: العنكبوت. آية رقم: ٦٩.

البيت" فسمع ركبا إلى الشام فركب راحلة العزم يرجو إدراك السعادة، فوقف نفسه على خدمة الأدلاء، فلما أحس الرهبان بانقراض دولتهم سلموا إليه أعلام الأعلام على نبوة نبينا، وقالوا: إن زمانه قد ظل فاحذر أن تضل، فرحل مع رفقة لم يرفقوا به" وشروه بثمن بخس دراهم معدودة" فابتاعه يهودي بالمدينة.

فلما رأى الحرة حداه الشوق، وبينما هو يكابد ساعات الانتظار؛ قدم البشير بقدوم البشير، وسلمان في رأس النخلة وكاد القلق أن يلقيه لولا أن الحزم مسكه، فعجل النزول لتلقي ركب البشارة، فلكمه سيده وصاح به: انصرف إلى شغلك.

فقال: كيف انصرافي ولي في داركم شغل؟

فلما لقي الرسول عارض نسخة الرهبان بكتاب الأصل فوافقه. فسلمان غاص في بحر البحث ليقع بدرة الوجود[1] وذلك من توفيق الله له فرضي الله عنه وأرضاه.

ثانياً: الدعوة بالفعل:

من سياق القصة يتضح أن النبي ﷺ دعا سلمان بعدد من الأفعال والسلوكيات التي أسهمت في تعريفه بحقيقة النبي ﷺ، ومن ثم تأثره وقبوله للدعوة فالصدقة أمسك عنها نظراً لأن هذه سنته، وأمر أصحابه أن يأكلوا، والهدية أكلها وهي من سنته، وأكل معه أصحابه رضي الله عنهم، وبهذا تحققت خلتان كان سلمان ﷺ يعلم أنها من خلاله وسننه عبر ما كان يجد في كتب النصارى، وبقيت الثالثة وهي خاتم النبوة فساهم

(١) انظر: كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية، ط [الرابعة: عام: ١٤٠٧هـ ص٤٦ – ٤٧.

النبي ﷺ في تحقيق مطلبه حينما ألقى رداءه عن ظهره في الجنازة كما سبق بيانه.

وليست الدعوة بالفعل بأقل بلاغاً من الدعوة بالقول، بل أحيانا تكون أبلغ وأكثر تأثيراً، ولذا ترك النبي ﷺ الدعوة باللسان لعلمه أن سلمان رضي الله عنه يبحث بنفسه عن حق علمه، فاهتدى إليه.

ثالثاً: متابعة المسلم الجديد:

ويستفاد أيضا من القصة متابعة من أسلم، والتعرف على حاله وإعانته في سبيل تحريره من كل علائق الكفر، كما فعل المصطفى ﷺ مع سلمان رضي الله عنه.

الفرع الثالث: دعوته ﷺ رسول قيصر ومعالمها:

أولاً: دعوته رسول قيصر:

روى الإمام أحمد – رحمه الله – بإسناده عن سعيد بن أبي راشد أنه قال: لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله بحمص [1] – وفي بعض النسخ بمصر – وكان جارا لي شيخا كبيرا قد بلغ العقد أو أقرب. فقلت: ألا تخبرني عن رسالة هرقل إلى رسول الله، ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل؟

قال بلى: قدم رسول الله تبوك [2] فبعث دحية الكلبي [3] إلى هرقل فلما

---

(١) بلد مشهور قديم بين حلب ودمشق، انظر معجم البلدان، ١٢٨/٢.

(٢) تبوك موضع بين وادي القرى والشام انظر المرجع السابق، ٤٣١/١. قلت: هي إحدى مناطق المملكة العربية السعودية، وتقع منها في شمال غرب.

(٣) هو ابن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي القضاعي، صاحب رسول الله ﷺ، أسلم قبل بدر، وكان يشبه جبريل عليه السلام، وكان من أجمل الناس، بقي إلى زمن معاوية. انظر سير أعلام =

أن جاءه كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم [1] وبطارقتها [2] ثم أغلق عليه وعليهم الدار، فقال: "قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم؟ وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال؟ يدعوني أن أتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا، والأرض أرضنا، أو نلقى إليه الحرب. والله لقد عرفت فيما تقرؤون من الكتب لتأخذن فهلم فلنتبعه على دينه، أو نعطيه ما لنا على أرضنا" فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز. فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم؛ قال: إنما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم، ثم دعا رجلا من العرب كان على نصارى العرب، قال ادع لي رجلا حافظا للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه، فجاء بي فدفع إلى هرقل كتابا فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما سمعت من حديثه فاحفظ لي منه ثلاث خصال؛ انظر هل يذكر صحيفته إليَّ التي كتب بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك.

قال: فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوكا، فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء، فقلت: أين صاحبكم؟

=

النبلاء ٢/ ٥٥٠.

(١) القسيس: لفظة سريانية، وهي درجة في الديانة النصرانية، ووظيفته: تقديس القرابين، وعماد المعتمدين، وتزويج المتزوجين، وتأدية خدمة الأسرار، وتوزيعها على الشعب، وتعليمهم ووعظهم. انظر: قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ، ط [الأولى، عام: ١٤١٤هـ، دار العاصمة] ١/ ٢٨٣.

(٢) إمام كبير عندهم انظر: قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ١/ ٢٨٣.

قيل ها هو ذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال: "ممن أنت"؟ فقلت: أنا أخو تنوخ.

قال: "هل لك إلى الإسلام الحنيفية ملة أبيكم إبراهيم؟

قلت: إني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم فضحك وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (١).

يا أخا تنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى، والله ممزق ملكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها، والله مخرقه، ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا ما دام في العيش خير".

قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي، فأخذت سهما من جعبتي فكتبته في جنب سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلا عن يساره. قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية، فإذا في كتاب صاحبي: "تدعوني إلى جنة السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟".

فقال رسول الله: "سبحان الله! أين الليل إذا جاء النهار"؟!

قال: فأخذت سهماً من جعبتي فكتبته في جلد سيفي، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: "إن لك حقاً، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها، إنا سفر مرملون" قال: فناداه رجل من طائفة الناس، قال: أنا أجوزه، ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجري.

قلت: من صاحب الجائزة؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله: "أيكم

---

(١) سورة القصص، آية ٥٦.

ينزل الرجل؟ فقال فتى من الأنصار: أنا، فقام الأنصاري، وقمت معه، حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله، فقال: "تعالى يا أخا تنوخ" فأقبلت أهوي حتى كنت قائما في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حَبْوَبَهُ عن ظهره وقال: "ها هنا امض لما ضمرت به! فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحمحمة [1] الضخمة [2].

ثانياً: معالم دعوته رسول قيصر:

في قصة رسول قيصر ودعوة النبي ﷺ له معالم منها:

أولاً: تأليف قلب المدعو:

وهذا يمكن معرفته من خلال ما يلي:

أ- حسن الاستقبال:

فرسول قيصر جاء بالكتاب المرسل إلى النبي ﷺ وناوله إياه، فوضعه النبي ﷺ في حجره ثم قال للرسول: "ممن أنت"؟

إن وضع النبي ﷺ للكتاب، وإقباله على الرسول وسؤاله من أين هو؛ ليدل على حسن استقبال من النبي ﷺ لهذا الرسول، وعنايته به.

ب- نداؤه باسمه:

فبعد أن أخبر الرسول ﷺ أنه أخو تنوخ؛ ناداه النبي ﷺ بما أخبره به، ولم يأنف من ذلك، ومناداة المرء بأحب الأسماء إليه؛ من الأشياء التي تجلب وُدَّ المنادَى للمنادِي، وهذا من حسن الاستقبال الذي يؤلف القلب، ويهيؤه لقبول الحق.

---

(١) أي معلق به كما يفهم من غريب النهاية. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣، ١٤.

(٢) قال ابن كثير: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام أحمد. انظر: البداية والنهاية ١٤/٣.

جـ- الإكرام بالموجود:

قال رسول قيصر: فلما أن فرغ – أي النبي ﷺ – من قراءة كتابي قال: "إن لك حقا، وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها، إنا سفر مرملون".

وبعد أن جوزه عثمان بن عفان رضي الله عنه قال النبي ﷺ: "أيكم ينزل هذا الرجل؟"، وهذا ينطوي على قدر عال من الإكرام والحفاوة. فضافه فتى من الأنصار.

د- إعانته على أداء مهمته:

لما قام المدعو النصراني مع فتى الأنصار قال التنوخي: ناداني رسول الله فقال: "تعال يا أخا تنوخ" قال: فأقبلت أهوي حتى كنت قائما في مجلسي الذي كنت بين يديه، فحل حَبْوَتَهُ عن ظهره وقال: "هاهنا امض لما ضمرت به". قال: فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحمحمة الضخمة.

فالنبي ﷺ أعان رسول قيصر في أداء المهمة الثالثة، وهي النظر في ظهر النبي ﷺ، وما كان له أن يفعل لولا أن مكّنه النبي ﷺ من ذلك، والناس قد جبلوا على محبة من أن أحسن إليهم، وكما قيل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما استعبد الإحسان إنسان

ثانياً: الدعوة بالحسنى:

ومن معالم دعوته ﷺ للتنوخي بذل الدعوة له بالحسنى فنجد المصطفى ﷺ حين دعاه دعاه بالحسنى امتثالا لقوله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

﴿ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [1].

ومن هذا الحسن أن قال له النبي ﷺ "هل لك إلى الإسلام" وهذه الصيغة تحوي ألطف أنواع الطلب، وقال له: "ملة أبيكم إبراهيم" فعبر "بأبيكم" كي يشحذ همته لما هو منسوب لأبيه، وليكون أرغب له.

ولما لم يستجب لم يزد النبي ﷺ على أن ضحك وتلا قوله عز وجل: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [2].

ثالثاً: كشف الشبهات:

ومن المعالم كذلك ما يتعلق بكشف الشبهات ففي كتاب قيصر الذي أرسله مع رسوله؛ شبهة مضللة، فما كان من النبي ﷺ إلا أن كشفها بمسمع من رسول قيصر، لأنه ربما كانت هذه الشبهة قد أشربها قلبه، أو علقت في ذهنه فمنعته من قبول الحق.وهذه الشبهة هي قول قيصر: "تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين فأين النار؟"

فجلى الشبهة بجواب سديد خالٍ من التكلف والتعقيد حيث قال ﷺ: "سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار".

وحيث إن الخطاب موجه إلى كافر فلا يناسب أن يحتج عليه بقرآن أو سنة، ولذا كان الجواب عقليا تدل عليه الفطرة السليمة، والواقع المحسوس.

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥.

(٢) سورة القصص: آية ٥٦.

الفرع الرابع: دعوته ﷺ (يحنة بن رؤبة) ومعالمها:

أولاً: دعوته (يحنة بن رؤبة) بعد منصرفه من تبوك:

لما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك تلقاه يحنة بن رؤبة صاحب إيلة، أحد عظماء النصارى – كما جاء وصفه – فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فأبى ورضي بدفع الجزية، فكتب له ﷺ كتابا يؤمنه هو وقومه، ويؤمن فيه أهل جرباء [1] وأذرح [2]، ونص الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر: لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا؛ فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يردونه من بر أو بحر [3].

ثانياً: معالم دعوته يحنة بن رؤبة:

إن عقد النبي ﷺ الصلح مع يحنة، وأهل جرباء وأذرح، كل ذلك دعوة ضمنية إلى الله، فإن في عقد الصلح مع الروم والعرب، ودفعهم الجزية للمسلمين في ذلك إظهار الولاء للمسلمين، وإظهار قوة الإسلام، ولما زحف المسلمون، ووصلوا أطراف الشام أظهر الكثير من أهل البلاد الولاء للمسلمين، وأقروا لهم بالجزية، وبذلك يقع التلاحم بين أهل الكتاب،

---

(١) هي موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، قرب جبال السراة من ناحية الحجاز، انظر معجم البلدان، ٤١/٢.

(٢) بالفتح ثم السكون وضم الراء: بلدة في أطراف الشام، بينها وبين جرباء ميل. انظر معجم البلدان، ١١٠/١.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ١٥/٥.

وأهل الإسلام حيث تستحكم العلاقات والمعاملات بين الجانبين، وأثناء ذلك يَطَّلعون على حقيقة الإسلام وسماحته، وعدله، ونهيه عن الجور حتى على الكافر الذي لا يقر بالإسلام، فإذا قارن أهل الكتاب بين دين الإسلام وما لديهم علموا أن الإسلام دين الرحمة والمساواة والحرية غير المزعومة .

الفرع الخامس: دعوته ﷺ عداساً ومعالها

أولاً: دعوته ﷺ لعداس:

ذكر ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لما سار إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم سادة ثقيف، وأشرافهم، وهم أخوة ثلاثة: عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس اليهم فدعاهم إلى الله، وكلمهم لما جاءهم وطلب نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً أرسله غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله، ما ينبغي لي أن أكلمك. فقام رسول الله من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم: إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ، وكره رسول الله أن يبلغ قومه عنه فيجرئهم ذلك عليه، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه، ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وألجأُوه لحائط عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد الى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويران ما يلقى من سفهاء أهل

الطائف، فتحركت له رحمهما فدعوا غلاماً نصرانياً يقال له عدَّاس وقالا له خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ﷺ، فقل له يأكل منه، ففعل عدَّاس ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل فلمَّا وضع رسول الله يده فيه قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عدَّاس في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد! فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي بلاد أنت؟ وما دينك؟» قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى. فقال رسول الله: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟! فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟! فقال رسول الله: «ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي»، فأكب عدَّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عدَّاس قالا له: ويلك يا عدَّاس! مالك تقبِّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟!

قال يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عدَّاس لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه[1].

---

(1) انظر : السيرة النبوية – لابن هشام ، ٢ / ٤٢٤ . و تاريخ الأمم والملوك – للإمام ابن جرير ، ١ / ٥٥٤ والسيرة النبوية – للحافظ بن كثير ، ط ١ الأولى ، عام : ب.ت، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ٢ / ١٥٠ . والبداية والنهاية – لابن كثير ، ٤/ ٣٣٧. والسيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق – د.سليمان بن حمد العودة ص/ ٣٠٣. وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً . انظر : حاشية فقه السيرة – للشيخ الغزالي ص/ ١٣٢.

ثانياً: معالم دعوته لعداس:

مما يستفاد من دعوته ﷺ لعداس أمور منها:

أ- جواز قبول هدية الكافر واستعمالها.

ب- إنَّ الرسول ﷺ لا يحتقر أحداً في تبليغه رسالة ربه، فقد دعا الغلام النصراني عداس المزارع وحاوره حتى أسلم، كما يظهر من أسلوب الحوار الذي أوردته بعض كتب السير [1].

ت- تأثير الدعوة بالفعل حيث إن الحوار كان أساسه قيام النبي ﷺ بالتسمية عند الأكل من العنب الذي قدمه له عداس.

ث- التعرف على المدعو وهذا يفاد من سؤاله ﷺ «ومن أهل أي بلاد أنت؟ وما دينك؟» فبادأه بالتعرف على بلاده ودينه، وهو ما كان نقطة البداية في تحول عداس من دينه إلى الإسلام

ج- العناية بالأمور المشتركة مع المدعو، فعندما قال عداس: وأنا رجل من أهل نينوى. قال له رسول الله: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»؟! فقال له عدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟! فقال رسول الله: «ذلك أخي كان نبياً وأنا نبي».

---

(1) انظر: الإصابة لابن حجر ٢٢٧/٤ ، فقد نقل عن التيمي في السيرة أنه قال للنبي ﷺ أشهد أنك عبدالله ورسوله وذكر القسطلاني في المواهب اللدنية ٢٦٩/١ أنه: أكب على يدي رسول الله ﷺ ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم".

المطلب الثاني

دعوة النبي ﷺ لجماعات من النصارى ومعالمها

إن حرص النبي ﷺ على هداية النصارى جعله لا يقتصر على الدعوة الفردية، بل كان يقوم بدعوة الجماعات والوفود وفق أسلوب في غاية الحسن والتنسيق، ويتضح هذا المطلب ذلك من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دعوته وفد نجران.

الفرع الثاني: دعوته الجارود في وفد عبد القيس.

الفرع الثالث: دعوته وفد بني تغلب.

الفرع الرابع: دعوته وفد طيء.

الفرع الخامس: معالم دعوته ﷺ لجماعات من النصارى.

وفيما يلي بيان ذلك:

الفرع الأول: دعوته ﷺ وفد نجران[1]:

كتب رسول الله ﷺ إلى الأسقف: "أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم، فقد آذنتكم بحرب، والسلام".

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه، ذعر به ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، فدفع الأسقف كتاب

---

(١) نجران بالفتح ثم السكون وآخره نون، وهي في عدة مواضع ومنها نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة، ولديانتهم بالنصرانية سبب ذكره ياقوت الحموي، انظر معجم البلدان، ٣٢٧/٤.

رسول الله ﷺ فقرأه.

فقال الأسقف: يا أبا مريم! ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذلك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمرا من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه فبعث إلى رجل من أهل نجران فأقرأه الكتاب، فسأله عن الرأي فيه فقال له مثل قول شرحبيل ثم بعث الأسقف إلى رجل آخر أيضا فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل. فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعا أمر الأسقف بالناقوس، فضرب به، ورفعت المسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار، فاجتمع أهل الوادي أعلاه وأسفله، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الوادي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبدالله بن شرحبيل، وجبار بن فيض الحارثي، – وهما الرجلان اللذان شاورهما الأسقف فوافق رأيهما رأي شرحبيل – فيأتوهم بخبر رسول الله ﷺ.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فقال: علي ﷺ: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه؛ فرد سلامهم ثم سألهم وسألوه، فلم تزل بهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى عليه السلام؟ فإنا نرجع إلى قومنا، ونحن

نصارى، فيسرنا إن كنت نبياً أن نعلم ما تقول فيه؟

فقال رسول الله ﷺ: "ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى عليه السلام"، فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [1].

فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما أخبرهم الخبر؛ أقبل مشتملا على الحسن والحسين – رضي الله عنهما– في خميل له، وفاطمة – رضي الله عنها – تمشي عند ظهره للمباهلة [2]، وله يومئذ عدة نسوة.

فقال شرحبيل لصاحبه: يا عبد الله بن شرحبيل، ويا جبار بن فيض: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا، ولم يصدروا إلا عن رأي وإني والله أرى أمراً مقبلاً، وأرى والله إن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً، فكنا أول العرب طعن في عينه، ورد عليه أمره لا يذهب لنا في صدره، ولا من صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا أدنى العرب منهم جوارا، وإن كان هذا الرجل نبيا مرسلا، فلاعناه، فلا يبقى على وجه

(١) سورة: آل عمران: آية ٥٩ – ٦١.

(٢) المباهلة: هي الملاعنة: يقال: باهلت فلانا أي لاعنته، وكيفيتها بأن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولون: لعنة الله على الظالم منا.. انظر لسان العرب ١١/ ٧٢، مادة: بهل.

الأرض شعرة ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحباه: فما الرأي فقد وضعتك الأمور على ذراع فهات رأيك؟

فقال: رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلا لا يحكم شططاً أبداً. فقالا له: أنت وذاك فلقي شرحبيل رسول الله ﷺ، فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك" فقال: وما هو؟ قال شرحبيل: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت فينا، فهو جائز. فقال رسول الله ﷺ: "لعل وراءك أحداً يثرب عليك" فقال له شرحبيل: سل صاحبي، فسألهما، فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل. فقال رسول الله ﷺ: "كافر"، أو قال "جاحد موفق".

فرجع رسول الله ﷺ ولم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم كتابا مشهورا يذكر فيه شرائع الدين، فلما قبضوا كتابهم، انصرفوا إلى نجران، فتلقاهم الأسقف، ووجوه نجران على مسيرة ليلة، ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب، يقال له: بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة، فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف. فبينا هو يقرؤه، وأبو علقمة معه وهما يسيران إذ كَبَتْ ببشر ناقته؟ فتعس بشر، غير أنه لا يكني عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك: قد تعست نبيا مرسلا، فقال بشر: لا جرم والله لا أحل عنها عقدا حتى آتيه فضرب وجه ناقته نحو المدينة، وثنى الأسقف ناقته عليه فقال له: افهم عني إنما قلت هذا لتبلغ عني العرب مخافة أن يقولوا: إنا أخذنا حمقة أو خنعنا لهذا الرجل بما لم تخنع به العرب، ونحن أعزهم وأجمعهم دارا، فقال له بشر: لا والله لا أقيلك ما خرج من رأسك أبدا، فضرب بشر ناقته؟ وهو مول ظهره للأسقف وهو يقول:

**إليك تغدو قلقا وضينها		معترضا في بطنها جنينها**

مخالفا دين النصارى دينها

حتى أتى النبي ﷺ ولم يزل معه حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك، ودخل الوفد نجران، فأتى الراهب ابن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعة له، فقال له: إن نبيا قد بعث بتهامة، وإنه كتب إلى الأسقف، فأجمع أهل الوادي أن يسيروا إليه شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض، فيأتونهم بخيره، فساروا حتى أتوه، فدعاهما إلى المباهلة، فكرهوا ملاعنته، وحكمه شرحبيل؛ فحكم عليهم حكما، وكتب لهم كتابا ثم أقبل الوفد بالكتاب حتى دفعوه إلى الأسقف، فبينا الأسقف يقرؤه، وبشر معه حتى كبت ببشر ناقته فتعسه، فشهد الأسقف أنه نبي مرسل، فانصرف أبو علقمه نحوه يريد الإسلام، فقال الراهب: أنزلوني وإلا رميت بنفسي من هذه الصومعة، فأنزلوه، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله ﷺ منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء والقعب والعصا، وأقام الراهب بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحي، والسنن، والفرائض، والحدود، وأبى الله للراهب الإسلام، فلم يسلم، واستأذن رسول الله ﷺ في الرجعة إلى قومه؟ وقال: إن لي حاجة ومعاداً إن شاء الله تعالى، فرجع إلى قومه فلم يعد حتى قبض رسول الله ﷺ. وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ ومعه السيد والعاقب، ووجوه قومه، وأقاموا عنده يستمعون ما ينتزل الله عليه فكتب للأسقف الكتاب وللأساقفة بنجران بعده كتابا، فلما قبض الأسقف الكتاب، استأذن في

الانصراف إلى قومه ومن معه، فأذن لهم، فانصرفوا [1].

وورد في سبب نزول أول سورة آل عمران ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ [2] "أنهم خاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، فقال لهم النبي ﷺ، " ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه "؟! قالوا: نعم، قال: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ "قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟". قالوا: بلى، قال: "فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟" قالوا: لا، قال. "ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟!" قالوا: بلى، قال: "فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟ "قالوا: لا قال: "فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء". قال: "ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب، ولا يحدث الحدث" ؟، قالوا: بلى قال: "ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يتغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث"؟! قالوا: بلى. قال: "فكيف يكون هذا كما زعمتم؟" قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً، فأنزل الله: ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ الآية [3].

---

(١) إسناده ضعيف لجهالة سلمة بن يسوع فما فوقه . انظر حاشية زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ، ط [الخامسة، عام: ١٤٠٧ مؤسسة الرسالة] ٦٣٧/٣.

(٢) سورة آل عمران، آية ١ – ٢.

(٣) أورده الواحدي في أسباب نزول أول سورة آل عمران انظر ط[الأولى، عام: ١٩٨٣م، مكتبة الهلال – بيروت –] ص٦٨، وانظر العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط [الأولى، عام: ١٤١٨هـ، الناشر: دار ابن الجوزي] ٦٥٧/٢.

وروى البيهقي بإسناد صحيح إلى ابن مسعود، أن السيد والعاقب[1] أتيا رسول الله ﷺ فأرادا أن يلاعناه، فقال أحدهما لصاحبه: لا تلاعنه فوالله إن كان نبياً فلاعنته لا نفلح نحن، ولا عقبنا من بعدنا، قالوا له: نعطيك ما سألت، فابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً فقال:

"لأبعثن معكم رجلاً أميناً حقاً أميناً"، فاستشرف لها أصحابه، فقال: "قم يا أبا عبيدة بن الجراح"[2]. وفي صحيح مسلم "من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا ومما قالوا: أرأيت ما يقرؤون" يا أخت هارون"، وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم"[3][4].

الفرع الثاني: دعوته ﷺ الجارود في وفد عبد القيس:

وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو بن حنش وكان نصرانياً[5] فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلمه فعرض عليه الإسلام، ودعاه إليه،

---

(١) وذكر ابن سعد أن العاقب والسيد أسلما، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط [دار العاصمة] ٢١٩/١.

وانظر: الرحيق المختوم للمباركفوري ط [الأولى، عام: ١٤٠٦هـ، دار القلم – بيروت] ص٤٣٤.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب/ مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ص٧٦٨.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الآداب، انظر مختصر صحيح الإمام مسلم، للمنذري، ط [السادسة، عام ١٤٠٧هـ – المكتب الإسلامي] برقم: ١٤٠٢.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، ٣/ ٦٢٩ – ٦٣٧.

البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٤٨. الرحيق المختوم، ص٤٣٣.

(٥) هو الجارود بن بشر بن المعلى في وفد عبد القيس، وكان نصرانيا، انظر البداية والنهاية ٤٤/٣.

ورغبه فيه، فقال: يا محمد إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك أفتضمن لي ديني؟

فقال رسول الله ﷺ: "نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه". فأسْلمَ وأسْلمَ أصحابه، ثم سأل رسول الله ﷺ الحملان فقال: "والله ما عندي ما أحملكم عليه". قال يا رسول الله: إن بيننا وبين بلادنا ضوالا من ضوال الناس أفنتبلغ عليها إلى بلادنا، قال: لا، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار. قال: فخرج الجارود راجعا إلى قومه وكان حسن الإسلام صلبا على دينه حتى مات[1].

الفرع الثالث: دعوته ﷺ وفد بني تغلب[2]:

ذكر أنهم كانوا ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى عليهم صلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن لا يضيعوا أولادهم في النصرانية، وأجار المسلمين منهم[3].

الفرع الرابع: دعوته ﷺ وفد طئ مع زيد الخير رضي الله عنه:

وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيئ وفيهم زيد الخيل[4]، وهو سيدهم

---

(١) المرجع السابق، ٤٤/٣.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله: هم "بنو تغلب بن وائل بن ربيعة بن نزار، من صميم العرب، انتقلوا في الجاهلية إلى النصرانية، وكانوا قبيلة عظيمة لهم شوكة قوية.." أحكام أهل الذمة، ٧٥/١.

(٣) المرجع السابق ٨٣/٣.

(٤) هو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد الرضا بن أفصى بن المختلس ويرجع نسبه إلى طيء، وفد سنة تسع، وسماه النبي ﷺ زيد الخير، وكان شاعرا خطيبا شجاعا كريما، يكنى أبا مكنف، قيل مات بعد منصرفه من رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان] ٥١٤/٢.

فلما انتهوا إليه وكلموه، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام؛ فأسلموا، وحسن إسلامهم، وقال رسول الله ﷺ: "ما ذكر رجل من العرب بفضل ثم جاءني؛ إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل؛ فإنه لم يبلغ الذي فيه، ثم سماه رسول الله ﷺ: زيد الخير، وقطع له فيد وأرضين معه، وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا إلى قومه [1].

الفرع الخامس: معالم دعوته ﷺ لجماعات من النصارى:

يمكن إبراز معالم دعوته ﷺ لجماعات من النصارى من خلال الآتي:

أولاً: معالم الدعوة المتعلقة بميدان الدعوة:

جواز دخول المدعوين من النصارى مساجد المسلمين إذا كان لمصلحة، ويسهم في اطلاعهم على محاسن الإسلام [2]، بل يجوز أن نأذن لهم في زيارة بيوتنا مع الأمن من الفتنة، والمحافظة على الحرمات إذا كان ذلك فيه تأليف لقلوبهم [3].

ثانياً: معالم الدعوة المتعلقة بالأساليب:

١) جواز مجادلة المدعوين من النصارى ومناظرتهم بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذ ظهرت مصلحته مِنْ إسلام مَنْ يرجى إسلامه منهم [4]

٢) إنَّ السنة في مجادلة النصارى– وغيرهم إذا قامت عليهم حجة الله، ولم

---

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٥٧/٣. وزاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١٦/٣.

(٢) انظر: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام – د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، ط الأولى، عام ١٤٢٠هـ الناشر: ب. ذ [ص/ ١٧٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص/ ١٨٠.

(٤) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٣٨/٣ – ٦٤٤.

يرجعوا، بل أصروا على العناد– أن يدعون إلى المباهلة.

٣) أهمية كشف الشبهات، ونقدها للوصل إلى قناعة المدعو، ويقينه بأن الإسلام لا مرية فيه على الإطلاق.

٤) إنَّ المباهلة دليل محسوس يفضي بالمدعو إلى الإذعان، ويبهته في بعض الأحيان، وكذا سائر الأدلة المحسوسة إذا أحسن الداعي استخدامها.

ثالثاً: معالم الدعوة المتعلقة بالداعية:

١) أهمية بعث الإمام أو من ينيبه الرجل العالم إلى المدعوين لما فيه مصلحة الإسلام، وأنه ينبغي أن يتصف بكونه أمينا، وهو الذي لا غرض له ولا هوى، وإنما مراده مجرد مرضاة الله ورسوله، كحال أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

٢) جواز ترك الداعية دعوة النصارى إذا ظهر منهم التعاظم والتكبر وإشعارهم بذلك إلى حين زوال ذلك الحال، فإن رسول الله ﷺ لم يكلم رسل القوم، ولم يرد السلام عليهم حتى لبسوا ثياب سفرهم، وخلعوا الحلل التي كانوا يجرونها، وخواتيم الذهب التي كانوا يلبسونها.

٣) على الداعية إعداد نفسه للمناظرة إذا تطلبت الدعوة ذلك، فإن أشكل عليه أمر ينبغي أن يسأل من هو أعلم منه فرسول الله ﷺ لما سأله وفد نجران: ما تقول في عيسى عليه السلام؟ ولم يكن لديه الجواب قال: "ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى عليه السلام"، فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ

لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[1].

٤) على الداعية استشراف مستقبل الدعوة في الموقف الذي هو فيه، فإذا إذا لم يتمكن من إصلاح المدعو فعليه أن يبذر بذرة الخير، التي قد تنمو في المستقبل، فالنبي ﷺ لما لم يقبل وفد بني تغلب الإسلام، صالحهم على أن لا يضعوا أولادهم في النصرانية.

رابعاً: معالم الدعوة المتعلقة بالمدعو:

أ- إن من معالم الدعوة المتعلقة بالمدعوين قيام النبي ﷺ بدعوة النصارى الجماعية كما قام بدعوة أفرادهم.

ب- من حسن السياسة، وأدب الإسلام وأخلاقه؛ احترام ممثلي الشعوب أو ممثلي القبائل، وإكرامهم، وإنزالهم منازلهم، وذلك بدليل ما كان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة، وحسن الاستقبال، وإجزال العطاء. فقد عُلم أن النبي ﷺ كان يستقبل جميع الوفود بأحسن استقبال، ومنهم وفد نجران[2].

---

(١) سورة: آل عمران: آية ٥٩ – ٦١.

(٢) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية – د. مهدي رزق الله أحمد، ط الأولى، عام: ١٤١٢هـ الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض] ص/ ٦٧٣.
وانظر تعليق الإمام ابن قيم الجوزية على ذلك في كتابه أحكام أهل الذمة ١/ ١٩١.

ج- إنَّ أحكام الإسلام تقدم للمدعو الذي أسلم بوضوح، وصدق فالجارود لما قال إن بيننا وبين بلادنا ضوالاً من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا، قال له المصطفى ﷺ: لا، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار.

المبحث الثاني

دعوته ﷺ غير المباشرة للنصارى

ويشمل ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة ومعالمها.

المطلب الثاني: دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل ومعالمها.

المطلب الثالث: دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق القتال ومعالمها.

المطلب الأول

دعوته ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة ومعالمها

بعد أن ذكرت دعوته ﷺ للنصارى المباشرة أفرادا وجماعات وهم ممن استقبلهم النبي ﷺ وقدم لهم الدعوة المناسبة؛ فإنه من المهم هنا عرض دعوة النبي ﷺ للنصارى غير المباشرة وذلك من خلال الفرعين التاليين.

الفرع الأول: دعوة النبي ﷺ لنصارى اليمن ببعث معاذ رضي الله عنه:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ بعث معاذا [1] رضي الله عنه إلى اليمن فقال له: "إنك تأتي قوما أهل كتاب [2] فأدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم: أن الله أفترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك؛ فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[3].

الفرع الثاني: معالم دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة:

يمكن إبراز معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق إرسال الدعاة من خلال الآتي:

أ- على ولاة المسلمين، أو نوابهم تحسس حاجة الناس للدعوة ثم بعث الدعاة الأَكْفِياء إليهم في أقطارهم.

---

(١) السيد الإمام، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني البدري، شهد العقبة شابا أمردا، أسلم وله ثمان عشرة سنة، وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وشهد له النبي ﷺ بأنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، توفي: سنة ثمان عشرة، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة رضي الله عنه، انظر سير أعلام النبلاء، ٤٤٣/١.

(٢) قال الإمام القرطبي: "يعني به اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب". انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط لمؤسسة قرطبة)، ص١١٣.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. ص٢٩٨، رقم الحديث: ١٤٩٦ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب: الزكاة، باب: وجوب الزكاة، مختصر المنذري، رقم الحديث: ٥٠١.

ب- ينبغي للإمام أو من ينيبه أن يعظ دعاته، ويرشدهم إلى الطريقة المثلى للدعوة، وهذا يتمثل اليوم بعقد الدورات التي تسهم في تأهيل الدعاة، وتكسبهم الخبرات والقدرات على ممارسة الدعوة بصورة أفضل.

ت- على الداعي التدرج في الدعوة والبدْء بالأهم فالأهم عند تقديم الدعوة، ولهذا فالسنة أن أهل الكتاب يدعون إلى توحيد الله، والإيمان برسالة محمد ﷺ قبل الدخول في تفاصيل ودقائق وهذا التدرج من التلطف في الخطاب، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة [1].

ث- على الداعي مراعاة أحوال المدعوين، وما هم عليه من عقيدة ومذهب، حتى يعرف حالهم.. فيستعد لهم، ويقدم لهم ما يناسبهم، وما يصلحهم ببرنامج عملي مرتب.

ج- اختيار الداعية المناسب في الموقع الدعوي الملائم، فكما هو معلوم أن أهل اليمن أهل حكمة، والحكمة يمانية، فلذا بعث النبي ﷺ أعلم أمته، وأفقهها إليهم، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ٣/ ٤١٩.

المطلب الثاني

دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل ومعالمها

في أواخر السنة السادسة من الهجرة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية[1]؛ أرسل رسله بكتبه إلى ملوك الأقاليم يدعوهم إلى الإسلام[2].

وخطوة النبي ﷺ هذه لايوجد لها نظير في تاريخ الديانات السابقة، فإن أحداً من أتباعهم لم يقف هذا الموقف [3] ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك، والزعماء قيل له: إنهم لا يقبلون الكتاب إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة نقشه: محمد رسول الله، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر:

محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، هكذا:

الله

رسول

محمد

وسوف نتناول هذا المطلب من خلال الفروع التالية:

الفرع الأول: دعوته ﷺ للنجاشي.

الفرع الثاني: دعوته ﷺ المقوقس.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه؟، ص٥٩٥، رقم الحديث: ٢٩٣٨.

(٢) انظر : حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد بن بحرق الحضرمي الشافعي ط [الأولى ، عام:١٤٢١هـ ،الناشر: دار المنهاج – بيروت] ص/ ٣٣١.

(٣) انظر : رحمة للعالمين – للقاضي محمد بن سليمان المنصورفوري ١٧٤/١ .

الفرع الثالث: دعوته ﷺ هرقل.

الفرع الرابع: دعوته ﷺ الحارث بن أبي شمر.

الفرع الخامس: دعوته ﷺ أبناء الجلندي.

الفرع السادس: دعوته ﷺ جبلة بن الأيهم.

الفرع السابع: دعوته ﷺ هوذة بن علي الحنفي.

الفرع الثامن: دعوته ﷺ فروة بن عمرو الجذامي.

الفرع التاسع: معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

الفرع الأول: النجاشي (ملك الحبشة):

وهذا النجاشي اسمه أصحمة بن الأبجر بعث النبي ﷺ إليه بكتاب سنة ست من الهجرة يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمل الكتاب عمرو بن أمية الضمري ونص الكتاب:

((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله، وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة؛ فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق الله آدم بيده، وإني أدعو إلى الله وحده لا شريك له، والمولاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ﷺ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله – عز وجل – وقد بلغت ونصحت، فاقبل نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)).

ولما بلغ عمرو بن أمية الضمري [1] كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، أخذه النجاشي، ووضعه على عينه، ونزل عن سريره على الأرض، وأسلم وكتب بذلك إلى النبي ﷺ: "بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:" فقد بلغني كتابك يا رسول فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروقا، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا [2] ابن عمك وأصحابك، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله رب العالمين"[3].

الفرع الثاني: المقوقس (ملك مصر):

واختلف في اسمه فقيل هو: جريج بن متى، وقيل: اسمه بنيامين [4] وهو الملقب بالمقوقس ملك مصر والإسكندرية:

فكتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وحمل الكتاب حاطب بن أبي بلتعة[5] رضي الله عنه، ونص الكتاب:

---

(١) صحابي مشهور، أسلم حين انصرف المشركون من أحد، اتسم بالشجاعة عاش إلى خلافة معاوية، مات بالمدينة. انظر: الإصابة لابن حجر، ٤/٤٩٦.

(٢) أي أضفناه. تقول: قريت الضيف، إذا أحسنت إليه، وتقول لمن هذه صفته: إنه لمقراء للضيف، وقري للضيف، انظر لسان العرب، ١/ ١٧٩.

(٣) انظر: الرحيق المختوم، ص٣٩٢ وزاد المعاد، ٣/٦٨٩. وتاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن، ط [السابعة، عام: ١٩٦٤]، ص١٥٩.

(٤) انظر الرحيق المختوم، ص٣٩٥.

(٥) وهو من مشاهير المهاجرين، شهد بدرا وبقية المشاهد، وكان رسول الله ﷺ للمقوقس، وكان تاجرا في الطعام، ومن الرماة الموصوفين، وتوفي سنة ثلاثين للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، =

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [1].

فلما دخل حاطب على المقوقس. قال له: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به ثم انتقم منه. فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك. فقال المقوقس: إن لنا دينا لن ندعه إلا لما هو خير منه.

فقال حاطب: ندعوك إلى دين الإسلام الكافي به الله، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليهم قريش، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل فكل نبي أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكنا نأمرك به.

فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي؛ فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا

=

٤٣/٢.

(١) سورة آل عمران، آية ٦٤.

الكاهن الكاذب، ووجدت معه آية النبوة بإخرج الخبء [1] والإخبار بالنجوى وسأنظر.

وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج، وختم عليه، ودفع إلى جارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله ﷺ:

"بسم الله الرحمن الرحيم" لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط.

سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبيا بقى، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين، لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك". ولم يزد على هذا، ولم يسلم[2].

الفرع الثالث: هرقل (ملك الروم):

وبعث إلى هرقل بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، وحمل الكتاب دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه، ونص الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين [3]، ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ

---

(١) الغائب المستور، ويشير إلى إخباره بالمغيبات التي اطلعه الله عليها.

(٢) انظر: زاد المعاد ٦٩١/٣ وتاريخ الإسلام، ١٥٨/١ والبداية والنهاية، ٢٧١/٢.

(٣) الإرسيين: هم الفلاحون والزراعون، ونبه عليهم لأنهم الأغلب والأسرع في الانقياد. انظر شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٢، ط [الأولى، عام: ١٤٠٧هـ، دار القلم – بيروت]، ص٣٥٢.

كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا يَتَّخِذَ وَلَا شَيْـًٔا بِهِۦ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [1] [2].

الفرع الرابع: الحارث بن أبي شمر [3] (أمير دمشق):

وهو الحارث بن أبي شمر الغساني وكان أميرا بدمشق، كتب إليه النبي ﷺ كتابا مع شجاع بن وهب [4] رضي الله عنه يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك"

ولما بلغه الكتاب قال: ومن ينزع ملكي مني؟ أنا سائر إليه. ولم يسلم [5].

---

(١) سورة آل عمران، آية ٦٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله. ص٥٩٥، رقم الحديث: ٢٩٤ ومسلم، كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام، مختصر المنذري، رقم: ١١٢١.
وانظر: البداية والنهاية، ٢٦٥/٢ ، وتاريخ الإسلام، ١/ ١٥٩.

(٣) ذكر الواقدي القصة بدون إسناد حكاه الألباني، انظر: تحقيقه فقه السيرة للغزالي لط: السابعة، عام: ١٩٧٦م]، ص٣٨٦.

(٤) ويقال ابن أبي وهب بن ربيعة بن أسد بن صهيب بن مالك الأسدي، كان من السابقين الأولين، وشهد بدرا، واستشهد باليمامة، انظر: الإصابة لابن حجر، ٢٥٦/٣.

(٥) انظر زاد المعاد، ٦٩٧/٣، والرحيق المختوم، ص٣٤٥.

الفرع الخامس: ابنا الجُلَنْدي (ملك عُمَان):

وكتب النبي ﷺ كتابا إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد أبناء الجلندي، وحمل الكتاب عمرو بن العاص[1] رضي الله عنه، ونصه: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد. فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله ﷺ إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين. فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام؛ فإن ملككما زائل، وخيل تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما)).

قال عمرو رضي الله عنه: فخرجت حتى انتهيت إلى عُمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد – وكان أحلم الرجلين، وأسهلهما خلقا – فقلت: إني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك فقال: أخي المقدم علي بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك ثم قال: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة؟ قلت: مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ. ووددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام. قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريبا. فسألني؛ أين كان إسلامك؟ قلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: وكيف صنع قومه بملكه؟ فقلت أقروه واتبعوه. قال:

---

(١) أسلم قبل الفتح على يد النجاشي وهو بأرض الحبشة، وكان من دهاة العرب، وكان يدنيه ﷺ لمعرفته وشجاعته، وله شأن، عاش بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عشرين سنة. انظر: الإصابة لابن حجر، ٤/٥٤٠.

والأساقفة والرهبان تبعوه؟ قلت: نعم، انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح له من الكذب. قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي. قلت: بلى، قال: فبأي شيء علمت ذلك ؟

قلت: كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم – وصدق بمحمد ﷺ، قال: لا والله؟ لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله؛ فقال له النياق أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين بدين غيرك دينا محدثا؟

قال هرقل: رجل رغب في دين، فاختاره لنفسه، ما أصنع به؟ والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال: أنظر ما تقول يا عمرو، قلت: والله صدقتك. قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله – عز وجل – وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا، وعن الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. قال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني عليه لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا.

قلت: إنه إن أسلم؛ ملكه رسول الله ﷺ على قومه. فأخذ الصدقة من غنيهم فيردها على فقيرهم، قال: إن هذا خلق، حسن. وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل. قال يا عمرو: تؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ فقلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا. قال: فمكثت ببابه أيام. وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوما فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي، فقال: دعوه، فأرسلت

فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوما، ففض خاتمه، وقرأ حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثل قرأته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه. إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف. قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال، فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتبعته توطئك الخيل، وتبيد خضراءك، فأسلم تسلم، ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال: دعني يومي هذا، وارجع إلي غدا.

فرجعت إلى أخيه فقال: يا عمرو، إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه حتى إذا كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي. فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه. فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا، وإن بلغت خيله لقت قتالا ليس كقتال من لاقى. فقلت: أنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه.

فلما أصبح أرسل إلي، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا النبي ﷺ، وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني[1].

---

(١) انظر: زاد المعاد، ٦٩٣/٣.

الفرع السادس: هوذة بن علي الحنفي (أمير اليمامة)[1]:

وكتب إلى هوذة بن علي الحنفي، وكان أميرا على اليمامة، بكتاب أرسله مع سليط بن عمرو العامري ﷺ [2] يقول فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي؟ سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يدك"، فلما قدم عليه سليط ﷺ بكتاب رسول الله ﷺ مختوما؛ أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب، فرد ردا ذا وجهين، فقد كتب إلى النبي ﷺ: ما أحسن ما تدعوا إليه وأجمله، والعرب تهاب مكاني، فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك، وأجاز سليطاً بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر، فقدم بذلك كله على رسول الله ﷺ فأخبره وقرأ ﷺ كتابه فقال: لو سألني سيابة [3] من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يده. فلما انصرف ﷺ من الفتح، جاءه جبريل عليه السلام فأخبره بأن هوذة مات، فقال ﷺ: "أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بها بعدي، فقال قائل: يا رسول الله من يقتله؟ فقال له رسول الله ﷺ "أنت

---

(١) اليمامة: معدودة من نجد، فتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد رضي الله عنه عنوة ثم صولحوا.. انظر: معجم البلدان، ٥٠٥/٤.

(٢) هو: سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري، أسلم قديما، قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأرسله النبي ﷺ إلى هوذة رئيس اليمامة، واستشهد باليمامة فرضي الله عنه وأرضاه، انظر الإصابة، ١٣٦/٣.

(٣) السيابة: "بفتح السين والتخفيف: البلحة، وجمعها سياب"، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ت: ٦٠٦هـ، ط: [الثانية، عام: ١٣٩٩هـ، الناشر: دار الفكر، لبنان – بيروت]، ٤٣٢/٢.

وأصحابك، فكان كذلك"[1].

الفرع السابع: جبلة بن الأيهم (ملك غسان):

وكتب النبي ﷺ إلى جبلة بن الأيهم وكان ملكا على غسان وهو نصراني فكتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فلما جاءه الكتاب أسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية ولم يزل على إسلامه حتى كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فارتد عن الإسلام [2] [3].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٦٩٦. والبداية والنهاية، ١٨٣/٤.

(٢) بسبب أنه لطم عين رجل من مزينة في زمن عمر بن الخطاب فقضى بالقصاص فأنف وقال عيني وهينه سواء ! ولحق بعمورية ثم ارتد ومات بها كافراً =

= وقال يوماً لجواريه: ابكيتني، فوضعن عيدانهن ونسكن رؤوسهن وقلن

تنصرت الأشراف من عار لطمة		وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها اللجاج ونخوة		وبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني		رجعت إلى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرة		وكنت أسيرا في ربيعة أو مضر
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشة		أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة		وقد يصبر العود الكبير على الدبر

فوضع يده على وجهه فبكى حتى بل لحيته بدموعه. انظر: البداية والنهاية، ٦٦/٨. والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي – للمناوي ط، الأولى عام: ١٤٢٧هـ ، دار أطلس الخضراء– الرياض لص/ ٤٨١

(٣) فروة بن عمرو بن النافرة، من بني نفاثة، من جذام، كان عاملاً للروم على قومه بني النافرة (بين خليج العقبة وينبع). انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٤٣.

الفرع الثامن: فروة بن عمرو الجذامي[1]، وكان عاملا للروم (على معان)[2]:

وكتب إلى فروة بن عمرو الجذامي، وقد كان عاملا للروم على معان، فأسلم، وكتب إلى رسول الله ﷺ بإسلامه، ولما بلغ ملك الروم إسلامه دعاه، وقال له: ارجع عن هذا الدين نملكك، قال: لا أفارق دين محمد، وإنك لتعلم أن عيسى قد بشر به ولكنك تضن بملكك، فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه على ماء يقال عفراء، بفلسطين فلما قدموه قال:

**بلغ سراة المسلمين بأنني		سلم لربي أعظمي ومقامي**

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء، رحمه الله[3].

الفرع التاسع: معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق الكتب:

يمكن إبراز معالم دعوته ﷺ للنصارى عن طريق الكتب والرسائل من خلال الآتي:

أولاً: معالم الدعوة المتعلقة بموضوع الدعوة:

١) التأكيد الدائم على كلمة التوحيد في الدعوة إلى الله.

٢) ذكر العاقبة والثمرة حين قبول الإسلام، وتمنيتهم بالخير في الدنيا والآخرة" أسلم تسلم، ويؤتك الله أجرين".

٣) الإبانة عن الاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم عليه السلام، حيث كان النبي ﷺ يورد ما يدل على هذا المسلك.

---

(١) فروة بن عمرو بن النافرة، من بني نفاثة، من جذام، كان عاملاً للروم على قومه بني النافرة (بين خليج العقبة وينبع). انظر الأعلام للزركلي ٥/ ١٤٣.

(٢) بالفتح: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البقاء، انظر: معجم البلدان، ٢٨٥/٤.

(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٤٦/٣ والبداية والنهاية، ٧٧/٥.

٤) عرض جوانب الاتفاق الديني بين الإسلام والنصرانية تمهيداً للدعوة.

٥) إخبار المسلمين بأن هذا الدين سينتصر، وأن الغلبة لأتباعه، والتحذير من زوال ملك من لا يؤمن به، فالملك يبقى بالدين.

٦) بشارة المسلمين بأن ملكهم ودينهم سيبلغ آفاق الدنيا.

ثانياً: معالم الدعوة المتعلقة بالداعية:

١) بذل الوسع في تبليغ الدعوة لنصارى العالم، فإما قبول ودخول في دين الله، وكرامة وعزة، وإما إقامة حجة عليهم، وإعذار أمام الله عز وجل.

٢) إنَّ على ولي أمر المسلمين أو من ينيبه؛ أن يتولى دعوة حكام العالم ورؤساء الناس إلى الإسلام الحنيف بالأسلوب المناسب.

ثالثاً: معالم الدعوة المتعلقة بالوسائل والأساليب:

١) الاستفادة من الوسائل المتاحة في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٢) مشروعية موافقة الأعمال التي تعارف عليها عموم البشر، وإن كانوا كفاراً، وذلك لمصلحة الدعوة إذا كان في دائرة المباح، كما اتخذ النبي ﷺ الخاتم حين علم أن الملوك لا تقبل الكتب إلا مختومة.

٣) جواز تلقيب الكفار بألقابهم المخلوعة عليهم، تأليفا لقلوبهم – إذا لم تكن محظورة شرعا –.

٤) مناسبة الدعوة الصريحة إلى الإسلام بكلمة "أسلم" حينما يرى الداعية أنه سيكون لها تأثير على المدعو

٥) أهمية الجمع في الكتاب المرسل بين الترغيب والترهيب.

٦) كانت تلك الرسائل بأسلوب بليغ حيث اشتملت على الأمر بقوله

"أسلم"، والترغيب بقوله "تسلم ويؤتك"، والزجر بقوله "فإن توليت"، والترهيب بقوله "فإن عليك"، والدلالة بقوله "يا أهل الكتاب"[1]، ولا يخفى على العاقل ما للبلاغة من تأثير.

رابعاً: معالم الدعوة المتعلقة بالمدعو:

١) تنوع صيغة الكتاب إلى النصارى، وذلك بحسب حال قوة المسلمين، وحال المخاطب.

٢) كان لتلك الكتب على المدعوين من النصارى آثار عظيمة منها:

- بلوغ الدعوة ملوك النصارى، وإقامة الحجة، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.
- استجابة ملك الحبشة (النجاشي).
- استجابة ملك عمان (أبناء الجلندي).
- استجابة فروة بن عمرو الجذامي.
- استجابة جبلة بن الأيهم، لكنه ارتد في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- من كفر من ملوك النصارى تأدبوا مع النبي ﷺ وخضعوا له، واعترفوا بنبوته، وأنه الرسول المنتظر[2].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري – للحافظ ابن حجر، ١/٥٨.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١/٢٣٠.
ومما يؤكد هذا ما نقله ابن حجر في الفتح عن السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع كتاب الرسول ﷺ في قصبة من ذهب تعظيماً له وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلب على طليطلة ثم كان عند سبطه. قال السهيلي: فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب فلما رآه استعبر وسأل أن يمكنه من تقبيله فامتنع. انظر فتح الباري – للحافظ ابن حجر ١/٤٤.

- تعريف النصارى والعالم باسم النبي ﷺ ودينه الجديد حيث كانت تلك المكاتبات بمثابة حملة إعلامية على نطاق واسع في مصطلح العصر.
- فتحت تلك المكاتبات قناة للدعاة لتقديم الدعوة المباشرة للمدعوين، وذلك حين حمل الصحابة تلك الكتب إلى الملوك.

المطلب الثالث

دعوته ﷺ للنصارى عن طريق القتال وآثارها

تمهيد:

إن الجهاد الذي امتثله رسول الله ﷺ وصحبه الكرام بنوعيه الدفاعي والهجومي[1] كان مكيفاً لإيصال الدعوة إلى الناس، وإزالة العقبات التي تعترض مسيرها وهو ما يطلق عليه "الجهاد الدعوي".

فقد أوضح النبي ﷺ للناس عامة الهدف من الجهاد بقوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي

---

(١) جهاد الرسول ﷺ هل هو هجومي أو دفاعي ؟ وهل الدفاعي بمعناه الضيق أم بمعناه الشامل الذي يشمل إزاحة العوائق التي تواجه طريق الدعوة ؟ أم هو لقيام فريضة الجهاد بصرف النظر عن كونه هجوماً أو دفاعاً ؟.

والجواب أنه قد يسمى دفاعاً ضد عدوان على المسلمين ، وقد يسمى إزاحة عقبة مادية في طريق الدعوة الإسلامية ، وقد يسمى هجوماً وتوسعاً ، باعتبار أن الهجوم على الكفار في عقر دارهم – بعد دعوتهم وتخييرهم – يسهم في إضعاف سلطانهم في تلك المناطق التي يسيطرون على أهلها ، وذلك تمهيداً لإسقاط ذلك السلطان في النهاية، ونشر الإسلام فيها ، ومن ثم ضمها إلى الدولةالإسلامية الوليدة التي تأخذ في التوسع في أرض الله ، ولكن على اختلاف هذه التسميات، فهي كلها تصب في هدف دعوي واحد واضح وهو نشر الدعوة الإسلامية .

وللتوسع والاطلاع على أقوال العلماء من المتقدمين والمتأخرين حول هذا ينظر : الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (رسالة دكتوراة عن الجهاد في صدر الإسلام وفقه الإسلام والعصر الحديث) – د. محمد خير هيكل ، ط [الثانية، عام : ١٤١٧هـ ، الناشر: دار البيارق – بيروت] ، ١ / ٥٠٦–٥٢٤ .

وبحث نفيس لمعالي الشيخ صالح الحصين حول هذا الموضوع انتظم كتاب شركاء لا أوصياء للدكتور حامد الرفاعي ط [الثانية، عام : ١٤٢٧هـ ، الناشر: المنتدى الإسلامي العالمي للحوار] ص/ ١٨٩.

نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ »[1]، فالهدف إذاً واضح للأمراء والجند، حيث وضعوه نصب أعينهم، وهو إنقاذ الناس من الضلالة، ودلالتهم على طريق الهداية، ويؤكد هذا ما أخرجه الإمام مسلم أن النبي ﷺ: كان إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا...»[2]، ولهذا كان يأمر أمير سريته أن يقوم بدعوة عدوه قبل القتال، وأن يخير المقاتلين بين إحدى ثلاث ففي الحديث نفسه: « وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ»[3] وهي إما إلى الإسلام، وإما إلى بذل الجزية[4]، وإلا فالقتال.

فالقتال إذاً خيار أخير للدعوة كما هو بيِّن، وليس هو الهدف لخروج جيش الدعوة[5] كما هو الحال في الحروب الأخرى[6].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب : الزكاة ، باب: وجوب الزكاة ، ص/٢٧٧ ، رقم الحديث: ١٣٩٩. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، في كتاب : الإيمان ، باب : الأمر بالقتال حتى يقولوا لا إله إلا الله، ص/ ٣٢ ، رقم الحديث: ١٢٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم آداب الغزو وغيرها ، ص/ ٧٦٨ ، رقم الحديث : ٤٥٢٢ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب: الجهاد والسير ، ص/ ٧٦٨ ، رقم الحديث: ٤٥٢٢.

(٤) للتوسع في موضوع الجزية وحكمتها ودلالاتها ينظر : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية – محمد الراوي ، ط [الأولى، عام : ١٤١٥هـ ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض] ص/ ٥٠٩.

(٥) انظر : مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– بحث بعنوان: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ – د. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي ، عدد : ٢١ ، محرم ، عام: ١٤١٩هـ ، ص/٢٦٠.

(٦) كحروب الجاهلية والتي كان من أبرز أهدافها الحصول على الحاجة المعاشية والطمع =

وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير باباً بقوله: "دعوة اليهود والنصارى، وعلى ما يقاتَلون عليه، وماكتب النبي إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال"، ثم ساق الشواهد [1].

قال الشيخ محمد أبو زهرة [2]: "ولقد كان تسمية الحرب في الإسلام بالجهاد فيه إيحاء إلى أنها ليست حرب قتل وغَلَب، ولكن دعوة للحق وحماية له من أن يعتدى عليه، وفتح الطريق لتصل الدعوة إلى النفوس، وإزالة الحواجز المانعة.

ولذلك كان على القائد الذي يقود جيش الإسلام إلى الجهاد أن يدعو إلى الإسلام، فإن أسلم من يدعوهم فهم مثلنا، علينا حمايتهم ولهم أخوّتنا، وإن لم يسلموا عرض عليهم العهد على سبيل من إقامة الحق، وفتح الطريق

=

والاستكثار والثأر والانتقام والإرهاب والحصول على الإماء وضرب الرق على المغلوبين وفرض السيطرة على الآخرين بالقوة والصراع لأجل السلطة ، ومنها ما يكون ناشئاً عن بعض المفاهيم الجاهلية المحرضة على القتال كما أن أهداف الحروب في العصر الحاضر بين الدول لاتبعد كثيراً عن تلك ، والفرق إنما هو في تحسين المسميات ، وتزويقها كالحرب التي تشتعل نارها بهدف حماية المصالح الخارجية .والذي يجمع أهداف الحروب القديمة والحديثة أمران :

١- الجري وراء المنافع المادية ، والأطماع الدنيوية ..

٢- حب السيادة سواء كانت سيادة الأمة ، أو سيادة المبدأ . بخلاف هدف الجهاد الإسلامي الذي يعلو على هذا كله ..

ينظر للتوسع : الجهاد والقتال في السياسة الشرعية – د. محمد خير هيكل ، ١/١٤-٣٠.

(١) صحيح الإمام البخاري ص/٥٩٥.

(٢) هو محمد بن أحمد أبو زهرة ينتهي نسبه إلى الأشراف ، ولد عام ١٣١٦هـ في المحلة الكبرى إحدى محافظات مصر ، وهو يعد أكبر علماء الشريعة في عصره وترقى في السلم الأكاديمي إلى درجة الأستاذ ومؤلفاته أكثر من أربعين كتاباً منها الخطابة ، تاريخ الجدل في الإسلام ، وأصول الفقه وغيرها وقد توفي عام ١٣٩٤هـ. انظر : الأعلام – للزركلي ٦/ ٢٦.

للدعوة الإسلامية، فمن يجيب ويهتدي دخل الإسلام، ومن لم يستجب فهو حر في معتقده "[1].

إن (الدعوة) و(الجهاد) يكملان بعضهما في عملية نشر الإسلام وتبليغه؛ فكان الجنود المسلمون يفتحون البلد فيعقبهم الدعاة بالفقه والتشريع والحديث والتفسير يشرحون الإسلام ويعلمون الناس قضاياه، وقد تفرق هؤلاء في جميع أنحاء المملكة الإسلامية، فهذا يرحل إلى مصر، وذاك إلى الكوفة، وثالث إلى الشام ورابع إلى إفريقية.. وهكذا فنتج عن ذلك حركة علمية في كل بلد نزلوا فيها[2].

وعلى الرغم من أهمية الجهاد الدعوي إلا أن له شروطاً تجب مراعاتها، وأحكاماً يجب معرفتها، وأحوالاً ينبغي إدراكها ولذا قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى: " ولكن في وقتنا هذا لما تغيّر المسلمون، وتفرقوا وصارت القوة و السلاح عند عدونا، وصار المسلمون الآن – إلا من شاء الله – لا يهتمون إلا بمناصبهم، وشهواتهم العاجلة، وحظهم العاجل، ضعف أمر الجهاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلم يبق في هذه العصور إلا الدعوة إلى الله ﷻ والتوجيه إليه "[3]. ونستعرض هذا المبحث من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول: دعوته ﷺ عن طريق القتال.

الفرع الثاني: آثار دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق القتال.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام – الإمام محمد أبو زهرة ، ط [بر ، عام: ١٩٩٢م ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة]، ص/ ٤٧.

(٢) انظر : تاريخ الدعوة – جمعه الخولي ، ج/٢، ص/ ١٢١.

(٣) انظر : من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ص/ ١٨ .

الفرع الأول: دعوته عن طريق القتال:

١) مؤته [١]: وكانت (سنة ثمان للهجرة):

بعد أن أرسل النبي ﷺ الكتب إلى الملوك النصارى بعث جيشاً جهة أرض الشام لغزوهم بقيادة زيد بن حارثة ﷺ فإن قتل فجعفر بن أبي طالب ﷺ فإن قتل فعبد الله بن رواحة ﷺ فالتقى الجمعان في مؤتة، وأخبر ﷺ أن الثلاثة رضي الله عنهم قتلوا، وأخبر أنه أخذ الراية خالد بن الوليد ﷺ ففتح الله على يديه [٢].

٢) تبوك [٣] وكانت (سنة تسع للهجرة):

ثم إنه بعد ذلك غزا النصارى بنفسه، وأمر جميع المسلمين أن يخرجوا معه في الغزاة، ولم يأذن في التخلف عنه لأحد، فقدم تبوك، وأقام بها عشرين ليلة ليغزوا النصارى عربهم وورومهم، وأقام ينتظر ليقاتلهم، فسمعوا به وأحجموا عن قتاله، ولم يقدموا عليه [٤].

٣) دومة الجندل [٥] (وكانت سنة تسع للهجرة):

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد [٦] إلى أُكيدر بن عبدالملك [١] كان

---

(١) مؤتة: بضم الميم، وهمز الواو قرية من قرى البلقاء في حدود الشام. انظر معجم البلدان، ٣٣٦/٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، ، رقم: ٤٢٦٢.

(٣) سبق التعريف بهذا المكان .

(٤) صحيح البخاري، ص٩٠٨، رقم: ٤٤١٥.

(٥) دومة الجندل: بضم دومة وفتحها تقع بين المدينة ودمشق، وعليها سور يتحصن به وفي داخله حصن منيع يقال له مارد انظر معجم البلدان ٣٢٥/١. وهي الآن محافظة في منطقة الجوف، شمال المملكة العربية السعودية، ولا زالت آثار ذلك الحصن باقية إلى اليوم.

(٦) ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب، سيف الله، وفارس الإسلام، وليث المشاهد السيد الإمام الكبير الأمير، شهد حروب الشام، ولم يبق في جسده قيد شبر إلا وعليه =

ملكا عليها وكان نصرانيا، وقال رسول الله ﷺ لخالد "إنك ستجده يصيد البقر" فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة، وهو على سطح له ومعه امرأته. وباتت البقر تحك بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، فنزل فأمر بفرسه فاسرج له، وركب معه نفر من أهل بيته. فلما خرجوا تلقتهم خيل النبي ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

ولما قدم خالد بن الوليد بأكيدر على رسول الله ﷺ؛ دعاه إلى الإسلام فأبى فصالحه على الجزية، ثم خلى سبيله وحقن دمه وكتب له كتاباً بالأمان فرجع إلى بلدته [٢].

الفرع الثاني: آثار دعوة النبي ﷺ للنصارى عن طريق القتال:

المعارك الثلاث: مؤتة، وتبوك، ودومة الجندل كان لها تأثير واضح في مسيرة الدعوة عموماً ومن ذلك:

١. أنها أثارت دهشة العرب، ولفتت أنظارهم إلى المسلمين، فالرومان أكبر وأعظم قوة على وجه الأرض، وكانت العرب تهابها، ومجرد

=

طابع الشهداء، عاش ستين سنة، توفي سنة إحدى وعشرين بحمص، وقيل بالمدينة، وهو الأقرب. انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٦/١.

(١) هو أكيدر بن عبد الملك الكندي: ملك دومة الجندل في الجاهلية، كان شجاعا، له حصن وثيق. انظر الأعلام للزركلي، ط الثامنة، عام: ١٩٨٩م، دار العلم للملايين، ١٢/٦ .

(٢) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٣٩/٣. والعجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي – للمناوي، ص٤٦٨ .

اللقاء بهم معناه: القضاء على النفس، وطلب الحتف [1].

٢. كان لقاء جيش المسلمين الصغير في مؤتة الذي قوامه ثلاثة آلاف مقاتل مع جيش الروم الذي بلغ مائة ألف مقاتل ثم الرجوع من غير أن تلحق به خسارة تذكر – سوى استشهاد ثمانية منهم الأمراء الثلاثة– ليعد من عجائب الدهر وهو ما أكد أن المسلمين مؤيدون، ومنصورون من عند الله، وأن صاحبهم رسول الله ﷺ حقاً.

٣. أثرت هذه الغزوة في قلوب كثير من القبائل التي كانت ترى عظمة الروم، فرأت هذه القوة الناشئة التي طالت أعظم قوة بكل ثبات وإقدام وشجاعة، لذلك وفدت تلك القبائل المعادية للمسلمين إلى الإسلام، فأسلمت مثلا بنو سليم، وأشجع وغطفان وذبيان وفزارة وغيرها[2].

٤. كان لهذه الغزوات أيضاً أعظم أثر في تقوية نفوذ المسلمين على جزيرة العرب، بل وتمهيداً لفتوح البلدان الرومانية، فقد تبين للناس أنه ليس لأي قوة من القوات أن تجابه قوة الإسلام [3].

٥. كان لاستجابة الرسول ﷺ تحدي الروم، وتقدمه لقتالهم، وانتظاره إياهم قرابة عشرين يوما دون أن يحركوا ساكنا؛ ضربة قاصمة للسيادة الرومانية في بلاد الشام، وإضعافا لسطوتها على البلاد العربية[4].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص٣٧٧.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، ج٣، ص٦٠٢.

(٣) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص٣٧٨، ٤٢١.

(٤) انظر: دراسة في السيرة. عماد الدين خليل، ط [الأولى، ١٤٠٦هـ، دار النفائس – الرياض] ص٣٠٢.

٦. كان أيضا من آثار تلك المعارك أن أعلنت الدعوة أن لها وسائل حماية، وصد أي عدوان كان، حتى لو كان من قوة الروم، وهو انتصار نفسي حاسم.

٧. تجدر الإشارة إلى أن الرسول ﷺ لم يكن يكره أحداً على اعتناق الإسلام، أو يهدد بقوة السلاح بل تنتهي مهمته عند بلوغ الدعوة للمدعو يقول أحد المستشرقين: " إن القوة لم تكن عاملاً في نشر القرآن، وإن العرب تركوا المغلوبين أحراراً في أديانهم.و الحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، و لا ديناُ سمحاً مثل دينهم "[1].

ويقول توماس أرنولد في هذا الصدد: " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، و نستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار، وإرادة حرة، و أَن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح " [2].

(١) انظر: حضارة العرب ، غوستان لوبون ترجمة عادل زعيتر، ط ١٩٥٤م دار إحياء الكتب العربية ص/ ٧٢.

(٢) الدعوة إلى الإسلام ، السير توماس أرنولد ص/ ٤٥ .

الفصل الثالث

ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تحقق مقاصد الدعوة .

المبحث الثاني: بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة.

المبحث الأول

تحقق مقاصد الدعوة بالنسبة لغير المسلمين

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: مقصد الهداية، والرحمة للنصارى.

المطلب الثاني: مقصد تبليغ الرسالة للنصارى.

المطلب الأول

مقصد الهداية والرحمة للنصارى

إن دعوة النبي ﷺ جاءت لمقصد عظيم للغاية وهو الرحمة والهداية للإنسانية كلها، كما قال تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [1]

ولقد تحقق هذا المقصد من خلال بلوغ الدعوة للنصارى الذين قدم النبي ﷺ لهم الدعوة كما سبق بيانه واستجاب أكثرهم طوعاً واختياراً، ونالتهم الرحمة والهداية. قال ابن قيم الجوزية[2] رحمه الله: "ولم يتخلف عن متابعته إلا الأقلون"[3] بل لقد امتد أثر تلك الدعوة المباركة بتتابع دخول النصارى للإسلام فيما بعد، ولهذا قال ابن قيم: ".. وأما النصارى فكانوا طبق الأرض: فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة [4] والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد"[5]. وقال: "فهؤلاء نصارى الشام كانوا ملء الشام، ثم صاروا مسلمين إلا النادر، فصاروا في المسلمين، كالشعرة السوداء في الثور الأبيض"[6].

---

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ .

(٢) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن ححريز بن مكي بن زين الدين الزرعي، اشتهر بابن القيم الجوزية لأن والده كان قيماً على مدرسة تسمى الجوزية، ولد سنة: ٦٩١هـ، وكانت وفاته: سنة ٧٥١هـ، انظر: البداية والنهاية، ١٤ /٢٠٢. ومقدمة كتاب أحكام أهل الذمة ١/ ٦٧.

(٣) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية، ص١٦.

(٤) النوبة: بضم النون، وسكون الواو: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر، وهم نصارى أول بلادهم بعد أسوان، والنوبة عدة مواضع منها التي ذكر، انظر معجم البلدان، ٤٠٥/٤.

(٥) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية ، ط الأولى، عام: ١٩٩١م، دار الفكر اللبناني، ص١٦.

(٦) هداية الحيارى لابن القيم الجوزية، ص١٨.

المطلب الثاني

مقصد تبليغ الرسالة للنصارى

إن النبي ﷺ مأمور بأن يبلغ رسالة ربه كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [1] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ ﴾ [2]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة [3].

ومما تجدر الإشارة إليه أن مهمة الداعية لا تقف عند حد التبليغ فحسب بل ثمة أمور تتصل بكيفية إقناع المدعو، وبذل أسباب نجاح الدعوة لبلوغ الهدف الأسنى، وهو القبول والاستجابة مع التسليم بأن الداعية يكون قد أدى ما عليه بالبلاغ المبين، الذي يعد مقصداً من المقاصد للإعذار أمام الله، وإقامة الحجة على الخلق يوم الحساب.

ولا مناص هنا من القول بأن البلاغ يستلزم فهم المدعو لرسالة الداعية، ووضوحها لديه ونقائها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا

---

(١) سورة : المائدة آية رقم : ٦٧ .

(٢) سورة : القصص ، آية رقم : ٨٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم – للحافظ بن كثير، ١١٠/٣ .

يَعْلَمُونَ ﴾ [1] قال أبو السعود: أي يسمع القرآن ويتدبره، ويطلع على حقيقة ما يدعو إليه، وأما الاقتصار على ذكر السماع فلعدم الحاجة إلى شيء آخر في الفهم لكونهم من أهل اللسن والفصاحة [2]. قال الثعالبي: "والمعنى يفهم أحكامه" و قال الحسن: "وهذه آية محكمة، وذلك سنة إلى يوم القيامة" [3] ولأجل هذا الوضوح جاءت استجابة غالبية المدعوين من النصارى، وأما مَنْ لم يستجب منهم فقد تلطف في الخطاب قال شيخ الإسلام: " من كفر من ملوك النصارى تأدبوا مع النبي ﷺ وخضعوا له، واعترفوا بنبوته، وأنه الرسول المنتظر" [4].

وبهذا يعلم أن من جملة ثمار دعوة ﷺ للنصارى تحقق مقاصد الدعوة الكبرى.

---

(١) سورة : التوبة . آية : ٦ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ٤٤/٤ .

(٣) تفسير الثعالبي ١١٧/٢ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٢٣٠/١ .

المبحث الثاني

بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة

ويشمل مطلبين:

المطلب الأول: معرفة الدعاة لمعالم دعوة النبي ﷺ للنصارى.

المطلب الثاني: معرفة الدعاة لدوافع وموانع استجابة النصارى.

المطلب الأول

معرفة الدعاة لمعالم دعوة النبي ﷺ للنصارى

من ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى وضوح المسلك الدعوي المبني على البصيرة ليكون بادياً وظاهراً للمتبعين لسَنَنه، ويمكن استعراض هذا الجانب من خلال الفروع التالية :

الفرع الأول: معالم الدعوة المتعلقة بميدان الدعوة:

من أبرز المعالم المتعلقة بميدان الدعوة هو التنوع فلم يقصر النبي ﷺ دعوة النصارى في ميدان خاص بل إنه قدم الدعوة لهم في شتى ميادين الحياة بحسب طبيعة الموقف، فنجده داعياً للنصارى في بيته كما وقع مع عدي، وفي مسجده كما وقع مع وفد نجران [1]، وفي البستان كما وقع مع

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنه يمنع دخول غير المسلمين للمسجد الحرام لقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا..) الآية، أما بقية المساجد فقال بعض الفقهاء يجوز لعدم وجود ما يدل على منعه ، وقال بعضهم لا يجوز قياسا على المسجد الحرام ، والصواب =

=

عداس، وأينما اتفق وجود مدعو ولهذا يمكن القول بأن ميدان دعوة النصارى هو كل ميادين الحياة.

الفرع الثاني: معالم الدعوة المتعلقة بالداعية:

١) أهمية أن يتصف الداعية الذي يدعو النصارى بصفات منها: الأمانة، واحترام الآخرين وتقديرهم، والبِشْر، والتواضع، ومعرفة حالهم.

٢) أهمية إرشاد الدعاة، وتوجيههم إلى الطريقة المثلى للدعوة قبل قيامهم بذلك من قبل مَنْ هم أعلم وأكثر خبرة.

٣) تبليغ الرسالة لكل أحد مهما تواضعت منزلته، ودنت رتبته فالرسول ﷺ دعا الغلام النصراني (عداس) الذي كان عاملاً في البستان، وجرى بينهما الحوار الذي انتهى بإسلامه رضي الله عنه.

٤) على الداعية إعداد نفسه للمناظرة ليكون قادراً على كشف الشبهات إذا أثارها المدعو والتزود بالعلم، فإن أشكل عليه أمر ينبغي أن يسأل من هو أعلم منه.

=

= جوازه لمصلحة شرعية ولحاجة تدعو إلى ذلك كسماع ما قد يدعوه للدخول في الإسلام .. انظر : فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء – جمع الشيخ أحمد الدويش ، ٢/ ٧٧ .

وقد أجاب سماحة عبدالعزيز ابن باز رحمه الله على سؤال مفاده هل يجوز السماح للنصارى أو اليهود أو غيرهم من الكفار دخول المساجد لزيارتها ؟ فأجاب رحمه الله بقوله : " لا حرج في دخول الكافر المسجد إذا كان لغرض شرعي وأمر مباح؛ كأن يسمع الموعظة ، أو يشرب من الماء ، أو نحو ذلك . لأن النبي ﷺ أنزل بعض الوفود الكافرة في مسجده ﷺ ؛ ليشاهدوا المصلين ، ويسمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم وخطبة ، وليدعوهم إلى الله من قريب ، ولأنه ﷺ ربط ثمامة بن أثال الحنفي في المسجد لما أتي به إليه أسيرا ، فهداه الله وأسلم " مجموع فتاوى ومقالات لابن باز ٨ / ٢٠ .

٥) على الداعية استشراف مستقبل الدعوة في الموقف الذي هو فيه، فإذا لم يتمكن من إصلاح المدعو فلا أقل من بذر بذرة الخير، التي قد يهيئ الله من يرعاها في المستقبل.

٦) جواز ترك الداعية دعوة النصارى إذا ظهر منهم التعاظم والتكبر، وإشعارهم بذلك إلى حين زوال ذلك الحال.

٧) أهمية التوثيق لعمل الدعوة حيث كان النبي ﷺ يراسل النصارى ويعاقدهم، ويعطيهم جواره بمواثيق مكتوبة، ومقيدة، وهذا معلم من معالم الدعوة هنا

الفرع الثالث: معالم الدعوة المتعلقة بالوسائل والأساليب:

- **الوسائل:**

١) الاستفادة من وسائل العصر المتاحة في دعوة النصارى إلى الإسلام.

٢) العناية بالدعوة من خلال الأفعال الحسنة لعظم تأثيرها.

٣) مشروعية موافقة الأفعال التي تعارف عليها البشر إذا كانت في دائرة المباح ولمصلحة الدعوة، كما اتخذ النبي ﷺ الخاتم حين علم أن الملوك لا تقبل الكتب إلا مختومة، ومن ذلك بعض الآداب العامة في اللقاءات الرسمية، وتبادل بطاقات التعارف، ونحو ذلك مما يتطلب معرفته.

٤) التبسط مع المدعوين؛ لتأليف قلوبهم، وإزالة الرهبة من نفوسهم.

٥) مناسبة تلقيب المدعوين بألقابهم الرسمية – إذا لم تكن محظورة شرعا – وقبول هداياهم.

٦) بذل الدعاء في السر والعلن لهداية المدعو.

٧) الجهاد كان أحد وسائل الدعوة التي تم من خلالها إيصال الرسالة

للناس، ووجوده مرهون بظروف وأحوال خاصة يبينها العلماء الراسخون في العلم.

٨) التعريف بالإسلام عن طريق وسائل الإعلام، وتمثل ذلك في مكاتبات النبي ﷺ إذ تعد بمثابة حملة إعلامية على نطاق واسع في ذاك الزمن.

- **الأساليب:**

١) تنوع أساليب دعوة النبي ﷺ للنصارى.

٢) مناسبة أسلوب الدعوة الصريحة إلى الإسلام بكلمة "أسلم" في بعض المواقف.

٣) أهمية الجمع في الكتاب المرسل بين أسلوبي الترغيب والترهيب.

٤) تأثير البلاغة على المدعوين النصارى فقد كانت الرسائل بأسلوب بليغ حيث اشتملت على الأمر بقوله "أسلم"، والترغيب بقوله "تسلم ويؤتك"، والزجر بقوله "فإن توليت"، والترهيب بقوله "فإن عليك"، والدلالة بقوله "يا أهل الكتاب"[1].

٥) أتخذ ﷺ أسلوب الحوار مع النصارى أثناء الدعوة المباشرة سواء كانوا أفراداً أم جماعات.

٦) مشروعية مجادلة المدعوين من النصارى، ومناظرتهم بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذ ظهرت مصلحته من إسلام مَنْ يرجى إسلامه.

٧) السنة في مجادلة النصارى وغيرهم إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا، بل أصروا على العناد؛ أن يدعون إلى المباهلة إذا ظهرت

---

(١) انظر: فتح الباري – للحافظ ابن حجر العسقلاني ١ / ٣٩ .

مصلحة في ذلك.

الفرع الرابع: معالم الدعوة المتعلقة بالمدعو:

١) أهمية تحسس حاجة الناس في الأقطار للدعوة ثم بعث الدعاة الأكفياء إليهم، كما فعل النبي ﷺ حينما بعث معاذاً إلى اليمن لتقديم الدعوة.

٢) بذل الوسع في تبليغ الدعوة لنصارى العالم بكل أصنافهم قادة، وعامة بما يناسبهم.

٣) تنوع صيغة الكتاب إلى النصارى، وذلك بحسب حال قوة المسلمين، وحال المخاطبين.

٤) التعرف على المدعو لما في ذلك من إتاحة الفرصة للكشف عن خصائص المدعو وعرفه وطباعه وكيفية الوصول إلى إقناعه[1].

٥) تدرج الداعية مع المدعوين النصارى والبدء بالأهم فالأهم.

٦) مراعاة أحوال المدعوين، وما هم عليه من عقيدة ومذهب واتجاه.

٧) اختيار الداعية المناسب في الموقع الدعوي الملائم، فكما هو معلوم أن أهل اليمن أهل حكمة، والحكمة يمانية، فلذا بعث النبي ﷺ أعلم أمته وأفقهها إليهم، وهو معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٨) مشروعية الدعوة الجماعية للنصارى كما فعل النبي ﷺ حينما قام بدعوة الأفراد والجماعات كذلك.

٩) حسن الدعوة وأدب الإسلام يستلزمان احترام ممثلي الشعوب، أو

---

(١) انظر: التدرج في الدعوة – د. إبراهيم بن عبدالله المطلق ط١ الأولى، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ص/ ٨٥.

ممثلي الديانات وإكرامهم وإنزالهم منازلهم، وذلك بدليل ما كان يفعله الرسول ﷺ مع الوفود من الضيافة، وحسن الاستقبال وإجزال العطاء. فقد عُلم أن النبي ﷺ كان يستقبل جميع الوفود بأحسن استقبال وفق تنظيم مناسب.

١٠) استبشار النبي ﷺ وظهور علامات السرور على محياه الكريم عند استجابة المدعو.

١١) متابعته ﷺ حال المسلم الجديد في جوانب حياته الخاصة، ودعمه مادياً ومعنوياً وهو ما تحصل لسلمان الفارسي رضي الله عنه حينما أسلم.

١٢) بذل أحكام الإسلام لمن أسلم بكل وضوح وصدق، فالجارود رضي الله عنه لما أسلم سأل المصطفى ﷺ: إن بيننا وبين بلادنا ضوالاً من ضوال الناس، أفنتبلغ عليها إلى بلادنا ؟ فجاء الجواب الصريح: لا، إياك وإياها فإنما تلك حرق النار " وإذ تشير الروايات إلى أن الجارود لما خرج راجعا إلى قومه بأنه كان حسن الإسلام صلباً على دينه حتى مات [1]؛ فلربما كان لنصوع الحق في جوابه ﷺ لسؤاله أحد العوامل التي أسهمت في متانة ديانته وصلابته على الحق.

الفرع الخامس: معالم الدعوة المتعلقة بموضوع الدعوة:

١) التأكيد الدائم على التوحيد في دعوة النصارى وأنه هو الأصل.

٢) الإبانة عن الاعتقاد الصحيح في عيسى بن مريم عليه السلام، حيث كان النبي ﷺ يورد ما يدل على هذا من خلال الآيات التي يسوقها.

٣) عرض جوانب الاتفاق، والقضايا المشتركة بين الإسلام والنصرانية

(١) المرجع السابق، ٤٤/٣.

وبين الداعية والمدعو تمهيداً لعرض الدعوة.

٤) إبراز الأجر والثمرة حين قبول النصارى للإسلام، وتمنيتهم بالخير في الدنيا والآخرة" بأن الله يؤتيهم أجرين كما في الحديث.

٥) قد يتطرق الداعية مع المدعو النصراني لموضوع ليس له صلة مباشرة بالدعوة بهدف تأليف قلبه كما فعل مع عداس رضي الله عنه.

المطلب الثاني

معرفة الدعاة لدوافع وموانع استجابة النصارى

من خلال ما سبق اتضح أن النبي ﷺ كان يعرض الإسلام على المدعوين بأحسن عرض وأجمله، ويعطي كلا على قدره، مما يجعل المدعو يتطلع إلى الدخول في الدين، بدوافع شتى ورغبات مختلفة.. إلا أنه ثمة أقوام لم يستجيبوا لأمور عدة، قد تنفرد في شخص وقد تجتمع، وكلما اجتمعت وانضافت في شخص قوي الحجاب، واستحكم العائق.

ولهذا من ثمار دعوة النبي ﷺ للنصارى أن يستلهم الدعاة تلك الدوافع والموانع؛ لتكون ماثلة أمام أعينهم، وهم يقومون بهذه المهمة العظيمة وهي كما يلي:

الفرع الأول: دوافع الاستجابة:

من أبرز دوافع الاستجابة – على ضوء دعوته ﷺ للنصارى ما يلي:

أولاً: الدافع الأخروي:

اتباع الحق:

إن أكثر النصارى الذين اعتنقوا الإسلام بدعوة النبي ﷺ كان الحق مطلبهم، ويصعب حصرهم، ولكن من أمثلة ذلك؛ عدي بن حاتم رضي الله عنه "فقد كان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام لما تبين له الحق"[1]، وهكذا أيضاً سلمان الفارسي رضي الله عنه فإنه غاص في بحر البحث ليقع على الحق اليقين، وعداس الذي قال لصاحبه: " يا سيدي ما في الأرض شيء

(١) هداية الحيارى ص٣٥.

خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي"، وهكذا الوفد الذين فاضت أعينهم من الدمع، مما عرفوا من الحق.. والنجاشي ملك الحبشة، وكان لهذا الدافع أثره مع فروة بن عمرو الجذامي فإنه لما أسلم دُعي إلى ترك الإسلام مقابل التمليك فقال: لا أفارق دين محمد، وإنك – يعني من خاطبه – لتعلم أن عيسى بشّر به". فما دام أن عيسى ﷺ بشر به إذا هو الحق، فكان اتباع الحق دافعا لفروة إلى الإسلام، ولهذا ينبغي على الداعي حين يدعو نصرانيا؛ أن يغرس في قلبه هذا الدافع، فهو مما يعين – بعد الله – على قبول الإسلام.

ثانياً: الدافع الدنيوي:

بقاء الملك والمنصب:

ويستفاد هذا من الكتاب المرسل إلى ملك عمان، وهما ابنا الجلندي، حيث إن بقاء الملك كان من جملة ما رغبهما بالإسلام وهو قوله ﷺ:".. فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وأن أبيتم أن تقرأ بالإسلام فإن ملككما زائل فكان هذا دافعا من الدوافع التي أوصلتهما بالإسلام.

التطلع للعدل:

كان لحكم النبي ﷺ أثره في قبول الإسلام لمن دعاه، إذ أن بعض النفوس تطمح إلى معرفة الشخص باختبار حكمه فيما حكم فيه، وهذا الذي فعله شرحبيل – وكان ذا رأي وعقل – عندما طلب الأسقف منه أن يرى في كتاب الرسول عليه السلام رأيه، حيث قال: "رأيي أن أحكمه، فإني أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا".

فالتجرد من المصالح الشخصية، ونبذ الهوى، والحكم بميزان العدل صفات إذا تحلى بها الداعية، ولاحت أمام المدعو فإن قلبه سيتعلق بهذا

الداعية بإذن الله.

طلب الأمان:

ونجد أيضا أن طلب الأمان، من الدوافع التي جعلت البعض يسلم لرب العالمين، ولذا رهب النبي ﷺ بعض من كاتبه بسلب الأمن من أرضهم واستباحة بيضتهم، كما قال لابني الجلندي: "وأن أبيتم أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل، وخيل تحل بساحتكما"، وهذا ترهيب قد سبق ترغيب، ولقد أثر هذا الأسلوب كثيرا في جذبهم للإسلام بعد تردد أحدهما، فإن النبي ﷺ قد اشتهر أمره، وأنه قد دوخ البلاد بسنابك خيله، فما كان من الملك المتردد إلا أن تسهل وحسم المسألة بإعلان الإسلام.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن سلب الأمن والأمان دافع من الدوافع للنصراني الحربي – أي الذي بينه وبين المسلمين حرب– أما أهل الذمة منهم فلا يقال إن سلبهم الأمان من هذا القبيل، ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري رحمه الله: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)، وعند النسائي "من أهل الذمة" قال ابن حجر: وهو بالمعنى " [1].

وما ورد في الأحاديث من التضييق عليهم في الطرقات، وعدم بداءتهم بالسلام[2] وردنا عليهم إذا سلموا بقول: وعليكم[1]، فسمطها الحاوي

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، ص٦٤٦، رقم الحديث: ٣١٦٦.

(٢) صحيح الإمام مسلم، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم الحديث: ٢١٦٧ قال النووي ".. وليكن التضييق بحيث لا يقع في وهدة، ولا يصدمه جدار ونحوه، والله أعلم". انظر: شرحه لصحيح الإمام مسلم ٣٨٩/١٤ .

الحقر بلا ظلم، فالله جل جلاله أمر بالعدل والإحسان في كل شيء، وإنما المراد بهذا الحقر إظهار عزة المسلمين، وأن الغلبة لهم لأنهم أصحاب حق، وفي هذا دعوة لهم أيضا، إذ النفوس جبلت على التعلق بمن عنده عزة وغلبة، وكما قيل: المغلوب مولع بالغالب وهذا يكون في المجتمع المسلم.

الفرع الثاني: موانع الاستجابة:

تقدم القول فيما سبق بأن الممتنعين من الدخول في الإسلام من النصارى جزء يسير جدا بالنسبة إلى الداخلين فيه منهم، وكما قال ابن القيم رحمه الله: "ولم يتخلف عن متابعته إلا الأقلون"، ومع قلتهم إلا أن الأسباب المانعة كثيرة، فمن هذه الموانع ما يلي:

=

(١) صحيح الإمام مسلم، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم: ٢١٦٣.
قال ابن القيم رحمه الله: هذا كله إذا تحقق أنه قال: السام عليكم، أوشك فيما قال ذلك، فلو تحقق للسامع أن الذمي قال له: سلام عليكم، لاشك فيه، فالذي تقتضيه الأدلة الشريعة وقواعدها أن يقال له: وعليكم السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ﴾ سورة النساء: جزء من آية ٨٦ فندب إلى الفضل وأوجب العدل، ولا ينافي هذا شيئاً من أحاديث الباب بوجه ما، فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار على قول الراد "وعليكم" بناء على السبب ألا وهو قولهم: "السام عليكم" فإذا زال السبب فالعدل في التحية يقتضي أن يرد عليه نظير سلامه. انظر أحكام أهل الذمة، لابن القيم الجوزية، ١٩٩/١ ت: د. صبحي الصالح .
ومعلوم عند أهل الذوق السليم والأدب الجم أن حسن المعاملة والخلق الحميد – ما دام متظللاً بالشرع – ينبئ عن أصحاب دين عظيم وشريعة سمحة، وقد تكون تلك المعاملة الطيبة سبباً في جذب المدعوين من نصارى وغيرهم إلى الدخول في دين الله كما وقع ويقع.. بخلاف الغلظة والفظاظة. ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران، جزء من آية: ١٥٩.

أولاً: الجهل:

إن الجهل هو السبب هو الغالب على أكثر النفوس النافرة عن الدين، فإن من جهل شيئا عاداه وعادى أهله [1]. قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾ [2]، قال ابن عباس رضي الله عنه: "يعني الكفار، يعرفون عمران الدنيا وهم في أمر الدين جهال"[3]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم؛ فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون.."[4] وهذا الجهل تحقق في عدد من النصارى الذين دعاهم النبي ﷺ ولم يستجيبوا.

ثانياً: الحسد:

وهو داء كامن في النفس يرى الحاسد أنه أفضل من المحسود، فلا يدعه الحسد أن ينقاد للحق ليكون من أتباعه[5] كما حصل من وفد نجران حيث نكصوا عن قبول المباهلة خوفا من نزول العذاب بهم، ومع هذا حجبهم عن الإيمان عدة حجب منها الحسد[6] كما مرَ.

---

(١) هداية الحيارى، ص٢١.

(٢) سورة الروم، آية ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير، ٤٢٧/٣.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ط [الخامسة، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض] ٦٧/١ ت: د. ناصر العقل.

(٥) هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ص/ ٢٢.

(٦) انظر قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ط [الأولى، عام ١٤١٤هـ، دار العاصمة– الرياض] ١٦٩/١.

ثالثاً: الرئاسة والملك:

اتضح من خلال ما سبق أن الرئاسة والملك منعت بعض أربابها من اتباع الحق، كملك مصر المقوقس، ولذا قال النبي ﷺ بعد أن جاءه الرد على كتابه: "ضن الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه".

وكذا الحارث بن علقمة، وكان رجلا من العرب تنصر، فعظمته الروم وملوكها.. لما يعلمون من صلابته في دينهم، ولكن حمله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه وجاهه عند أهلها [1].

وكذا الحارث صاحب دمشق، فإنه لما دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام وجعله يتطلع ببقاء الملك إن أسلم؛ حجبه: "ومن ينزع ملكي مني؟".

وكذا هوذة بن علي لما لم يجعل له النبي ﷺ الأمر من بعده رفض الإسلام، ولم يقبله، وقال لعظيم النصارى حين سأله عن السبب في عدم قبوله للإسلام قال: أنا ملك قومي، وان اتبعته لم أملك. فكانت الرياسة والملك مانعاً لهوذة من الاستجابة.

أما هرقل فقد قال صاحب حدائق الأنوار: " لا تخفى حسن سياسة هرقل، وقوة إدراكه، وثقوب فهمه بما استدل به على صحة نبوة محمد ﷺ وصدقه من البراهين الإقناعية لو ساعده التوفيق، ولكن غلب عليه حب الرئاسة وهو الداء العضال "[2].

رابعاً: التقليد الأعمى:

بعض الممتنعين من قبول الدعوة "هم بمنزلة الدواب السائمة مقلدون

---

(١) تفسير القرآن العظيم – للحافظ بن كثير، ٣٦٩/١.

(٢) انظر : حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد بن بحرق الحضرمي الشافعي ص/ ٣٣٦.

لرؤسائهم وكبرائهم"[1]، كما فعل رسول قيصر فإنه قال بعد أن جاء الهدى: إني رسول قوم، وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم". وعلى الداعي حين يلمس هذا المانع فيمن يدعوه فعليه بذل أسباب العلاج، وسوق موقف المتّبع من المُتَّبع يوم القيامة.

خامساً: الاستكبار:

إن من المدعويين من يستكبر على قبول الدعوة لأنها من عنصر عربي، حيث يرى البعض أن العنصر العربي تابع له فيستكبر أن يتبع من كان متبوعاً، حتى وإن كان أحق أن يتبع، ومن هؤلاء: الروم، فإنهم رفضوا دين الإسلام حين عرض عليهم، ومن أهم الأسباب؛ "أنه دين قادم من العرب وهم كانوا يستصغرون شأنهم"[2] حيث قالوا: نكون عبيدا لأعرابي جاء من الحجاز.. وهذا أيضا كان أحد الموانع التي منعت وفد نجران من قبول الدعوة [3] قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾[4] الآية.

سادساً: الخوف من الأصحاب والعشيرة:

كما أن من الموانع الخوف من الأصحاب والعشيرة، وهو ما وقع لهرقل فإنه عرف الحق، ويبدو للمتأمل أنه أراد الدخول في الإسلام وانساقت له

---

(١) هداية الحيارى، ص٢٩.

(٢) تاريخ الإسلام، ص١٦٣.

(٣) انظر : قول محققي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ١٦٩/١.

(٤) سورة : الأعراف، جزء من آية: ١٦٤.

فطرته فلما لم يطاوعه قومه، وخافهم على نفسه وعلى ملكه اختار الكفر على الإسلام، ولو وفّقه الله للهداية كما وفّق النجاشي لتلطف قومه في ظاهره، وآمن بقلبه، وأحسن إلى المسلمين بيده ولسانه فجمع بين ملك الدنيا والآخرة [1].

سابعاً: الشبهات:

تعترض المدعو أفكار ومعتقدات تحول بينه وبين قبول الدعوة ومن أمثلة ذلك ما حصل لعدي ﷺ وكذا حصل لجماعة من وفد نجران حين خاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان، فقال لهم النبي ﷺ، ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟! قالوا: نعم، قال: "ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟" قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه، ويحفظه، ويرزقه؟". قالوا: بلى، قال: "فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟ "قالوا: لا، قال. "ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء؟!" قالوا: بلى، قال: "فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟" قالوا: لا قال: "فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء". قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب، ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام، ويشرب الشراب، ويحدث الحدث ؟!" قالوا: بلى. قال:

---

(١) انظر : حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد بن بحرق الحضرمي الشافعي ص ٣٣٦.

"فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟ [1].

والشبه قد تكون صادرة عن حسن نية، وهذا النوع يدلّ عليه حال المخاطب بعد كشف الشبهة، كما وقع لعدي بن حاتم رضي الله عنه من القبول والتسليم حينما بين له الرسول جواب الشبهة .

وقد تصدر الشبهة عن سوء قصد، ويدل عليه حال المخاطب بعد كشف الشبهة من بقاء على كفر، وإصرار على عناد، كما وقع لقيصر' فإن شبهته كشفها النبي ﷺ وقيدها رسوله، ومع هذا بقي على حالته.

إن أمر الشبهات في هذا العصر من أكثر الموانع انتشاراً حيث إن إثارتها وترويجها عبر الوسائل المتنوعة المكتوبة، والمرئية، والمسموعة أصبحت إحدى المسئوليات التي تعنى بها مراكز الدراسات النصرانية بأساليب مختلفة، ومن أبرز الموضوعات العامة التي تثار حولها الشبه ما يلي:

١- مصدرية الإسلام.

٢- شخصية النبي ﷺ .

٣- القرآن الكريم.

٤- سنة النبي ﷺ.

٥- تاريخ الإسلام على مر العصور.

٦- الزعم بأن القرآن قد حوى بين دفتيه ما يؤيد المعتقدات، والكتب النصرانية.

٧- المرأة في المجتمع المسلم من جوانب مختلفة.

---

(١) وانظر: تفسير ابن كثير، ٣٦٨/١، ففيه رد النبي ﷺ على بعض الشبه عند النصارى.

ولا ريب أن جهود علمائنا ودعاتنا في العالم الإسلامي على مر الأزمان إزاء هذا الإضلال، والتضليل مباركة مشكورة، غير أننا نحتاج في هذا العصر تحديداً إلى بذل المزيد من التصدي للشبه وكشفها بالأساليب المناسبة لحال المخاطب، والعمل على ذلك وفق خطط مدروسة.

وقد عُلم أن في القرآن الكريم والسنة النبوية جواباً لكل شبهة وتفنيداً لكل باطل قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] والمثل هنا الشبهة، والحق في مقابلها الجواب السديد [2].

(١) سورة الفرقان . آية رقم ٣٣ .

(٢) قال البيضاوي في التفسير " وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ " أي : "سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك " أي النبي ﷺ . وقوله : " إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ " أي : الدامغ له في جوابه . وهذا يعم كل شبهة قال ابن عاشور : إشارة إلى أن ما يأتون به من باطل . انظر تفسير المنار ٢٩٦٣/١ و قال ابن زيد في قوله " وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا " : أي ينقض عليهم ما يأتون به . انظر : تفسير الطبري ١٦١/٨ .

الخاتمـــة

أحمد الله الذي يسر لي وأعانني على إكمال هذه الدراسة، وفيما يلي أبرز النتائج والتوصيات:

النتـائج:

١- ممارسة النبي ﷺ للدعوة العالمية بنفسه، ومنها دعوة النصارى محلياً وعالمياً.

٢- الذين دعاهم النبي ﷺ من النصارى فاستجابوا: عدي بن حاتم، وسلمان الفارسي، وعداس، ووفد من نجران منهم السيد والعاقب، وزيد الخير من وفد طيء، ووفد عبد القيس ومنهم الجارود، والنجاشي أصحمة (ملك الحبشة)، وأبناء الجلندي (ملك عمان)، وفروة بن عمرو الجذامي (عامل الروم على معان) -رضي الله عنهم- أجمعين وجبلة بن الأيهم (ملك غسان) إلا أنه ارتد فيما بعد كما سبق بيانه.

٣- وأما من لم يستجب من النصارى فهم: قيصر (ملك الروم)، والمقوقس (ملك مصر)، والحارث بن أبي شمر(أمير دمشق)، وأكيدر (ملك دومة الجندل)، وهوذة بن علي الحنفي (أمير اليمامة)، وراهب نجران، ووفد بني تغلب، ويحنة بن رؤبة، ، ورسول قيصر.

٤- ملوك النصارى الذين دعاهم النبي ﷺ للإسلام قد تلطفوا معه في الخطاب قال شيخ الإسلام: " من كفر من ملوك النصارى تأدبوا مع

النبي ﷺ وخضعوا له، واعترفوا بنبوته، وأنه الرسول المنتظر"[1]، وبهذا يتبين أن سادة وملوك النصارى المتقدمين أكثر أدباً، وأعظم توقيراً لنبينا ﷺ من بابا الفاتيكان الزعيم الديني للنصارى اليوم الذي تطاول على النبي الكريم ﷺ بما ينبئ عن جهل في التاريخ لمواقف أسياده، ووهن في مسالك السياسة إذ موقفه لا يحقق له أي مصالح سياسية أو دينية، ولكن الحمدلله الذي له الحكمة البالغة في كل أمر.

٥- أبرزت الدراسة معالم دعوته للنصارى، وهي منها ما يتصل بميدان الدعوة، ومنها ما يتصل بأركان الدعوة (الموضوع – الداعية –المدعو – الوسائل والأساليب) ولكلٍ تفصيل جاء في محله من هذه الدراسة.

٦- بذل النبي ﷺ وسعه وجهده وطاقته في دعوة عموم النصارى إلى الإسلام مع إنزال المدعوين منازلهم.

٧- استخدم النبي ﷺ الوسائل التي أتيحت له في عصره، في سبيل نشر، وتبليغ الدعوة إلى عامة النصارى.

٨- كان جهاد النبي ﷺ أحد وسائل إيصال الدعوة، وقد حقق أهدافاً عديدة من بينها الإعلان للعالم أن الدعوة لها وسائل حماية وصد لأي عدوان سواء أكان عربياً أم فارسياً أم رومياً.

٩- حققت دعوة النبي ﷺ ثماراً عديدة منها ما يعود للمدعوين، وهي تحقق مقاصد الدعوة الكبرى، ومنها ما يعود للدعاة وهي بروز المسلك الدعوي المبني على البصيرة.

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ١/٢٣٠ .

١٠- كشفت الدراسة عن عدد من موانع، ودوافع الاستجابة لدى من دعاهم النبي ﷺ من النصارى.

التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه الدراسة برزت عدة مقترحات وهي:

أ- أهمية دراسة دعوة أمة النصارى بصفة عامة، ودعوة النبي ﷺ لهم بصفة خاصة، وذلك من وجوه البحث المتعددة سواء ما يتصل بالجانب التأصيلي والنظري، أو الجانب الميداني والتطبيقي، لإيجاد قاعدة علمية تسهم في تسهيل عمل الدعاة إلى الله في عصر اتسم بالعناية الفائقة بالمعلومة، وسرعة الحصول عليها.

ب- يوصي الباحث الدعاة إلى الله بممارسة دعوة النصارى عملياً والعناية بذلك قدر الوسع تأسياً برسولنا ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [1] سواء في بلاد الغرب أو في بلاد المسلمين لا سيما وقد وفد عدد كبير منهم إلى بلاد المسلمين لأغراضهم المختلفة.

ج - كما يوصي الباحث الدعاة إلى الله أثناء قيامهم بالدعوة بتحري سيرة النبي ﷺ، وطريقته، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [2].

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٢١.

(٢) سورة يوسف، آية ١٠٨.

ولعل ما جاء في صفحات هذه الدراسة من معالم دعوته ﷺ يكون معيناً لهم في تقديم الدعوة للنصارى بالصورة المناسبة.

د- يوصي الباحث الجهات المعنية في العالم الإسلامي بترجمة المزيد من الكتب التي تناولت السيرة النبوية إلى لغات العالم الحية، ومنها ما له صلة بمواقفه ﷺ من النصارى في الجوانب المختلفة.

د- كثير من المسلمين يعلقون الآمال على ولاة أمورهم في أن تكون لهم دعواتهم الخاصة لحكام العالم، ورؤساء الناس إلى دين الإسلام من خلال المكاتبات، والملتقيات والمؤتمرات، وفق المسلك الذي يرونه مناسباً ضمن الإطار الشرعي، وهذا المأمول والمتوقع.

وإنني في الختام أسأل الله ﷻ أن يكتب لهذا البحث القبول، وأن يعم النفع به.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع

١- الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، للشيخ بكر أبو زيد، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار العاصمة].

٢- أسباب النزول، الواحدي، ط [الأولى، ١٩٨٣م – مكتبة الهلال – بيروت].

٣- أحكام أهل الذمة للإمام ابن قيم الجوزية، ت: د. صبحي الصالح.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان –].

٥- اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط [الخامسة، عام: ١٤١٧هـ، مكتبة الرشد – الرياض –] ت: د. ناصر العقل.

٦- الأدب المفرد للإمام البخاري، ط [الثانية، عام ١٤٠٥هـ] ت: الشيخ الألباني قسم الصحيح.

٧- الأعلام للزركلي، ط [الثامنة، عام: ١٩٨٩م، دار العلم للملايين].

٨- البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط [الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الريان].

٩- التدرج في الدعوة، د. إبراهيم بن عبدالله المطلق ط، مركز البحوث والدراسات الإسلامية

١٠- تاريخ الإسلام، لحسن إبراهيم حسن، ط [السابعة، عام: ١٩٦٤].

١١- تفسير القرآن العظيم، للحافظ ابن كثير، ط: [١٤٠٥ عالم الكتب

– بيروت –].

١٢- تفسير القرآن العظيم (المنار) – للشيخ محمد رشيد رضا ، ط [الأولى، ١٤٢٣هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت]

١٣- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ط: [الأولى، عام: ١٤١٤هـ – دار العاصمة].

١٤- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية – د. محمد خير هيكل ط [الثانية، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار البيارق – بيروت].

١٥- حدائق الأنوار وطالع الأسرار في سيرة النبي المختار – للعلامة محمد ابن بحرق الشافعي ط [الأولى، عام:١٤٢١هـ، الناشر: دار المنهاج بيروت]

١٦- دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، ط [١٤١٢، دار النفائس].

١٧- الدعوة إلى الإسلام – الإمام محمد أبو زهرة، ط [ب.ر، عام: ١٩٩٢م، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة].

١٨- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية – محمد الراوي، ط [الأولى، عام: ١٤١٥هـ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض]

١٩- الرحيق المختوم، المباركفوري، ط [الأولى، ١٤٠٦هـ، دار القلم – بيروت].

٢٠- رحمة للعالمين – للقاضي محمد بن سليمان المنصورفوري، ط [الأولى، عام: ١٤١٠هـ، الناشر: الدار السلفية – الهند]

٢١- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لابن باز، ط [الرياض: عام ١٤١٥].

٢٢- الدعوة إلى الإسلام، سير توماس. وأرنولد، ط [الثالثة، عام ١٩٧٠م، نشر: مكتبة النهضة المصرية].

٢٣- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي، ط [السابعة، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة- بيروت].

٢٤- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ط: [الأولى، عام: ١٤٠٧هـ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت -].

٢٥- العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، ط [الأولى، عام: ١٤١٨هـ، الناشر: دار ابن الجوزي- الدمام].

٢٦- العجالة السنية على ألفية السيرة النبوية للعراقي - للمناوي ط، [الأولى، عام: ١٤٢٧هـ، دار أطلس الخضراء- الرياض]ت: عمر الأحمد.

٢٧- شركاء لا أوصياء، د. حامد الرفاعي ط [الثانية، عام: ١٤٢٧هـ، الناشر: المنتدى الإسلامي العالمي للحوار - جدة].

٢٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ط [الأولى، عام ١٤٠٧، دار الريان- مصر].

٢٩- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط [مؤسسة قرطبة].

٣٠- الفوائد لابن القيم، ط [الرابعة، عام: ١٤٠٧هـ].

٣١- فوات الوفيات والذيل عليها، محمد شاكر الكتبي، ط [عام: ١٩٧٣م، الناشر: دار صادر، لبنان - بيروت].

٣٢- فقه السيرة للغزالي، ط [السابعة، ١٩٧٦م، دار إحياء التراث العربي] ت: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣٣- كيف ندعو غير المسلمين إلى الإسلام، د. عبد الله المطلق، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، نشر: دار الفضيلة- الرياض].

٣٤- لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، ط [الثانية، عام: ١٤١٢هـ، دار صادر – بيروت].

٣٥- مختصر صحيح الإمام مسلم، للمنذري، ط [السادسة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي] ت: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٣٦- معجم البلدان لياقوت الحموي، ط [الأولى، عام: ١٤١٧هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان].

٣٧- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية، ط [الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت].

٣٨- مجموع الفتاوى لابن تيمية جمع عبد الرحمن ابن قاسم، ط [الأولى، عام: ١٣٨٦هـ].

٣٩- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، ط [مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه] ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٤٠- منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، د. محمد بن سيدي الشنقيطي، ط [الأولى، عام: ١٤١٣هـ، الناشر: مكتبة أمين محمد – المدينة النبوية].

٤١- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – بحث بعنوان: تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ – د. عبد الرحمن بن سليمان الخليفي، عدد: ٢١ محرم، عام: ١٤١٩هـ.

٤٢- من أقوال الشيخ عبدالعزيز بن باز في الدعوة إلى الله – إعداد زياد السعدون، ط [الأولى، عام:١٤١٣هـ، الناشر: دار الوطن – الرياض].

٤٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب – الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط [الثانية، عام: ١٤٠٩هـ].

٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير، ط [الثانية، عام: ١٣٩٩هـ، الناشر: دار الفكر، لبنان – بيروت –].

البحث رقم ٤

المصطلحات الدعوية
تعريفات ومفاهيم

إعداد

د. عبدالله بن محمد المجلي

عميد كلية الدعوة والإعلام

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

المصطلحات الدعوية : تعريفها ومفاهيمها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، ونهج نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد :

فإن تحديد مصطلحات العلوم ومعرفتها من فواتح العلم ومداخله، ولا يستطيع الباحث في أي فرع من فروع المعرفة أن يتعامل بصورة مثلى مع ذلك الفرع ما لم تكن لديه الدراية الكافية بمصطلحاته .

ولما كان علم الدعوة أحد التخصصات العلمية الجديدة التي لها علاقة وثيقة بعدد من العلوم الشرعية والإنسانية كان لزاما على الباحثين فيه أن يعتنوا بمصطلحاته العلمية، وتعريفاته التخصصية .

وبناءً على ذلك جاء هذا البحث الذي عنوانه : (**المصطلحات الدعوية : تعريفها ومفاهيمها**) ليسهم في معالجة : مشكلة تداخل بعض المصطلحات العلمية الدعوية عند بعض الباحثين والدارسين، ومحاولة تحديدها تحديدا دقيقا .

فهو جهد علمي يهدف للوقوف على تعريفات محددة واضحة لبعض المصطلحات الدعوية، وربطها بالعلم الذي تنتمي إليه ربطا مباشراً، كما يسعى لتقريب وجهات النظر المختلفة حول بعض المصلحات، وفتح آفاق جديدة للمزيد من دراستها وتأصيلها .

وعلى حد علم الباحث فإنه لا توجد دراسة متخصصة مستقلة تعنى بتعريف المصطلحات الدعوية، وتحديد مفهومها، ولم يفرد موضوعه ببحث

علمي خاص به، رغم اختلاف عدد من الباحثين في تحديد ماهية بعض المصطلحات، وتعدد مرئياتهم حولها .

ويتكون البحث من مباحث ثلاثة أولها : تعريف المصطلحات الأساسية لعلم الدعوة، وهي : الدعوة مع شرح تعريفها، ومصادر الدعوة، وأركانها، والمنهج الدعوي، وركائزه، ومظاهره، والحكمة الدعوية، والأساليب الدعوية، ووسائل الدعوة، وميادينها، والدعوة والاتصال .

وثانيها : تعريف المصطلحات ذات العلاقة المباشرة بعلم الدعوة، وهي : الإصلاح، والتجديد، والإرشاد، والتبليغ، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسبة، والسلف الصالح، والدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية .

وثالثها : تعريف مصطلحات الأساليب والوسائل وهي : الخطبة، والوعظ، والجدل، والمناظرة، والمحاورة، والمباهلة، والمداراة، والقدوة الحسنة، والهجر، والجهاد .

ويقوم البحث في منهجه العلمي على تتبع المصطلحات الدعوية الأكثر استخداما باستقرائها في مضانها العلمية، ثم محاولة وضع مفاهيم أو تعريفات جديدة لها بالاستفادة من الجهود العلمية السابقة للباحثين في هذا المجال، أو اختيار وترجيح ما يحقق هدف البحث وغايته من التعريفات والمفاهيم القائمة .

ولقد بذل الباحث جهده في تتبع المصطلحات الدعوية المهمة، وحاول أن يقدم تعريفات علمية لها مستعينا بالله تعالى، ثم مستفيدا من آثار العلماء السابقين وجهود الباحثين المتخصصين في علم الدعوة رحم الله الأموات ووفق الأحياء للهدى والصواب .

ويرى الباحث أن الحاجة ماسة للمزيد من البحث والاستقصاء في هذا المجال، وأن من المهم أن يجتهد المتخصصون في علم الدعوة من أجل الوصول إلى مفاهيم علمية مشتركة للمصطلحات الدعوية تساعد على ترسيخ مكانة العلم وتنميته وتطويره، لاسيما وأن هناك تفاوتا ظاهرا في فهم بعض المصطلحات، وتحديدها عند كثير من الباحثين والدارسين.

والله المسؤول أن يجعل هذا العمل خالصا صوابا متقبلا، وأن ينفع به الجميع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

المقدمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، ونهج نهجه، واقتفى أثره إلى يوم الدين... **أما بعد:**

فإن تحديد مصطلحات العلوم ومعرفتها من فواتح العلم ومداخله، ولا يستطيع الباحث في أي فرع من فروع المعرفة أن يتعامل بصورة مثلى مع ذلك الفرع ما لم تكن لديه الدراية الكافية بمصطلحاته.

ولما كان علم الدعوة أحد التخصصات العلمية الجديدة التي لها علاقة وثيقة بعدد من العلوم الشرعية والإنسانية كان لزاما على الباحثين فيه أن يعتنوا بمصطلحاته العلمية، وتعريفاته التخصصية.

وبناءً على ذلك جاء هذا البحث الذي عنوانه:

(المصطلحات الدعوية: تعريفات ومفاهيم)

ليسهم في معالجة: مشكلة تداخل بعض المصطلحات العلمية الدعوية عند بعض الباحثين والدارسين، ومحاولة تحديدها تحديدا دقيقا.

فهو جهد علمي يهدف للوقوف على تعريفات محددة واضحة لبعض المصطلحات الدعوية، وربطها بالعلم الذي تنتمي إليه ربطا مباشراً، كما يسعى لتقريب وجهات النظر المختلفة حول بعض المصلحات، وفتح آفاق جديدة للمزيد من دراستها وتأصيلها.

وعلى حد علم الباحث فإنه لا توجد دراسة متخصصة مستقلة تعنى بتعريف المصطلحات الدعوية، وتحديد مفهومها، ولم يفرد موضوعه ببحث علمي خاص به، رغم اختلاف عدد من الباحثين في تحديد ماهية بعض المصطلحات، وتعدد مرئياتهم حولها.

ويتكون البحث من مباحث ثلاثة:

أولها: تعريف المصطلحات الأساسية لعلم الدعوة، وهي: الدعوة مع شرح تعريفها، ومصادر الدعوة، وأركانها، والمنهج الدعوي، وركائزه، ومظاهره، والحكمة الدعوية، والأساليب الدعوية، ووسائل الدعوة، وميادينها، والدعوة والاتصال.

وثانيها: تعريف المصطلحات ذات العلاقة المباشرة بعلم الدعوة، وهي: الإصلاح، والتجديد، والإرشاد، والتبليغ، والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسبة، والسلف الصالح، والدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية.

وثالثها: تعريف مصطلحات الأساليب والوسائل وهي: الخطبة، والوعظ، والجدل، والمناظرة، والمحاورة، والمباهلة، والمداراة، والقدوة الحسنة، والهجر، والجهاد.

ويقوم البحث في منهجه العلمي على تتبع المصطلحات الدعوية الأكثر استخداما باستقرائها في مَضَانِّها العلمية، ثم محاولة وضع مفاهيم أو تعريفات جديدة لها بالاستفادة من الجهود العلمية السابقة للباحثين في هذا المجال، أو اختيار وترجيح ما يحقق هدف البحث وغايته من التعريفات، والمفاهيم القائمة.

والله تعالى الموفق والمسدد، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

المصطلحات الأساسية

١- تعريف الدعوة:

في اللغة: أصلها (دعو)، ولها معان كثيرة منها: الحث والحض والطلب والنداء والصياح والدعاء والابتهال والرجاء والرغبة [١].

أما في الاصطلاح: فإن الدعوة كغيرها من المصطلحات العلمية تعددت عبارات المتخصصين في تعريفها، وبيان معناها، وتنوعت أساليبهم في ذلك، ومن تعريفات الدعوة:

١. الدعوة هي: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق [٢].

٢. الدعوة هي: قيام من عنده أهلية النصح الرشيد والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة [٣].

٣. الدعوة هي: قيام العلماء والمستنيرين في الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة [٤].

٤. الدعوة هي: فن يبحث في الكيفيات المناسبة التي يجذب بها

---

(١) انظر: لسان العرب/ابن منظور : ٢٥٧/١٤ ، والقاموس المحيط/الفيروزآبادي: ١٦٥٥

(٢) الدعوة الإسلامية / د.أحمد غلوش: ١٠

(٣) الدعوة إلى الله : خصائصها ومقدماتها ومناهجها / د.أبو المجد السيد نوفل : ٨

(٤) الدعوة إلى الإسلام / د.أبو بكر زكري : ٩

الآخرون إلى الإسلام، أو يحافظ على دين المسلمين بواسطتها [1] .

٥. الدعوة هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة [2] .

والتعريفات السابقة وغيرها من التعريفات الاصطلاحية الأخرى تدور حول عملية نشر الإسلام وتبليغه وإيصاله للناس.

ويلاحظ على كثير من التعريفات عدم إشارتها إلى أركان الدعوة كلها.

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الدعوة بأنها:

(جهود المكلفين لتبليغ الإسلام للناس وإقامته بينهم بطرق مشروعة).

شرح مفردات التعريف:

الجهود: جمع جهد وهو هنا كل قول أو عمل يبذل فيه الشخص شيئا من الوسع والطاقة [3] مصحوبا بنية.

المكلف: المطالب شرعا بالدعوة، وهو المسلم البالغ العاقل من الرجال والنساء والإنس والجن وسائر فئات الناس ممن تتوفر لديهم القدرة العلمية والعملية على اختلاف درجاتها ومستوياتها كل بحسب علمه وقدرته وإمكاناته، سواء كان متطوعا أو رسميا.

التبليغ: يشمل القولي والفعلي، فالقولي أنواع وأشكال كالموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن والخطبة والمحاضرة والمقالة ونحو ذلك، والفعلي: كالجهاد وتغيير المنكر باليد لمن يقدر عليه، والقدوة

---

(١) الدعوة والإنسان /د.عبدالله الشاذلي :٣٩ .

(٢) المدخل إلى علم الدعوة /د.البيانوني : ١٠٧ .

(٣) انظر المصباح المنير / الفيومي : ٦٢

الحسنة ونحو ذلك.

الإسلام: المقصود أصوله وشرائعه وأحكامه وتعليماته وتوجيهاته كلها أو بعضها، والتي هي مضمون الدعوة.

الناس: هم كافة المدعوين أفرادا وجماعات بجميع أصنافهم وفئاتهم وأعراقهم ودياناتهم، ومن أصناف المدعوين الذين تشملهم الكلمة: الجن والأنس [1]: مؤمنهم وكافرهم، ذكورهم وإناثهم، صغارهم وكبارهم، عامتهم وخاصتهم، الكل يدعى بحسب حاله.

الطرق المشروعة: تشير إلى كيفية الدعوة ويدخل فيها كل من: منهج الدعوة، والوسائل والأساليب التي لا تخالف الشرع المطهر، ولا تتعارض مع قواعده وأحكامه وآدابه.

والدعوة بهذا المعنى هي الدعوة إلى الله، وهي الدعوة إلى الخير، والدعوة إلى الجنة، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، وسلف الأمة الصالحين، وأئمتها المعتبرين، وضدها الدعوة إلى الشر والفساد والدعوة إلى النار التي هي مهمة إبليس وأتباعه وأعوانه من شياطين الجن والأنس الذين يدعون إلى البدع والضلال والفساد والانحراف والفجور.

٢- مصادر الدعوة:

هي: ما يستقي منها الدعاة دعوتهم، والمنطلقات التي ينطلقون منها في عملهم، ويسيرون على ضوئها، وهي:

١- القرآن الكريم الذي هو: كلام الله تعالى، المعجز، الذي نزل به جبريل عليه السلام على نبينا محمد ﷺ بلسان عربي مبين، المنقول

(١) انظر: في معنى كلمة الناس: لسان العرب / ابن منظور: ٦/ ٢٥٤

إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس [1] .

٢- السنة المطهرة وهي: كل ما ثبت عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف [2] .

٣- السيرة النبوية وهي: الحالة التي كان عليها النبي ﷺ من ولادته إلى وفاته [3] .

٤- سنة الخلفاء الراشدين: وهي طريقة الخلفاء الراشدين الأربعة: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم - الذين أمرنا النبي الكريم بالأخذ عنهم في قوله ﷺ: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ..) الحديث [4].

٥- آثار السلف الصالحين: من الصحابة والتابعين والأئمة المهديين والعلماء الراسخين ؛ الذين هم أقدر الناس على فهم نصوص الوحيين وبيان دلائل المصدرين.

---

(١) انظر : مناهل العرفان / الزرقاني : ١/ ١٥ ، والبحر المحيط في أصول الفقه : ١/ ٣٥٧ ، وأصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي : ١ / ٤٢٠

(٢) انظر : الواضح في أصول الفقه / أبو الوفاء علي بن عقيل : ١/ ٣٨ ، ومصطلح الحديث / محمد بن عثيمين : ٥ ، وأصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي : ١/ ٤٤٩ ، والحديث النبوي / محمد الصباغ : ١٢٠

(٣) انظر في تعريف السيرة : القاموس المحيط / ابن منظور: ٤/ ٣٩٠ ، والمعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون:٢/ ٤٦٧

(٤) سنن الترمذي/كتاب العلم باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة/٢٦٠٠ وسنن أبي داود/كتاب السنة باب في لزوم السنة/ ٣٩٩١ (صححه الألباني: صحيح سنن الترمذي:٢١٥

٣- أركان الدعوة:

جمع ركن وهي الجوانب التي يعتمد عليها الشيء، وهي أربعة:

١- الداعي وهو: القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاول لمهامها سواء كان متطوعا أو رسميا فردا كان أو جماعة.

٢- المدعو وهو: المتلقي للدعوة، والمستهدف بها فردا كان أو جماعة ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا.

٣- المضمون وهو: مادة الدعوة المعروضة، وموضوعها المطروح.

٤- الطريقة وهي: الكيفية التي تؤدى بها الدعوة وتقدم؛ بما تحويه من: منهج، ووسيلة، وأسلوب.

وهذه الأركان الأربعة لابد من وجودها في أي عملية دعوية على مستوى الأفراد أو الجماعات. ولكل منها خصائصها وسماتها.

٤- المنهج الدعوي:

المنهج في اللغة: كالنهج وهو الطريق البين الواضح [١]، ويمكن تعريفه في الاصطلاح الدعوي بأنه: مجموعة القواعد والأصول الدعوية الثابتة التي لا تتغير بتغير الظروف والأحوال [٢].

٥- ركائز المنهج الدعوي:

الركيزة ما يرتكز عليه الشيء حتى يكون ثابتا مستقرا [٣]، ونعني بها هنا: القواعد التي يقوم عليها العمل الدعوي وتحكمه وتضبطه حتى

---

(١) انظر: القاموس المحيط/الفيروزآبادي: ٢٦٦.

(٢) هذا التعريف الذي يرى الباحث أنه يميز المنهج عن الأسلوب ويختلف به عنه وعن غيره، وانظر تعريفا للمنهج في المدخل إلى علم الدعوة / البيانوني: ١٩٥.

(٣) انظر: لسان العرب/ابن منظور: ٣٥٦/٥.

يكون سديدا رشيدا وهي بالاستقراء خمسة: العلم، والاستقامة، والحكمة، وسلامة الطريقة، والصبر. ويلاحظ أن كل واحدة منها لها ارتباط بركن أو أكثر من أركان الدعوة.

٦- مظاهر المنهج الدعوي:

وهي العلامات البارزة، والتطبيقات الظاهرة للمنهج الدعوي وهي كثيرة لا يمكن إغفالها في جميع مراحل الدعوة ومنها: انزال الناس منازلهم، واختيار التوقيت المناسب لعرض الدعوة، واستغلال الفرص لتبليغ الدعوة.

٧- الحكمة الدعوية:

أصل الحكمة في اللغة: المنع يقال (حكمت) عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك، و (الحَكَمَة) -بالفتح- للدابة ما أحاط بحنكيها من حبل ونحوه سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق (الحكمة) لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال [(١)]، (ورجل حكيم إذا كان ذا حجى ولب وإصابة رأي) [(٢)].

وتأتي الحكمة بمعنى العدل والعلم والحلم والإتقان و الضبط، ومن معانيها في القرآن الكريم: النبوة والقرآن والسنة [(٣)].

وتعرف في الإصطلاح بأنها (إصابة الحق بالعلم والعقل) وكذلك بأنها (الإصابة في القول والفعل) وكذلك بأنها (معرفة الحق والعمل به) وبأنها

---

(١) انظر: المصباح المنير/أحمد الفيومي : ٧٩

(٢) التفسير الكبير/الرازي : ٥٩/٣

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن : ١٢٦ ، والنهاية في غريب الحديث : ٤١٨/١ ، والقاموس المحيط / الفيروز آبادي : ١٤١٥

(وضع الشيء في موضعه) وبأنها (فعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي)[1].

وكلها معان متقاربة فالحكمة محورها على الفكر القويم، والقول الرشيد، والعمل السديد قال النووي: (وأما الحكمة ففيها أقوال كثيرة مضطربة قد اقتصر كل من قائليها على بعض صفات الحكمة، وقد صفا لنا منها أن الحكمة عبارة عن العلم المتصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل، والحكيم من له ذلك)[2].

والحكمة نوعان [3]:

الأولى: الحكمة العلمية النظرية وهذه مرجعها إلى العلم والإدراك والفهم وهي العلم النافع.

الثانية: الحكمة العملية وهذه مرجعها إلى فعل الحق والعدل والصواب وهي العمل الصالح.

قال الفخر الرازي رحمه الله: (.. واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب)[4].

---

(١) انظر: جامع البيان/الطبري : ٨٩/٣ ، ومدارج السالكين / ابن القيم : ٢/ ٤٨٨

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣٨/٢

(٣) انظر: التفسير الكبير /الرازي : ٥٨/٣ ، ومدارج السالكين/ ابن القيم : ٤٩٧/٢ .

(٤) التفسير الكبير/الرازي : ٥٨/٣ .

وكذلك ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله – أن: الحكمة حكمتان: علمية وعملية فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقا وأمرا قدرا وشرعا.

والعملية: وهي وضع الشيء في موضعه، وأن تعطي كل شيء حقه ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه

وكل نظام الوجود مرتبط بالحكمة، وكل خلل في الوجود وفي العبد فسببه: الإخلال بها فأكمل الناس: أوفرهم منها نصيبا وأنقصهم وأبعدهم عن الكمال: أقلهم منها ميراثا..[1].

ويمكن اعتبار الحكمة الضابط العملي للدعوة، كما يمكن اعتبار العلم الضابط العلمي لها.

٨– الأساليب الدعوية:

الأسلوب في اللغة الطريق والفن [2]:

ويمكن تعريفه في الاصطلاح بأنه: مجموعة الممارسات والتطبيقات الدعوية المتنوعة والمتغيرة بتغير الظروف والأحوال [3].

والفرق بين المنهج الدعوي، والأسلوب الدعوي هو أن المنهج الدعوي: أصول ثابتة، وقواعد مستقرة لا مجال للاجتهاد فيه، وهو واحد لا يتعدد، ولا يتغير إذا كان صحيحا سليما.

أما الأسلوب الدعوي: فممارسات وتطبيقات معنوية أو حسية يمكن

---

(١) انظر: مدارج السالكين/ابن القيم: ٤٩٩/٢.

(٢) المصباح المنير/الفيومي: ١٤٨

(٣) هذا التعريف الذي يرى الباحث أنه يميز الأسلوب عن المنهج ويختلف به عنه وعن غيره، وانظر تعريفا للأسلوب في: فقه الدعوة إلى الله / علي عبدالحليم محمود: ٢١٥/١.

الاجتهاد فيه، وهو يتنوع، ويتعدد بحسب الظروف والأحوال، لكن بشرط عدم الخروج على القواعد الشرعية.

والأساليب منها ما هو كلي أو جزئي، أو عام و خاص ؛ فأسلوب الخطبة – مثلا – أسلوب دعوي عام يحتوي بداخله على عدد من الأساليب الخاصة به، والجزئية التي يتركب منها، وتجعل منه أسلوبا مُؤثراً ونافعاً.

٩– الوسائل الدعوية:

الوسيلة ما يتقرب به إلى الشيء [(١)].

ويمكن تعريفها في الاصطلاح بأنها: الأداة الناقلة للمضمون والأسلوب.[(٢)] .

وهناك علاقة وثيقة بين الوسيلة والأسلوب، وارتباط بينهما ؛ من حيث المفهوم والتطبيق.

مما جعل ببعض الباحثين يراهما بمعنى واحد.

ولكل من الوسائل والأساليب أهمية بالغة في الدعوة إلى الله ؛ لأنها الطريق الذي تنقل به المضامين الدعوية، ويتوصل بها إلى المدعو بل لا يمكن القيام بالدعوة إلا عن طريقها.

١٠– ميادين الدعوة:

هي الأزمنة والأمكنة التي تمارس فيها الدعوة، وتزاول، وتقام فيها برامجها، وتقدم أنشطتها ؛ كالمساجد والمدارس والأسواق والمناسبات

---

(١) انظر: المعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون:٢/ ١٠٣٢

(٢) يرى الباحث أن هذا التعريف يميز الوسيلة عن الأسلوب وغيره وتختلف به عنه ، وانظر تعريفا للوسيلة في : فقه الدعوة إلى الله / علي عبدالحليم محمود : ٢١٥/١.

العامة والخاصة.

١١- الدعوة والاتصال:

يعرف الاتصال بأنه: العملية التي تتم بها تبادل المعلومات، والمعاني، والأفكار من شخص لآخر، أو آخرين بصورة تحقق الأهداف المرجوة للأطراف المعنية [(١)].

وهو نشاط إنساني عام يرتبط علميا بالعديد من التخصصات الإنسانية وفي مقدمتها الإعلام.

والدعوة نشاط اتصالي بالمعنى العام، إلا أن له خصوصيته التي تميزه عن غيره من الأنشطة الاتصالية الأخرى، وذلك لأن الدعوة:

١- عمل تعبدي يطالب المسلم بالقيام به امتثالا لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، فهي مقصودة لذاتها ولغيرها.

٢- لا بد في أدائها من ضوابط شرعية معينة، وشروط محددة.

٣- هدفها يجب أن يكون واضحا جليا نقيا صافيا لا غموض فيه، ولا لبس ولا التواء.

٤- طبيعتها ووظيفتها علمية وعملية.

٥- خصوصية مضمونها ومنهجها، وكفاءة وقدرة القائم بها.

٦- تستفيد الدعوة من وسائل الاتصال الجماهيري، وتستخدمها في تحقيق رسالتها وفق الضوابط الشرعية.

---

(١) انظر: علم الاتصال المعاصر / د. عبدالله الطويرقي: ٣٣، مقدمة في وسائل الاتصال / د راكان حبيب وآخرون: ٢٠

المبحث الثاني

المصطلحات ذات العلاقة بالدعوة

١- الإصلاح:

ترجع هذه الكلمة في اللغة إلى مادة صلح، وهي ضد فسد ؛ فالصلاح ضد الفساد، والإصلاح ضد الإفساد، وصلح الشيء: إذا كان نافعاً، ومفيدا، ومناسباً، ومستقيماً سليماً من العيب والعطب، وأصلح الشيء أزال عنه الفساد الذي علق به ولحقه [١]، ومن المعنى اللغوي يتضح ارتباط الإصلاح بوجود فساد فيكون الإصلاح: هو الجهد المشروع الذي يقوم به الداعية لإزالة مظاهر الفساد، والانحراف لدى الفرد أو المجتمع.

وبين مصطلح: الدعوة، ومصطلح: الإصلاح علاقة وثيقة من حيث المفهوم تتمثل في العموم، والخصوص إذ الدعوة عامة في كل وقت و حين، أما الإصلاح ففيه خصوص حيث هو مرتبط بوجود فساد، لكنه بكل حال يقع ضمن دائرة الدعوة، وفي محيطها من حيث المفهوم والعمل.

ولا يوسم شخص بالإصلاح الشرعي إلا بعد النظر إليه من خلال أمور أربعة هي:

١- صلاح حاله العلمية والعملية، واستقامتها.

٢- طبيعة الإصلاح الذي يدعو إليه، ومدى موافقته للشرع المطهر.

٣- الأساليب والوسائل التي يستخدمها في عملية الإصلاح، ومدى سلامتها، وعدم مخالفتها للشرع.

---

(١) انظر القاموس المحيط / الفيروز آبادي : ٢٩٣

٤- الأهداف التي يسعى لتحقيقها سواء ما كان منها معلنا منه، أو مستنبطا من خلال ما يقدم من رؤى، ويطرح من برامج، ويستخدم من وسائل، ويسلك من طُرُق.

٢- التجديد:

من معانيه اللغوية: ضد القديم والبالي، وجدد الأمر أحدثه أي جعله حديثا مجددا [١] ويعرف التجديد في الاصطلاح بأنه: إحياء ما اندرس من أمور الدين في زمن مخصوص من شخص مخصوص [٢].

وهو أخص من الإصلاح في المفهوم الدعوي فالتجديد يكون من شخص معين له شروطه وصفاته، في وقت معين، وهو رأس القرن كما دل عليه قول النبي ﷺ: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها) [٣].

ولا يوصف أحد بأنه مجدد إلا إذا توفرت فيه شروط خمسة هي:

١. أن يكون من أهل السنة والجماعة.
٢. أن يكون عالماً بالكتاب والسنة.
٣. أن يكون من أهل الصلاح والاستقامة.
٤. أن يكون من أهل الدعوة والإصلاح.

---

(١) انظر : المصباح المنير / الفيومي : ٥٢ والمعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون: ١/ ١٠٩ .

(٢) انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود : ٦ / ٢٦٠ ، ومفهوم تديد الدين / بسطامي محمد سعيد :٣٢ ، والتجديد في الإسلام /كتاب المنتدى الإسلامي : ٤٥ .

(٣) سنن أبي داود/كتاب الملاحم : باب ما يذكر في قرن المائة : ٢٩١ . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة / الألباني : المكتب الإسلامي :٢/ ١٥٠ : ٥٩٩ .

٥. أن يكون على رأس المائة سنة [١].

وبهذه الشروط تضيق دائرة التجديد، فلا يدخل فيها إلا عدد محدود من علماء الأمة وأئمتها، أما دائرة الإصلاح فهي أوسع وأشمل ودائرة الدعوة هي الدائرة الكبرى التي يدخل فيها جميع المسلمين العاملين للإسلام.

٣- الإرشاد:

الرشاد ضد السفه، والإرشاد: الهداية والدلالة [2]، وهو دلالة المدعو إلى ما فيه صلاح حاله الدينية والدنيوية.

٤- التبليغ:

له معان لغوية كثيرة منها: الإيصال بوعي وإدراك واجتهاد وبيان ووضوح [٣].

وهو في الاصطلاح: إيصال المضمون الدعوي على وجه حريّ بأن يقبله المدعو لوضوحه وبيانه [٤].

٥- النصيحة:

نصح: نصح الشيء: خلص. والناصح: الخالص من العسل وغيره. وكل شيء خلص، فقد نصح. والنصح: نقيض الغش وكل ماخلا من الشوائب[٥].

ويقال نصح لفلان الود، ونصح له المشورة وأرشده إلى ما فيه صلاحه

---

(١) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٦ / ٢٦٣، والتجديد في الإسلام / كتاب المنتدى الإسلامي: ٥٦.

(٢) لسان العرب / ابن منظور: ٣/ ١٧٦

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير: ١ / ١٥٣ والقاموس المحيط / الفيروز آبادي: ١٠٠٧

(٤) انظر: المفردات في غريب القرآن/ الأصفهاني: ٦١.

(٥) انظر: لسان العرب / ابن منظور: ٢/ ٦١٦ - ٦١٨

و(النصح) إخلاص المشورة [1].

ومن تعريفاتها الاصطلاحية:

أنها: إرادةُ الخَيْرِ للغَيرِ وإرشاده له.

وأنها: كلمةٌ يُعبَّر بها عن جُملة: إرادة الخيرِ للمَنصوح له، وليس يُمْكن أَن يُعبَّر عَن هذا المعنَى بكلمةٍ واحدة تَجمَع مَعناه غيرها [2].

ومن تعريفاتها أنها: الإرشادُ إلى ما فيه صَلاحُ المنصوحِ له، ولا يكون إلاّ قَولاً، فإن استُعْمِل في غَير القَول كان مجازاً، وهي: بَذْلُ الاجتهادِ في المَشُورةِ. [3]

ومن تعريفاتها أنها: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد[4].

وأنها: قول أو عمل يريد صاحبه صلاح المعمول لأجله. وأكثر ما يطلق على الأقوال النافعة المنقذة من الأضرار. ويكون بالعمل كقوله تعالى: (إذا نصحوا لله ورسوله) (التوبة: ٩١). [5]

وحقيقة النصح الإرسال إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه. [6]

ومما سبق يمكن تعريفها بأنها: مبادرة المدعو بالرأي الصائب، والفكر السديد، والفهم الرشيد بإخلاص وصدق، مع إظهار الشفقة

---

(١) انظر : المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس وآخرون : ٢/ ٩٥٢ .

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير: ٥/ ٦٣ .

(٣) انظر: تاج العروس / الزبيدي : ٧ / ١٧٥– ١٨٠

(٤) انظر : التعريفات / الجرجاني : ١/ ٣١٠

(٥) انظر التحرير والتنوير / ابن عاشور : ٦١/١٢

(٦) انظر : التفسير الكبير / الرازي : ١٤/ ١٢٣

عليه، ومحبة الخير له.

فلا بد فيها من:

- مبادرة المنصوح بالنصيحة حتى لو لم يطلبها.
- الصدق والإخلاص في طلب الخير له.
- إظهار الشفقة على المدعو، وإشعاره بمحبة الخير له.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو يتضمن معنى الإلزام للمأمور والمنهي بدلالة كلمة (أمر) وكلمة (نهي) وهي مرتبة أخص من معاني البيان والتوضيح والحث والحظ والرغبة والرجاء التي هي من معاني الدعوة.

ويمكن تعريفه بأنه: (حمل الناس بالقول أو الفعل على عمل الخير والبر، وترك الشر والإثم). [١]

وهو بكل حال داخل في المعنى العام للدعوة.

٧- الحسبة:

الحسبة بكسر الحاء، ولها في اللغة معان كثيرة منها: الاختبار والظن والاعتداد والاكتفاء، والإنكار وطلب الأجر [٢].

وهي في الاصطلاح: (أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله) [٣].

فلا بد فيها من ظهور ترك المعروف، وظهور فعل المنكر بخلاف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يستعمل في حالة الظهور والاختفاء، فهي

---

(١) انظر : التعريفات / الجرجاني : ١ / ٥٤

(٢) انظر : لسان العرب / ابن منظور : ١ / ٣١٠

(٣) الأحكام السلطانية /الماوردي : ٣١٥ .

مرتبة أخص من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهي تندرج ضمن المفهوم العام للدعوة وفي إطارها.

والتعريف المذكور يشمل الحسبة بفرعيها: التطوعي والرسمي.

٨- السلف الصالح:

السلف في اللغة: كل من سبق في الزمان وتقدم وانقضى [١]. وفي الاصطلاح: هم أصحاب النبي ﷺ، والتابعون وأتباع التابعين، ومن جاء بعدهم من أئمة الدين، وأعلام الملة الذين ساروا على منهج النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل [٢].

وهؤلاء هم السلف الصالح، وأهل السنة والجماعة، وهم الجماعة، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحديث، وأهل الأثر، وهم أهل السنة، وهم الغرباء إلى غير ذلك من أوصافهم التي جاءت نصوص السنة بكثير منها، ومن ذلك: قوله عليه الصلاة والسلام: (لايزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)[٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث الافتراق (والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل يارسول الله من هم قال الجماعة)[٤] ، وقوله عليه الصلاة والسلام (بدأ

---

(١) انظر: القاموس المحيط/ابن منظور: ١٠٦٠ ، والمعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون : ٣٦٩/١

(٢) انظر: شرح الطحاوية /علي الحنفي : ٥٠٣ ، وشرح العقيدة الواسطية/محمدبن عثيمين : ٣٧-٤٠ و ٦٨٤ ، ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة/ناصر العقل ١٣-١٦ ، ومدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/عثمان ضميرية : ١٤٧-١٥٠

(٣) صحيح البخاري/كتاب الاعتصام بالسنة/باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي/ ٦٦٧ ، وصحيح مسلم/كتاب الإمارة/باب قول النبي ﷺ لاتزال طائفة من أمتي / ٣٥٤٤

(٤) سنن ابن ماجة/كتاب الفتن/باب افتراق الأمم/ ٣٩٨٢ ، وسنن أبي داود/كتاب السنة/باب شرح =

الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء قيل يا رسول الله من هم قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس أو يصلحون ما أفسد الناس)[1] .

٩- الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية:

هي الجهود التي بذلها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بدعم ومؤازرة من الإمام محمد بن سعود رحمه الله في القرن الثاني عشر لإزالة مظاهر الفساد، والانحراف العقدي والسلوكي في الجزيرة العربية، واستمرت هذه الجهود على يد الأئمة من علماء الدعوة، وحكام الدولة السعودية إلى وقتنا الحاضر.

=

السنة/ ٣٩٨١ (صححه الألباني:صحيح سنن ابن ماجه:٣٢٢٦)

(١) صحيح مسلم/ كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا/ ٢٠٩ ، ومسند الإمام أحمد/أول مسند المدنيين: حديث عبدالرحمن بن سنة/ ١٦٠٩٤ وهذا لفظه

المبحث الثالث

مصطلحات الأساليب الدعوية

يمكن تقسيم الأساليب الدعوية من حيث طبيعتها إلى قسمين:

١- أساليب قولية: كالخطابة، والوعظ، والجدل، والمناظرة، والمحاورة، والمباهلة ونحو ذلك.

٢- أساليب فعلية: كالقدوة الحسنة، والهجر، وتغيير المنكر باليد، والجهاد ونحو ذلك.

كما يمكن تقسيمها من حيث وقت استخدامها إلى قسمين أيضاً:

١- الأساليب المتقدمة وهي التي تلازم الدعوة من بدايتها: كأسلوب الموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، والقدوة الحسنة، والمداراة.

٢- الأساليب المتأخرة: وهي التي يستخدمها الداعي في مراحل متأخرة من دعوته بعد استنفاد الأساليب المتقدمة، وثبوت عدم جدواها مع المدعو ومن أمثلتها: أسلوب الهجر، والمباهلة، والجهاد ونحو ذلك.

كما يمكن تقسيمها تبعا لما تتوجه إليه من ركائز الفطرة الإنسانية إلى أقسام ثلاثة:

١- الأساليب العاطفية.

٢- الأساليب العقلية والعلمية.

٣- الأساليب الحسية.

ويلاحظ أن بعض الأساليب يمكن أن تصنف في أكثر من نوع من الأنواع الثلاثة السابقة.

وفيما يلي تعريف بأهم الأساليب القولية والفعلية للدعوة:

١- الخطبة:

هي: الكلام المنثور الذي يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم [١].

ومن تعريفاتها الإصلاحية أنها: الكلام المؤلف الذي يتضمن وعظا وإبلاغا على صفة مخصوصة [٢].

وأنها: كلام منثور؛ مسجوع، أومرسل، أو مزدوج بينهما غايته التأثير والإقناع [٣].

٢- الوعظ:

أسلوب قولي مهم من أساليب الدعوة إلى الله، وله تعريفات كثيرة متشابهة منها:

أنه: الكلام الذي تلين له القلوب. [٤]

وأنه: إهزاز النفس بموعود الجزاء ووعيده [٥].

وأنه: التذكير بالخير فيما يرق له القلب.

وأنه: زجر مقترن بتخويف [٦]

وأنه: نصح بإرشاد مشوب بتحذير من لحاق ضر في العاقبة، أو

---

(١) المعجم الوسيط/ ابراهيم أنيس وآخرون: ١/ ٢٤٣

(٢) الموسوعة الفقهية / وزارة الأوقاف الكويتية: ١٩/ ١٧٦ .

(٣) توجيهات وذكرى / صالح بن حميد: ١/ ٨ .

(٤) أضواء البيان / الشنقيطي: ٣ /٤٣٧

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف/المناوي: ١/ ٨٢٨

(٦) انظر: المفردات في غريب القرآن /الأصفهاني: ٥٢٧ ، والتعريفات / الجرجاني: ١/ ٣٢٧

بتحريض على جلب نفع، مغفول عنه [1].

وأنه: ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب [2].

وأنه: النصح والتذكير بالعواقب [3].

وأنه: تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب. [4]

ويمكن تعريفه من خلال ما سبق بأنه: (الكلام المرغب أو المرهب الذي يرقق القلوب ويلينها).

فائدة: قال الشنقيطي رحمه الله:

(تنبيه: فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي. كقوله... ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ إلى قوله ﴿ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ ﴾، وكقوله في سورة البقرة بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: ﴿ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾، وقوله في الطلاق في نحو ذلك أيضاً: ﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾. وقوله في النهي عن مثل قذف عائشة: ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِ أَبَداً ﴾. مع أن المعروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك، لا بالأمر والنهي.

فالجواب أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم

---

(١) التحرير والتنوير / ابن عاشور : ٩/ ٩٨

(٢) تفسير السعدي ١/ ٨٤٤

(٣) لسان العرب / ابن منظور : ٧/ ٤٦٦

(٤) لسان العرب / ابن منظور : ٧/ ٤٦٦

ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونواهيه. فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله. وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه. فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفاً وطمعاً. (١)

٣- الجـــدل:

هو أحد أساليب الإقناع القولية، وهو أسلوب مهم من أساليب الدعوة إلى الله بشروطه، وضوابطه كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل ١٢٥)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت ٤٦)

ويعرف الجدل بأنه: المبالغة في المناظرة والخصومة، وهو مأخوذ من الجدل: وهو شدة الفتل. ويقال للصقر أجدل لأنه أشد الطير. وكل ما يعقل من الملائكة والجن يجادل، والإنسان أكثر هذه الأشياء جدلا. (٢)

ويعرف بأنه: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها.. ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام. و جادله أي خاصمه مجادلة و جدالا، والاسم الجدل،

---

(١) أضواء البيان / الشنقيطي : ٢/ ٤٨٢

(٢) انظر : كشف المشكل / ابن الجوزي : ١/ ١٧٧

وهو شدة الخصومة .. [1]

ويعرف بأنه: القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهو: منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك، ومنه سمّي علم قواعد المناظرة والاحتجاج عِلْمَ الجدل.[2]

والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة، والمغالبة لإلزام الخصم [3]

وتعرف المجادلة بأنها: المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم [4]

وتعرف بأنها: تعارض يجري بين متنازعين فصاعدا إما لتحقيق حق، أو تغليب ظن، أو إبطال باطل. [5]

وعِلْمُ الجدلِ: صناعة نظرية يستفاد منها كيفية المناظرة وشرائطها صيانة عن الخبط في البحث، وإلزاما للخصم وإفحامه، وقيل: قانون يفيد عرفان القدر الكافي من الهيئات، وأقسام الاعتراضات، والجوابات الموجهات منها وغير الموجهات. [6]

ويمكن تعريفه من خلال ما سبق بأنه: (المنازعة بالقول لإقناع الغير بالرأي وإلزامه به).

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ١/ ٢٨٤ ، ولسان العرب / : ١١/ ٤٦٥

(٢) انظر : التحرير والتوير / ابن عاشور : ٥ /١٩٤ .

(٣) الجدل في القرآن الكريم/د.الأملعي : ٢٤ .

(٤) انظر: آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي : ٨٩ ، والمعجم الوسيط/ابراهيم أنيس وآخرون : ١٢١/١

(٥) انظر : معجم مقاليد العلوم / السيوطي : ١/ ٧٦

(٦) انظر : معجم مقاليد العلوم / السيوطي : ٧٦/١

٤- المناظـرة:

لغة من النظير أو من النظر بالبصر، واصطلاحا النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب [١].

ويرى الأصفهاني: أن المناظرة من النظر وهو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو الرؤية.. والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته [٢].

ويرى الشنقيطي أن المناظرة في اللغة: المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر، أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر، والفكر هو المؤدي إلى علم أو غلبة ظن، وهي في الاصطلاح: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم، أو غلبة ظن ليظهر الصواب.. والمتناظران كل منهما يفحص ويفتش عما يصحح به حجته، ويبطل به حجة خصمه [٣].

والفرق بين المناظرة والجدل أن الغرض في المناظرة إظهار الصواب، والغرض من الجدل والخلاف الإلزام [٤].

---

(١) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف / المناوي : ١/ ٦٨٧ ، ومعجم مقاليد الغلوم/السيوطي :٧٦/١

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني : ٤٩٧ .

(٣) انظر: آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي : ٣/٢

(٤) ابجد العلوم / صديق خان : ١ / ٥٩ .

قال الشاطبي: (ومقصود المناظرة رد الخصم إلى الصواب بطريق يعرفه لأن رده بغير ما يعرفه من باب تكليف ما لا يطاق فلا بد من رجوعهما إلى دليل يعرفه الخصم السائل معرفة الخصم المستدل) [1] .

ومن خلال ما سبق يمكن التفريق بين الجدل والمناظرة في الآتي:

من حيث الهدف فالجدل إفحام الخصم وإلزامه، أما المناظرة فهي البحث مع المناظر عن الحق وإظهاره.

من حيث الطريقة فالجدل يعتمد على العاطفة، ويقوم على المنازعة والمغالبة أما المناظرة فتعتمد في الغالب على العلم، والمباحثة العميقة الخاصة

من حيث القائم بهما فالجدل لا يشترط في طرفيه المكافأة والنِّدِّية في المستوى أما المناظرة فلابد أن يكون طرفاها على مستوى ذهني متقارب وبينهما قواسم مشتركة في الفهم.

وهناك من الباحثين من يراهما بمعنى واحد.

٥- الحوار:

الأخذ والرد في الحديث، وهو المرادة في الكلام، وتدويره بين اثنين فأكثر لا على سبيل المنازعة والمخاصمة والمباحثة الخاصة. [2]

فهو نقاش هادئ من أجل الوصول إلى رأي موحد، أو متقارب حول موضوع معين.

تنبيه: ومما تنبغي الإشارة إليه: أنه يمكن للداعية في موقف واحد أن يجمع بين هذه الأساليب الثلاثة فتتداخل فيما بينها بحسب الظرف الدعوي.

---

(١) الموافقات / الشاطبي : ٤ / ٣٣٥

(٢) انظر : المفردات في غريب القرآن / الأصفهاني : ١٣٥

٦- المباهلة:

المباهلة: مفاعلة من البهلة وهي اللعنة، ومأخذها من الإبهال وهو الإهمال والتخلية لأن اللعن والطرد والإهمال من واد واحد، وأصل الابتهال الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره يقال بهله الله أي لعنه، والبهل اللعن، ويطلق على الاجتهاد في الهلاك، وابتهل في الدعاء إذا اجتهد. ومبتهلا أي مجتهدا في الدعاء. والابتهال: التضرع. والابتهال: الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه لله عز وجل، والمباهلة الملاعنة [١].

ويستعمل الابتهال في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعانا [٢].

وتعريف المباهلة اصطلاحا: (أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله على الظالم منا أو المبطل منا) [٣].

٧- المداراة:

المداراة: الملاطفة والملاينة والرفق والاتقاء [٤].

ومن تعريفاتها الاصلاحية أنها: الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه [٥].

فهي: (حسن صحبة المدعو، والتلطف معه، واحتماله حتى يألف

---

(١) انظر : لسان العرب / ابن منظور : ١١/ ٧٢

(٢) انظر : فتح القدير / الشوكاني : ١/ ٣٤٧

(٣) انظر : انظر عمدة القارئ : ١٨/ ٢٧ ، والفائق/ الزمخشري : ١/ ١٤٠ ، طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية / النسفي : ١ / ١٤٨ ، قواعد الفقه / المجددي: ١/ ٤٦١

(٤) المعجم الوسيط /ابراهيم أنيس وآخرون : ١/ ٢٨٢

(٥) انظر : فتح الباري / ابن حجر : ١٠/٥٢٨ .

الداعي ويستجيب له)[1].

وتعد من مظاهر الرفق واللين، إذ الرفق: ضد العنف وضد الخرق، واللين ضد الخشونة والغلظة والقسوة والشدة والجفاء. ويتضمنان معاني اللطف والسماحة والسهولة واليسر وحسن الصنيع [2]

٨- القدوة الحسنة:

القدوة في اللغة: الذي يفعل الناس مثل فعله تشبها به وإعجابا به [3].

وفي الاصطلاح هي: السيرة الحميدة، والأفعال الكريمة، والصفات العالية، والأخلاق الزكية للداعي التي تجعله محل إعجاب المدعوين ومثالهم المحتذى.

٩- الهجـــر:

الهجر ضد الوصل وقد هجره هجرا وهجرانا.. وهو المفارقة والترك والإعراض والإغفال والمقاطعة والاعتزال [4].

الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب [5].

ويمكن تعريفه بأنه: (مقاطعة الداعي للمدعو في القول والتعامل في ظروف شرعية خاصة) [6].

---

(٦) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ٢/ ١١٥ .

(١) انظر : القاموس المحيط / الفيروز آبادي : ١١٤٥

(٢) انظر : المعجم الوسيط / ابراهيم أنيس وآخرون : ٢/ ٧٢٠ .

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ٥/ ٢٤٦ ، والقاموس المحيط / الفيروز آبادي : ١/ ٦٤٨ ، التوقيف على مهمات التعاريف /المناوي : ١/ ٢٣٨

(٤) انظر : المفردات في غريب القرآن/ الاصفهاني : ٥٣٦ .

(٥) هذا التعريف الذي يراه الباحث ، وانظر في ذلك : المفردات في غريب القرآن/ الاصفهاني : ٥٣٦ ، والنهاية في غريب الحديث / ابن الأثير : ٥/ ٢٤٦ ، التوقيف على مهمات التعاريف /المناوي : ١/ =

أما الهجر الجميل فهو الذي لا فحش فيه، وقيل هو السلام عليهم وبالجملة فهو مجرد الإعراض [1] .

١٠- الجهاد:

في اللغة بذل الوسع، واستفراغ الطاقة من قول أو فعل [2].

وفي الاصطلاح: بذل الجهد من المسلمين في قتال الكفار والبغاة والمرتدين، ونحوهم بالطريقة الشرعية [3] .

والمفهوم العام للجهاد يتسع ليعم القتال وغيره من أنواع الجهاد باللسان والمال وجهاد النفس، ونحو ذلك مما تدل عليه النصوص الشرعية [4] .

=

٢٣٨ ، والقاموس المحيط /الفيروز آبادي : ١/ ٦٤٨

(١) انظر : احكام القرآن /ابن العربي : ٤/ ٢٥٥

(٢) انظر : المصباح المنير/الفيومي: ٦٢

(٣) انظر : الجهاد في سبيل الله / القادري : ١/ ٤٩

(٤) انظر : أهمية الجهاد /العلياني : ١١٦

الخاتمة

لقد بذل الباحث جهده في تتبع المصطلحات الدعوية المهمة، وحاول أن يقدم تعريفات علمية لها مستعينا بالله تعالى، ثم مستفيدا من آثار العلماء السابقين، وجهود الباحثين المتخصصين في علم الدعوة رحم الله الأموات، ووفق الأحياء للهدى والصواب.

ويرى الباحث أن الحاجة ماسة للمزيد من البحث والاستقصاء في هذا المجال، وأن يجتهد المتخصصون في علم الدعوة للوصول إلى مفاهيم علمية مشتركة للمصطلحات الدعوية تساعد على ترسيخ مكانة العلم وتطويره، لاسيما وأن هناك تفاوتا ظاهرا في فهم بعض المصطلحات، وتحديدها عند كثير من الباحثين والدارسين.

ومما يوصي به الباحث: أن تعمل الجهات العلمية الدعوية على إعداد معجم خاص بالمصطلحات الدعوية ينفع الباحثين والدارسين ويفيدهم.

والله تعالى الموفق والمسدد، وهو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

١- أبجد العلوم / صديق بن حسن القنوجي (بيروت: دارالكتب العلمية: ١٩٧٨م تحقيق: عبد الجبار زكار).

٢- الأحكام السلطانية /الماوردي / ط١: (دار ابن قتيبة: الكويت: ١٤٠٩).

٣- أحكام القرآن/ أبو بكر محمد بن العربي (بيروت: دار الفكر: تحقيق: محمد عبد القادر عطا).

٤- آداب البحث والمناظرة / الشنقيطي /(القاهرة مكتبة ابن تيمية د ت).

٥- أصول الدعوة/عبدالكريم زيدان / ط٣: (بيروت:مكتبة الرسالة: ١٤٠٩) .

٦- أصول الفقه الإسلامي / وهبة الزحيلي: ط١: (دمشق: دار الفكر: ١٤٠٦).

٧- أضواء البيان / الشنقيطي (بيروت:عالم الكتب: د٠ت)

٨- أهمية الجهاد /العلياني / ط٢ (الرياض:دارطيبة: ١٤١٦).

٩- البحر المحيط في أصول الفقه/بدر الدين محمد الزركشي / ط: ١: لبنان: دار الكتب العلمية: ١٤٢١ ، ، تحقيق: د. محمد محمد تامر

١٠- تاج العروس من جواهر القاموس/ محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (القاهرة: دار الهداية: تحقيق: مجموعة من المحققين).

١١- التجديد في الإسلام /كتاب المنتدى الإسلامي: / ط٣ (لندن).

١٢- التحرير والتنوير / محمد الطاهر بن عاشور (تونس: دار سحنون

للنشر والتوزيع: ١٩٩٧م).

١٣- التعريفات /علي بن محمد الجرجاني (بيروت: دار الكتاب العربي: ط١ : تحقيق: إبراهيم الأبياري).

١٤- التفسير الكبير/الفخرالرازي(بيروت:دار إحياء التراث العربي:ط١ : ١٤١٥).

١٥- توجيهات وذكرى / صالح بن حميد : (مكة المكرمة: دار التربية والتراث: ط٣: ١٤١٩)

١٦- التوقيف على مهمات التعاريف/ محمد عبد الرؤوف المناوي (بيروت: دار الفكر المعاصر: ١٤١٠: ط١: تحقيق: د. محمد رضوان الداية).

١٧- تيسير الكريم الرحمن/السعدي(بيروت:مؤسسة الرسالة:ط١: ١٤١٦)

١٨- جامع البيان/ابن جريرالطبري (بيروت:دار الكتب العلمية:ط١ : ١٤١٢).

١٩- الجهاد في سبيل الله / القادري (جدة دار المنارة:١٤٢٣: ط٢).

٢٠- الحديث النبوي / محمد لطفي الصباغ:ط٥: بيروت: المكتب الإسلامي: ١٤٠٧ هـ.

٢١- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها/أحمد غلوش(القاهرة: دار الكتاب المصري:١٤٠٧).

٢٢- الدعوة إلى الله: خصائصها ومقدماتها ومناهجها / د.أبو المجد السيد نوفل: (القاهرة: مطبعة الحضارة العربية:ط١: ١٣٩٧).

٢٣- الدعوة والإنسان /د.عبدالله الشاذلي: (مصر:المكتبة القومية: ط١)

٢٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة / الألباني: المكتب الإسلامي:

٢٥- سنن ابن ماجة/ ابن ماجه (بيروت:دار الفكر:د٠ت)

٢٦- سنن أبي داود/ أبو داود (بيروت: دار الفكر:د٠ت)
٢٧- سنن الترمذي/ الترمذي (بيروت: دار إحياء التراث العربي:د٠ت)
٢٨- شرح العقيدة الطحاوية /علي الحنفي(الرياض:وزارة الشؤون الإسلامية:١٤١٨)
٢٩- شرح العقيدة الواسطية/محمدبن عثيمين(الرياض:دار الثريا:١٤١٩)
٣٠- صحيح البخاري/ البخاري (بيروت: دار ابن كثير: ط٣: ١٤٠٧)
٣١- صحيح سنن ابن ماجه/ الألباني (بيروت المكتب الإسلامي: ط١: ١٤٠٨)
٣٢- صحيح سنن الترمذي/ الألباني (بيروت المكتب الإسلامي: ط١: ١٤٠٨)
٣٣- صحيح مسلم بشرح النووي (مؤسسة قرطبة:١٤١٢)
٣٤- صحيح مسلم/ مسلم (بيروت: دار الفكر: د٠ت)
٣٥- طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية / عمر بن محمد النسفي (عمان: دار النفائس: ١٤١٦: تحقيق: خالد عبد الرحمن العك).
٣٦- علم الاتصال المعاصر/د.عبدالله الطويرقي: ط٢ (الرياض مكتبة العبيكان: ١٤١٧)
٣٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري / محمود بن أحمد العيني (بيروت: دار إحياء التراث العربي – بيروت).
٣٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود (بيروت: دار الكتب العلمية: ط١: ١٤١٠).
٣٩- الفائق في غريب الحديث / محمود بن عمر الزمخشري (لبنان: دار المعرفة: ط٢: تحقيق: علي محمد البجاوي – محمد أبو الفضل

إبراهيم).
٤٠- فتح الباري / ابن حجر (الرياض: دار البحوث العلمية والافتاء :د.ت)
٤١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير / محمد بن علي الشوكاني (بيروت: دار الفكر)
٤٢- فقه الدعوة إلى الله / علي عبد الحليم محمود :ط١ (مصر: دار الوفاء: ١٤١٠)
٤٣- القاموس المحيط/الفيروزآبادي(بيروت:مؤسسة الرسالة :ط٢ : ١٤٠٧)
٤٤- قواعد الفقه /محمد المجددي (كراتشي: الصدف ببلشرز: ١٤٠٧ :ط١).
٤٥- كشف المشكل من حديث الصحيحين / عبد الرحمن بن الجوزي (الرياض: دار الوطن: ١٤١٨ : تحقيق: علي حسين البواب).
٤٦- لسان العرب / محمد بن مكرم بن منظور (بيروت: دار صادر: ط١).
٤٧- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة/ناصر العقل(الرياض:دار الوطن:ط١)
٤٨- مدارج السالكين/ابن القيم(مصر: دار الحديث: د٠ت).
٤٩- المدخل إلى علم الدعوة /د.البيانوني (بيروت:مؤسسة الرسالة:١٤١٢).
٥٠- مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية/عثمان ضميرية(جدة:مكتبة السوادي:ط٢)
٥١- المصباح المنير/أحمد الفيومي (بيروت المكتبة العصرية:ط٢ : ١٤١٨).
٥٢- المعجم الوسيط / إبراهيم أنيس / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار (مصر: مجمع اللغة العربية).
٥٣- معجم مقاليد العلوم / عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (القاهرة:

مكتبة الآداب: ١٤٢٤: ط ١: تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة).

٥٤- المفردات في غريب القرآن/الراغب الإصفهاني (بيروت:دار المعرفة:د٠ت)

٥٥- مفهوم تجديد الدين / بسطامي محمد سعيد: ط١:(الكويت: دار الدعوة:١٤٠٥)

٥٦- مقدمة في وسائل الاتصال/د.راكان حبيب وآخرون: ط٢ (جدة: دار زهران:١٤٢٢)

٥٧- مناهل العرفان في علوم القرآن /محمد عبد العظيم الزرقاني لبنان / ط: ١: دار الفكر:١٤١٦هـ

٥٨- الموافقات في أصول الفقه / إبراهيم بن موسى الشاطبي (بيروت: دار المعرفة: تحقيق: عبد الله دراز).

٥٩- النهاية في غريب الحديث والأثر /ابن الأثيرالجزري (بيروت: المكتبة العلمية: ١٣٩٩: تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي).

البحث رقم ٥

المؤسسات الوقفية الخاصة وأثرها في دعم البرامج الدعوية

إدارة أوقاف صالح الراجحي أنموذجاً

إعداد

د. عبدالله بن محمد المطوع

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

دراسة المؤسسات الوقفية الخاصة ودورها في دعم البرامج الدعوية

أوقاف صالح الراجحي أنموذجاً

اهتم عدد من الموسرين في بلانا المباركة في السنوات الأخيرة الماضية بتخصيص جزء من ممتلكاتهم وثرواتهم لتكون أوقافاً تصرف عوائدها على البرامج الخيرية الدعوية والاجتماعية والصحية في المجتمعات المسلمة، تجديداً لما كان عليه المسلمون الأقدمون في الاهتمام بالوقف.

وقد أقام هؤلاء الموسرين على أوقافهم رجالاً أكفاء يتولون مهمة النظارة عليها والتحقق من وصولها إلى مستحقيها وفق وصاياهم المحددة لذلك، ونتيجة للرغبة في ضبط هذه الأعمال الوقفية ومصارفها فقد اجتهد بعض نظار هذه الأوقاف إلى تحويل عملهم من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي، فأقاموا مؤسسات وقفية خاصة تعنى بالنظر في شؤون هذه الأوقاف وتنميتها والمحافظة عليها وضبط آليات صرف عوائدها على المستحقين، وتنظيم أعمالها وفق نظم ولوائح إدارية ومالية علمية دقيقة.

وعنيت هذه الدراسة التعريف بالبرامج الدعوية التي يمكن لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة دعمها والإنفاق عليها خدمة للدين والدعوة إليه في أوساط المسلمين وغيرهم، و تخصصت هذه الدراسة بالإشارة إلى دور أوقاف صالح الراجحي كأنموذج حي لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة ودورها في دعم البرامج الدعوية وتبان لجهودها في ذلك.

- وسعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١- التأكيد على الموسرين من المسلمين بتخصيص جزء من عوائد أوقافهم الخيرية لخدمة الدعوة وبرامجها المتنوعة، وبيان فضل ذلك .

٢- التأكيد على القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة ونظارها بشمول الدعوة وبرامجها المتنوعة لأعمال مؤسساتهم الخيرية .

٣- الإفادة من برامج إحدى المؤسسات الوقفية الخاصة في الدعوة إلى الله لتكون أنموذجاً يحتذي لكل أهل الخير والإحسان والعاملين معهم.

نسأل الله أن ينفع بهذه الدراسة كاتبها وقارئها
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

مقدمة الدراسة

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد بن عبدالله، وآله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد امتن ربنا – سبحانه وتعالى – على أتباع دينه بخصائص جليلة خصهم بها عن غيرهم من أتباع الأديان والشرائع الباطلة الأخرى، ومن أبرز هذه الخصائص تشريعه للوقف[1]؛ ليضفي على المجتمع المسلم أواصر الترابط والتكافل بين المقتدرين والمعوزين.

والوقف عبارة عن صدقة دائمة مستمرة في الأجر والثواب للمُوقفِ ما دامت العين الموقوفة نافعة ويستفاد منها، بل قد يتضاعف هذا الأجر والثواب إذا ازداد نفع العين الموقوفة وعظم أثرها، إن أحسن نظار الوقف المحافظة عليها وإدارتها وتنميتها.

وفي الوقت نفسه هو نفع دائم ومتواصل للمستفيدين منه؛ والمستقرئ للدور الذي نتج عن الأوقاف – عبر التاريخ الإسلامي – يجد أن نفعها لم يقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة الإنسانية؛ بل شملت مختلف الجوانب، سواء كانت شرعية أم اجتماعية أم اقتصادية، أم صحية؛ وصارت هذه الأوقاف دعماً للمجتمع المسلم ونفعاً لأفراده، وحامية لبرامج البر والإحسان والدعوة في المجتمع من التوقف، أو الفشل بسبب انقطاع، أو تعثر مصادر تمويلها.

---

(١) سيأتي بيان ذلك في المبحث الأول من هذه الدراسة.

إن الوقف من الأنظمة التشريعية الجليلة التي جاءت بها شريعتنا الإسلامية الخالدة؛ وأكدت نصوصها على فضل القيام به، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:١١٠]، وقوله سبحانه: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٩٢].

وفي ضوء ذلك تأتي هذه الدراسة التي تنطلق من بيان أهمية أثر المؤسسات الوقفية الخاصة في دعم البرامج الدعوية؛ لأهميتها الكبرى في التعريف بالدين الإسلامي العظيم، وبيان أحكامه، والنهوض بالأمة وتوجيه مكتسباتها ؛ لتبادل المنافع فيما بين المسلمين، وتحقيق أكبر قدر من المصالح لهم، وستعنى هذه الدراسة بتقديم أنموذج مُؤَسَّسيٍّ رائد في الوقف الخيري يتمثل في إدارة أوقاف صالح بن عبدالعزيز الراجحي وبيان إسهاماتها الدعوية في المملكة وخارجها.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تحديد مفهوم الوقف ، وبيان أهم أحكامه.
- بيان أثر دور المؤسسات الوقفية الخاصة في دعم البرامج الدعوية.
- التأكيد على الموسرين من المسلمين بتخصيص جزء من عوائد أوقافهم الخيرية لخدمة الدعوة وبرامجها المتنوعة، وبيان فضل ذلك.
- التأكيد على القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة ونُظَّارِها بشمول الدعوة وبرامجها المتنوعة لأعمال مؤسساتهم الخيرية.

- الإفادة من برامج إحدى المؤسسات الوقفية الخاصة في الدعوة إلى الله لتكون أنموذجاً يحتذى لكل أهل الخير والإحسان والعاملين معهم.

التعريف بأبرز مصطلحات الدراسة :

المؤسسات الوقفية الخاصة :

المراد بالمؤسسات الوقفية الخاصة في اصطلاح هذه الدراسة : (الهيئات أو المنظمات التي تتولى النظارة على الممتلكات والأموال التي أوقفها الواقف - أو الموقف - للإنفاق من ريعها على وجوه البر المتنوعة).

وقد أُنشِئَتْ في بلادنا المباركة المملكة العربية السعودية عدة مؤسسات وقفية خاصة [1]، ويتبادر إلى الذهن عند إطلاق كلمة (مؤسسة) على هيئة معينة أن ما يجري فيها من أعمال لا بد أن تتوافر فيه: القيادة، والتخصص ، والأهداف، والتنظيم، والتخطيط، والبرامج، والعاملون، ونحو ذلك، ولا شك بأن هذه الأمور ركائز مهمة في العمل المؤسسي الناجح.[2]

وتُعرّف المادة (٦٢) من مواد القواعد التنفيذية للائحة الجمعيات

---

(١) من هذه المؤسسات الوقفية الخاصة التي قامت على أصول وقفية وفق ما اطلع عليه الباحث: (مرتبة هجائياً)

١. مؤسسة آل الجميح الخيرية.

٢. مؤسسة حمد بن عبدالرحمن الحصيني الخيرية.

٣. مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية.

٤. مؤسسة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الحمدان الخيرية

٥. مؤسسة عبدالعزيز بن علي الشويعر الخيرية.

٦. مؤسسة محمد وعبدالله أبناء إبراهيم السبيعي الخيرية.

(٢) انظر: الجهود الدعوية للمؤسسات الخيرية في المملكة، المطوع، ص ١٢٢.

والمؤسسات الخيرية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية [1] المؤسسة الخيرية بأنها هي: (كل منشأة خيرية يكون غرضها الأساسي تقديم خدمة اجتماعية خيرية لأفراد، أو جهات معينة، دون أن تستهدف تحقيق الربح المادي، أو تحقيق أغراض أخرى تتعارض مع أحكام اللائحة، أو القواعد التنفيذية، أو التعليمات الصادرة بمقتضاها). [2]

والمؤسسات الوقفية الخاصة مؤسسات مستقلة لا تتولى الإشراف عليها أي جهة حكومية ما دامت تقوم بأعمالها وفق النظم والأصول النظامية المعتادة في الضبط والأمانة وفق ما حدده الواقف، وقد نص نظام مجلس الأوقاف الأعلى على ذلك في لائحة الأوقاف الخيرية في الفقرتين (٣، ٤) على الآتي: (تبقى الأوقاف الخيرية الخاصة تحت أيدي نظارها الشرعيين المحددين في شرط الواقف، أو الذين صدر الأمر من المحاكم الشرعية بتعيينهم، ولكن يمكن أن يكون لدوائر الأوقاف الحق في الإشراف والمراقبة العامة على الأوقاف الخيرية الخاصة وذلك من أجْل حفظ الوقف، والمساعدة في تنفيذ شرط الواقف، ووضع اليد على الوقف بعد موافقة الحاكم الشرعي، وذلك حين انقراض المستحقين فيه، ومآله الشرعي إلى جهات خيرية عامة، وعليها أن تضع في سجلاتها المعلومات اللازمة لضمان

---

(١) المؤسسات الخيرية التي تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية، وتتولى الإشراف عليها هي: (المؤسسات الخيرية الخاصة بفرد أو مجموعة من الأفراد الذين ينشؤونها لغرض خيري في مجالات الخير المختلفة، وهذه المؤسسات لا ينبغي لها جمع التبرعات ولا تستفيد من الإعانات التي تقدمها الوزارة، ويجوز لها قبول الهبات والوصايا)، انظر: لائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية والقواعد التنفيذية للائحة، ص ٢٥-٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥.

تحقيق ذلك).[1]

البرامج الدعوية:

المراد بالبرامج الدعوية في اصطلاح هذه الدراسة: هي (البرامج والأنشطة المتنوعة التي تقوم بها المؤسسات الوقفية الخاصة؛ خدمةً للدين، ونشر تعاليمه والدعوة إليه بين المسلمين وغيرهم).

وستتخصص هذه الدراسة بتناول البرامج التي تخدم الدعوة الإسلامية بشكل مباشر فقط؛ كالبرامج الدعوية والتعليمية، دون الحديث عن البرامج التي قد يكون دورها غير مباشر على الدعوة؛ كالإحسان إلى الفقراء والمحتاجين بالمأكل والمشرب والملبس، أو العناية بالمجال الصحي، أو ما يتعلق بالخدمات العامة للناس كشق الطرقات وتوفير المأوى، ونحو ذلك.

أوقاف صالح الراجحي:

هي المؤسسة الوقفية الخاصة التي أنشأها الشيخ صالح بن عبدالعزيز الراجحي[2] - رزقنا الله وإياه حسن الختام - عام ١٤١٧هـ لتتولى النظر

---

(١) انظر: نظام مجلس الأوقاف الأعلى، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ، ص ٧.

(٢) هو رجل الأعمال المعروف صالح بن عبد العزيز بن صالح الراجحي، من بني زيد، ولد عام ١٣٤٤هـ في محافظة البكيرية بالقصيم، بدأ حياته بطلب العلم على يد من العلماء في الرياض، ثم بدأ == ==بطلب الرزق والتجارة، وتخصص في الصرافة والتجارة وأسس أول مصرف في الرياض، وبنى لنفسه تجارة كبيرة استطاع معها - بعد توفيق الله له - أن يؤسس أول مصرفية إسلامية استمرت حتى تحولت إلى "مصرف الراجحي"، كما أسس عدداً من الشركات الكبرى في المملكة، عرف ببذل الصدقة، والإسهام بالأعمال الخيرية الكثيرة داخل المملكة وخارجها، واتصف بالخلق الحسن والتواضع التي يشهد بها كل من عايشه، انظر: تقرير الأعمال الخيرية لإدارة أوقاف صالح الراجحي، ص١٠.

والرعاية والإشراف على الأوقاف (العقارات والمزارع) التي أوقفها الشيخ الراجحي، وصرف عوائدها الربحية والاستثمارية والانتاجية في المصارف الخيرية التي حددها الواقف في صك الوقفية، وتزيد قيمة أصول هذه الأوقاف (التقديرية) حالياً عن عدة مليارات ريال.

ومدينة الرياض هي المقر الرئيس لهذه المؤسسة، ولها فروع أخرى في مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والقصيم.

وقد حدد الشيخ صالح الراجحي في الصك الشرعي الصادر آنذاك من المحكمة الكبرى بالرياض برقم ٢٠/١٨٢ وتاريخ ١٢/٥/ ١٤١٧هـ المصارف التي يجب أن تصرف فيها أمواله، وتشتمل على أحد عشر مصرفاً، وقد وردت في الصك وفق النص الآتي:

- **المصرف الأول:** يصرف على الأيتام والأرامل والفقراء ويقدم أهل الديانة والصلاح على غيرهم.
- **المصرف الثاني:** يصرف على المنكوبين بحوادث السيارات والهدم والحرائق وغيرها إذا احتاجوا؛ على أن يكونوا من أهل السنة والجماعة.
- **المصرف الثالث:** ييسر منها على المعسرين وتُقْضَى منها جزء من ديونهم شريطة أن لا يكونوا ممن يتلاعب بأموال المسلمين وحقوقهم ويقدم في ذلك أهل الديانة والصلاح.
- **المصرف الرابع:** نشر القرآن الكريم ودعم حلقاته ودور تحفيظ القرآن الكريم وتشجيع حافظيه ومعلميه.
- **المصرف الخامس:** الدعوة إلى الله عز وجل إذا تحققت سلامة الهدف وصحة العقيدة.

- **المصرف السادس:** الإنفاق على طلبة العلوم الشرعية وعلى أهل العلم القائمين بنشر العلم والدعوة إليه ويقدم في ذلك المعوز على غيره.
- **المصرف السابع:** بناء المساجد وفرشها وتكييفها وصيانتها وتوفير الخدمات المتعلقة بها.
- **المصرف الثامن:** طباعة الكتب الإسلامية النافعة ونحوها من كتب العقيدة السلفية أو كتب الفقه والحديث وغيرها مما يخدم العقيدة السلفية والمنهج الإسلامي الصحيح وتوزيعها، وشراء شيء مما طبع منها وتوزيعه، ويستشار في النافع منها أهل العلم الموثوقين، ولا يطبع أو يشترى إلا ما كان نافعاً للمسلمين في دنياهم وأخراهم.
- **المصرف التاسع:** إنشاء ودعم المدارس الإسلامية وتعليم أولاد المسلمين ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا.
- **المصرف العاشر:** توزيع المياه والتمور والأطعمة وتفطير الصائمين وخصوصاً في شهر رمضان ومواسم الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من بلاد المسلمين.
- **المصرف الحادي عشر:** يُضَحَّي عن الواقف وعن والديه ووالديهم وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته وإخوانه وأخواته.

ويتضح للمطَّلع على هذه المصارف حرص الواقف - تقبل الله منا ومنه - على تنوعها لتشمل مختلف وجوه الخير والبرِّ والإحسان للمستفيدين منها، سواء الاجتماعية أو الدعوية أو التنموية، وقد بلغ مجموع الأموال التي أُنْفِقَتْ من خلال ريع هذه الأوقاف وعوائدها خلال الأعوام (١٤١٨-

١٤٢٧هـ) أكثر من (٢٣٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون ريال)[١]، وستناول هذه الدراسة ما يتعلق منها بالبرامج الدعوية.

وقد رأى الباحث اختيار هذه المؤسسة الخيرية ؛ لتكون أنموذجاً للمؤسسات الوقفية الخاصة ، وبيان أدوارها في دعم البرامج الدعوية لعدة مبررات:

١- لكونها أكبر هذه المؤسسات الوقفية أصولاً ثابتة (عينية ومالية واستثمارية)، بعد سؤاله لعدة مؤسسات وقفية خاصة عن الحجم التقريبي لأصولها.

٢- ولكونها تعتمد على موارد هذه الأوقاف فقط ، وتنفق على أعمالها الخيرية من إيراداتها الخاصة، بعكس بعض المؤسسات الخيرية الخاصة فيغلب عليها الاعتماد على التمويل الذاتي لأصحابها من صدقاتهم، أو زكواتهم الخاصة.

٣- كما أنها من أكثر المؤسسات الوقفية الخاصة إنفاقاً على البرامج الدعوية المتنوعة؛ حيث تبلغ نسبة إنفاقها على هذه الأعمال أكثر من ٥٠٪ من إجمالي مصروفاتها منذ بداية نشاطاتها الخيرية والدعوية عام ١٤١٨هـ وحتى عام ١٤٢٧هـ، كما سيأتي بيانه.

الدراسات السابقة:

قدمت في السنوات الأخيرة دراسات عديدة ومتنوعة عن الوقف

---

(١) انظر: تقرير إدارة الأعمال الخيرية، ص ٨، كما أفاد الباحث ببعض المعلومات من لقائه بالأستاذ عبدالسلام بن صالح الراجحي (الأمين العام لإدارة أوقاف صالح الراجحي) يوم الثلاثاء١٤٢٧/١١/٢١هـ، وللاستزادة حول هذه المؤسسة انظر موقعها في شبكة الإنترنت: www.awqafalrajhi.com.

وأحكامه ونشأته وتاريخه ونماذج لأوقاف المسلمين على مَرِّ التاريخ الإسلامي؛ مما يصعب حصره أو تناوله في دراسة متخصصة موجزة كهذه الدراسة.

ولعل من المحاسن الجميلة أنه برز في الآونة الأخيرة تبني بعض الجهات الرسمية والعلمية في عدد من الدول الإسلامية عقد مؤتمرات وندوات عن الوقف رغبة في إحيائه بين المسلمين بعد أن غفلوا عنه - إلا من رحم الله -؛ ليكون رافداً ومورداً معيناً في نشر الدين ونفع أتباعه على مر الأيام؛ لذا فقد اتجهت الأنظار مرة أخرى إلى الوقف، وتنبه الناس إلى أهميته[1]، ولعلنا نستعرض من الدراسات العلمية السابقة ما له علاقة مباشرة بهذه الدراسة، ومن ذلك:

---

(١) من هذه المؤتمرات والندوات (حسب زمن انعقادها):

١. ندوة نحو إحياء دور الوقف في الدول الإسلامية -بورسعيد- ، مصر، ١٤١٨هـ.
٢. ندوة مكانة الوقف وأثرة في الدعوة والتنمية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، مكة المكرمة في شوال ١٤٢٠هـ.
٣. ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته، وزارة الشؤون الإسـ مية والأوقاف، والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٢١هـ.
٤. مؤتمر الأوقاف الأول بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، في ذي القعدة ١٤٢٢هـ.
٥. المؤتمر الدولي في الجامعة الأردنية (الأوقاف في بلاد الشام منذ الفتح العربي الإسلامي إلى نهاية القرن العشرين)، عمان، في شعبان ١٤٢٧هـ.
٦. المؤتمر الثاني للأوقاف تحت شعار (الصّيغ التنموية والرؤى المستقبلية)، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، في ذي القعدة ١٤٢٧هـ .
٧. الندوة الدولية: توظيف مصادر التمويل الإسلامية في اقتصاديات التعليم - الأوقاف نموذجا، تنظيم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو)، الكويت، في ذي القعدة ١٤٢٦هـ.
٨. ندوة " الوقف والقضاء "، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، الرياض، في صفر ١٤٢٦هـ.

أهمية الوقف في دعم المؤسسات الدعوية[1]:

جاء ت هذه الدراسة في اثنتين وأربعين صفحة، وتناولت الدراسة: تعريف الوقف، وأهم أحكامه، ومشروعيته ومقاصده وثمراته الإيمانية، ثم تحدثت الدراسة عن أهمية الوقف الإسلامي في دعم المؤسسات الدعوية ووسائلها.

دور الوقف في دعم المؤسسات الدعوية ووسائلها[2]:

وبلغت صفحات هذه الدراسة إحدى وأربعين صفحة، واشتملت على: التعريف بالوقف، وأنواعه، ومشروعيته، وحكمة مشروعيته، وشروط صحة الوقف، ومصارفه، ثم تناولت الدراسة التعريف بالدعوة، والحاجة إليها، والدعوة عند الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومضمون الدعوة، والتعريف بوسائل الدعوة، والتعريف بالمؤسسات الدعوية.

الوقف وأثره في نشر الدعوة، وجهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال: [3]

وقد بلغت صفحات هذه الدراسة ثلاثاً وخمسين صفحة، واشتملت على: تعريف الوقف ومشروعيته وحكمه وأنواعه وأركانه وشروطه ومقاصده، ثم تحدثت عن دور الوقف في نشر الدعوة مع إبراز جهود المملكة العربية السعودية.

---

(١) دراسة علمية قدمها د.شرف بن علي الشريف في ندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"، مكة المكرمة، شوال ١٤٢٠ هـ، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٢) دراسة علمية قدمها أ.د.حمد بن ناصر العمار في ندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"، مكة المكرمة، شوال ١٤٢٠ هـ، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٣) قدم أ.د.عبد الرحيم بن محمد المغذوي هذه الدراسة إلى مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى (مقارنة بين الماضي والحاضر): [1]

جاءت هذه الدراسة في ثلاث وعشرين صفحة، واشتملت على: التعريف بالوقف، والتعريف بالدعوة، والعلاقة بينهما في الماضي والحاضر، ثم ذكرت صوراً للوقف على الدعوة في الماضي والحاضر.

أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى[2]:

بلغت صفحات هذه الدراسة خمسمائة صفحة، وتناولت: مشروعية الوقف ، وحكمه ، وأركانه، وأثره على الدعاة، وأهميته للدعوة، وأثره على المدعو، وأثره على وسائل الدعوة وأساليبها، ومعوقات الوقف على الدعوة وسبل العلاج.

علاقة الدراسات السابقة بالدراسة المقدمة:

إنّ الدراسات القيمة السابقة – حتى وإن كانت عن الوقف والدعوة في مجملها – تختلف عن الدراسة المقدمة؛ لكونها تتخصص ببيان أثر المؤسسات الوقفية الخاصة في دعم البرامج الدعوية، مع ذكر أُنموذج من هذه المؤسسات، وبيان لبرامجها الدعوية المتنوعة.

---

(١) قام بهذه الدراسة د.خالد بن عبد الرحمن القريشي، في مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

(٢) قام بهذه الدراسة خالد بن هدوب المهيدب، وأصلها رسالة ماجستير، قسم الدعوة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ.

إجراءات الدراسة وتقسيماتها:

مشكلة الدراسة:

اهتم عدد من الموسرين في بلادنا المباركة – في السنوات الأخيرة الماضية – بتخصيص جزء من ممتلكاتهم وثرواتهم لتكون أوقافاً تصرف عوائدها على البرامج الخيرية والدعوية والاجتماعية والصحية في المجتمعات المسلمة ؛ تجديداً لما كان عليه المسلمون الأقدمون في الاهتمام بالوقف كما سيأتي بيانه في المبحث الثاني..

وقد أقام هؤلاء الموسرون على أوقافهم رجالاً أكْفِياءً يتولون مهمة النظارة عليها والتحقق من وصولها إلى مستحقيها وفق وصاياهم المحددة لذلك، ونتيجة للرغبة في ضبط هذه الأعمال الوقفية ومصارفها فقد اجتهد بعض نُظَّار هذه الأوقاف إلى تحويل عملهم من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي؛ فأقاموا مؤسسات وقفية خاصة تُعنى بالنظر في شؤون هذه الأوقاف وتنميتها والمحافظة عليها وضبط آليات صرف عوائدها على المستحقين، وتنظيم أعمالها وفق نظم ولوائح إدارية ومالية علمية دقيقة.

وتُعْنَى هذه الدراسة بالتعريف بالبرامج الدعوية التي يمكن لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة دعمها والإنفاق عليها ؛ خدمة للدين والدعوة إليه في أوساط المسلمين وغيرهم، وستخصص هذه الدراسة لتتناول دور أوقاف صالح الراجحي كأنموذج حي لهذه المؤسسات الوقفية الخاصة ودورها في دعم البرامج الدعوية.

تساؤلات الدراسة:

على ضوء المشكلة البحثية المذكورة سابقاً يمكن تحديد التساؤلات التي تسعى الدراسة إلى الإجابة عنها وفق الآتي:

- ما مفهوم الوقف؟ وما أبرز أحكامه ؟
- ما أثر الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي؟
- ما أبرز جهود أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي في دعم البرامج الدعوية؟

منهج الدراسة :

تعد هذه الدراسة من الدراسات الكيفية التي تهدف الوصول إلى نتائج دقيقة حول موضوعها ، وتعتمد المنهج الوثائقي: الذي يتضمن بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق مع بعضها بصفة منطقية ، والاعتماد عليها في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة ، أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة ، أو عن الدوافع والصفات والأفكار الإنسانية[1] ، وقد بذل الباحث وسعه من خلال استخدام هذا النوع من أنواع البحوث الكيفية لتعريف مفهوم الوقف وبيان أبرز أحكامه ، ثم بيان دور الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي، ثم استعراضٍ لأبرز مناشط إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي في الدعوة كنموذج للمؤسسات الوقفية الخاصة في المملكة العربية السعودية في دعم البرامج الدعوية ، واستخدم الباحث عدداً من المصادر والمراجع الأولية والثانوية لتحقيق أهداف الدراسة.

---

(١) انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، ص٢٣٥-٢٣٦، المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.العساف، ص ٢٠٣.

تقسيمات الدراسة:

- المقدمة: وتحتوي على: (التمهيد، أهداف الدراسة، مصطلحاتها، إجراءات الدراسة، وتقسيماتها).
- المبحث الأول: مفهوم الوقف وأبرز أحكامه.
- المبحث الثاني: أثر الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي.
- المبحث الثالث: أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي كنموذج للمؤسسات الوقفية الخاصة في المملكة العربية السعودية.
- الخاتمة، وفيها أبرز نتائج الدراسة، وتوصياتها.

المبحث الأول

مفهوم الوقف وأبرز أحكامه

أولاً: مفهوم الوقف:

التعريف اللغوي:

الوقف في اللغة: الحبس والمنع، يقال: وقفت الدار وقفاً إذا حبستها في سبيل الله، موقوف، أي: محبوس، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات:٢٤]، أي: احبسوهم ، ويقال: أوقفت الرجل عن الشيء وقفاً، أي: منعته عنه، والجمع أوقاف.(١)

التعريف الاصطلاحي:

أغلب تعريفات الفقهاء للوقف تدور حول: تحبيس أصل العين ، ومنع التصرف فيها، وتسبيل المنفعة والثمرة، ومن هذه التعريفات:

الوقف، هو: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة. (٢)

الوقف، هو: حبس العين على مالك الواقف، والتصرف بالمنفعة. (٣)

الوقف، هو: حبس الأصل وتسبيل الثمرة، أي: حبس المال، وصرف منافعه في سبيل الله. (٤)

---

(١) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص ٧٣٣، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة المقري، ٦٦٩/٢، مادة وقف.

(٢) الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ٤٤٨/٢.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص ٣٢٨.

(٤) فقه السنة، سيد سابق، ٥١٥/٣.

فالمفهوم العام للوقف يفيد معنى: حبس المال الموقوف عن الامتلاك والتداول، في سبيل المقاصد والمصارف التي حددها الواقف - أو الواقف - الشرعية أو العلمية أو الخيرية؛ لكون هذه المصالح تحتاج إلى أماكن تُهَيّأ لها، ونفقة دائمة، وهذا يستدعي وجود مورد مالي مستمر، يدر عليها المال اللازم لحاجتها، ومن ثم يتولى القائمون على إدارة هذا المال إنفاقه في تلك المصالح.[1]

وكان الوقف في أول عهده يسمى (صدقة) و (حبساً) و (حبيساً)، ثم استعمل اسم (الوقف) وانتشر بهذا الاسم إلى يومنا الحاضر، ولا تزال الأوقاف تسمى إلى اليوم في بلاد المغرب (أحباساً).[2]

ثانياً: أبرز أحكام الوقف.

اجتهد الفقهاء – قديماً وحديثاً – في بيان أحكام الوقف وقواعده وشروطه وأنواعه وتناولوا ذلك في كتبهم بالتفصيل والبيان، ولعلنا نذكر فيما يأتي أبرز أحكامه وفق النقاط الآتية:

مشروعية الوقف:

الأصل في مشروعية الوقف في الإسلام الكتاب الكريم والسنة المطهرة والإجماع، ومن النصوص الدالة على مشروعيته والحث عليه:

أ) من القرآن الكريم :

جاءت نصوص عديدة في القرآن الكريم تحث على فعل الخير والإحسان إلى الناس، وبذل الصدقة والنفع لهم - وهو ما يرمي إليه الوقف -،

---

(١) انظر: أحكام الأوقاف، الزرقا، ص ١٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٠.

ومن تلك الآيات: قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله سبحانه: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران:٩٢]، ولما نزلت هذه الآية الكريمة جاء أبو طلحة – رضي الله عنه – إلى النبي ﷺ وقال له: إن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت، فقال عليه الصلاة والسلام: (بخ بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت فيها، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين)، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. (١)

وقد استدل الفقهاء على مشروعية الوقف بالنصوص العامة الداعية إلى الإنفاق والتطوع ورعاية حقوق الفقراء، والصرف على المحرومين، وبذل الأموال في العناية بمصالح المجتمع الإسلامي. (٢)

ب) من السنة النبوية :

ورد العديد من النصوص الكريمة القولية والفعلية التي يتبين منها مشروعية الوقف، ومن تلك النصوص : حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – الذي يقول فيه: أصاب عمر بخيبر أرضاً، فأتى النبي ﷺ ، فقال: أصبت أرضاً لم أصب ما لاً قط أنفس منه، فما تأمرني به؟، قال ﷺ: (إن شئت

---

(١) انظر: قصة وقف هذه الأرض في صحيح الإمام البخاري، كتاب الوصايا، باب إذا أوقف أرضاً ولم يبين الحدود، رقم ٢٥٦٢، وصحيح الإمام مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على الأقربين..، رقم ١٦٦٤.

(٢) أثر الوقف في تنمية المجتمع، د.نعمت مشهور، ص ١٧.

حبست أصلها وتصدقت بها)، فتصدق بها عمر: أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء، والقربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويطعم صديقاً غير متمول فيه[1]).[2]

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله (ت ٨٥٢هـ): (وحديث عمر هذا أصل في مشروعية الوقف).[3]

ومما يدل على مشروعية الوقف حديث الرسول ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)[4]، يقول الحافظ النووي (ت ٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (الصدقة الجارية هي الوقف، .. وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه).[5]

ج) من الإجماع:

وقد تتابع الصحابة – رضوان الله عليهم – بالحرص على الوقف، يقول جابر رضي الله عنه: (لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذا مقدرة إلا وقف)[6]، وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ) رحمه الله: (بلغني أن ثمانين

---

(١) غير متمول: غير متخذ منها مالاً، أي ملكاً، والمراد أنه لا يمتلك شيئاً من رقابها، انظر: فتح الباري، ابن حجر، ٢٩١/٥.

(٢) رواه البخاري، الصحيح، كتاب الوصايا، باب الوقف كيف يكتب؟، رقم ٢٧٧٢، ورواه مسلم بلفظ قريب، كتاب الوصية، باب الوقف، رقم ٤٢٠٠.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢٩٢/٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ٤١٩٩.

(٥) شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج)، النووي، ٨٨/١١.

(٦) انظر: أحكام الأوقاف، أبوبكر الشيباني، ص١٥.

صحابياً من الأنصار تصدقوا بصدقات محرمات).[1]

وهذا إجماع منهم على مشروعية الوقف وفضله، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقف، واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان إجماعاً.[2]

حكم الوقف:

يرى جمهور أهل العلم أن حكمه جائز، ومندوب إليه؛ لأنه أحسن ما تُقرِّب به إلى الله تعالى[3]، يقول ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ) رحمه الله: (وأكثر أهل العلم من السلف على القول بصحة الوقف)[4]، وقيل حكمه: مستحب[5]، وقال الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) رحمه الله: (اعلم أن ثبوت الوقف في هذه الشريعة، وثبوت كونه قُربة أظهر من شمس النهار).[6]

أركان الوقف:

وللوقف أركان يقوم عليها كسائر الالتزامات التي يبرمها الإنسان، وقد أكَّدَ الفقهاء على هذه الأركان عند حديثهم عن الوقف، والأركان التي ذكروها:

١- الواقف – أو الواقف –، وهو المتبرع بماله، وقال الفقهاء بصحة وقفه إذا توفرت فيه الشروط الآتية: العقل، البلوغ، الأهلية، الاختيار وعدم الإكراه، الحرية.

---

(١) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، الشربيني، ٣٧٦/٢.

(٢) انظر: أحكام الأوقاف، أبوبكر الشيباني، ص ١٥-١٧.

(٣) انظر: الفواكه الدواني، النفراوي، ٢٢٤/٢.

(٤) المغني، ابن قدامة، ١٨٥/٨.

(٥) انظر: منار السبيل في شرح الدليل، ابن ضويان، ٣/٢.

(٦) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، ٣١٣/٣.

٢- الموقوف، وهو محل الوقف، واشترط الفقهاء عدة شروط حتى يكون صالحاً للعقد، وهي: أن يكون مملوكاً للواقف، أن يكون مالاً متقوماً يمكن الانتفاع به، أن يكون قابلاً للوقف بطبيعته، أن يكون معلوماً علماً تاماً.

٣- الموقوف عليه، وهو المستحق للانتفاع بالعين الموقوفة وفق وصية الواقف.

٤- الصيغة، وقد تكون لفظاً، أو فعلاً من الواقف عند تحديده للوقف، موضحاً فيها رغبته المنجزة والجازمة والمؤبدة للوقف، وكيفية الانتفاع منه.[1]

(١) انظر: أثر الوقف في الدعوة، المهيدب، ص٣٣، أحكام الوقف، الزرقا، ص٢٨، أحكام الوقف، الكبيسي، ٣٢٩/١، محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، ص ٩٨.

المبحث الثاني

أثر الوقف وأهميته في الإنفاق على البرامج الدعوية في التاريخ الإسلامي

جاء الأمر الإلهي الكريم صريحاً لكل مسلم ومسلمة بالقيام بالدعوة إلى الدين كل وفق قدرته وطاقته، يقول المولى جلت قدرته: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف : ١٠٨]، وقال جل شأنه: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقد رتب الله – عز وجل – لمن قام بذلك أجوراً عظيمة، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣]، وبينّ فضل ذلك النبي ﷺ بقوله: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) [(١)]، وقال النبي ﷺ موضحاً عظم المال وفضله في نفع الدين وأثره في نشره: (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله فقد غزا) [(٢)]، قال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) رحمه الله: (معناه أنه مثله في الأجر، وإن لم يغز حقيقة) [(٣)]، وقال عليه الصلاة

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم ٤٨٧٦.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، رقم٢٨٤٣.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٧٥/٤.

والسلام: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً...)[1]، يقول الحافظ النووي (ت ٦٧٦هـ) رحمه الله في شرحه للحديث النبوي الأخير: (فإن من دعا إلى هدى كان له مثل أجور تابعيه، أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه، سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه، أم كان مسبوقًا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم، أو عبادة، أو أدب، أو غير ذلك..)[2]، فالنصوص الكريمة السابقة، والأقوال الموضحة لها تُبيِّنُ عظم الجزاء لمن قام بالدعوة إلى الله وبلّغها للناس، سواء قام بذلك بنفسه مباشرة، أو يسَّر القيام بهذه المهمة على أي وجه كان.

وإن من أبرز من يحافظ على الهوية الإسلامية حتى تتابع مسيرتها في هذه الحياة - بعد توفيق الله تعالى - الدعاة إلى الله؛ لكونهم يسهمون في نشر التعاليم الإسلامية بين المسلمين وغيرهم، وقد كان للوقف دوره الكبير في المحافظة على الإسلام، وتوفير السبل المناسبة للدعوة إليه؛ فقد ارتبطت الأوقاف على مر العصور المسلمة بإنشاء المساجد وتعميرها، وأدى ازدهار تلك الأوقاف إلى تقوية الشعور الديني، واستمرار تدفق المشاعر الدينية، مما جعل كثيراً من المسلمين في تلك الأزمنة يخصصون أوقافهم وأحباسهم على المساجد والإنفاق عليها؛ لكون المسجد يمثل للمسلمين - قديماً وحديثاً - مصدر إشعاع رئيس للقيم والمبادئ الإسلامية، وهو السبيل إلى تحقيق التنمية الدينية والاجتماعية لجميع أفراد المجتمع المسلم،

(١) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، رقم ٢٣٤٨.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج)، ٣٤٦/١٥.

وتأكيد هويتهم الإسلامية والمحافظة عليها، وهو المدرسة التي يتم من خلالها تنمية الحياة الثقافية والتعليمية وإعداد الدعاة والمعلمين، وهو ملتقى المسلمين في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية[1]؛ لذلك فهو يمثل لهم رمزاً مُهِمَّاً لكل مسلم في جوانب شتى، بالإضافة إلى أنه قد جاءت النصوص الكريمة الموضحة لفضل بنيانه وتعاهده، ومنها قول النبي ﷺ: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة)[2]، وبيَّن عليه الصلاة والسلام أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله: (ورجل معلق قلبه في المساجد..).[3]

وكان المسجد أهم الأوقاف التي اعتني بها المسلمون، بل هو أول وقف في الإسلام، كما هو معلوم في قصة بناء مسجد قباء، أول مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة[4]، ولعل من أبرز شواهد اهتمام المسلمين بذلك الجانب في الوقف، الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من المساجد الكبرى في العالم الإسلامي؛ حيث كان المسلمون الأوائل يجعلون في مقدمة مصارف أوقافهم الإنفاق على المساجد والعناية بها، وكانت المساجد - كما سبق ذكره - بالإضافة إلى أنها أماكن لأداء الشعائر الدينية، فقد كانت محاضن تربوية وتعليمية لأبناء الأمة، ولقد بلغ

---

(١) انظر: أثر الوقف في تنمية المجتمع، د.مشهور، ص ٧٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب من بنى مسجداً ،رقم ٤٥٠، ورواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل المساجد والحث على عليها، رقم ١١٨٩.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري، كتاب الآذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم ٦٦٠، ورواه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم ٢٣٧٧.

(٤) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١٢٤/٢، صحيح السيرة النبوية، العلي، ص١٦٨.

من كثرة الأوقاف في عهد المماليك مثلاً أن جعل لها ثلاثة دواوين: ديوان لأوقاف المساجد، وديوان لأحباس الحرمين الشريفين وجهات البر المختلفة، وديوان للأوقاف الأهلية.[1]

ثم تأتي بعد ذلك المدارس في المرتبة الثانية من حيث الكثرة العددية، والأهمية النوعية في الأوقاف في حياة المسلمين، فلقد بلغت الآلاف منها على امتداد العالم الإسلامي، وكان لها أثرها الواضح في نشر العلم، ورفع مستوى المعرفة بين المسلمين، وقد أدى توافد طلاب العلم على بعض المدارس المشهورة من جميع البلدان إلى إنشاء الخانات والأربطة والدور الوقفية؛ لإيواء الطلاب الغرباء وتهيئة الجو المناسب لهم، بالإضافة إلى الصرف على من يحتاج منهم ليتفرغوا لطلب العلم وتحصيله[2]، فكانت هذه الأوقاف تُؤمن صرف مرتبات العاملين فيها، وتوفير المساكن لطلبة العلم، وتقديم الطعام لهم، ومعالجتهم طبياً، وشملت الأوقاف أيضاً متابعة المدارس وصيانتها وتجهيزها، ويذكر أن أبو يوسف المريني (ت ٦٨٥هـ) رحمه الله قد بنى عدة مدارس، ورتب لها الأوقاف، وأجرى المرتبات للأساتذة والطلبة في كل شهر[3]، ومن خلال استعراض التاريخ الإسلامي نجد أن من أبرز المدارس الوقفية:

- المدرسة الصالحيّة بمصر أنشأها عام ٦٤١هـ الملك نجم الدين أيوب (ت ٦٤٨هـ) رحمه الله.
- المدرسة الظاهرية بالقاهرة، أنشأها عام ٦٢٦هـ الظاهر بيبرس (ت

(١) انظر: محاضرات في الوقف، أبو زهرة، ص ١٤.

(٢) انظر: الآثار الاجتماعية للأوقاف، د.السدحان، ص٢٠.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢.

٦٧٦هـ) رحمه الله.

- المدرسة المنصورية بالقاهرة، أنشأها عام ٦٨٣هـ المنصور قلاوون (ت ٦٨٩هـ) رحمه الله.
- المدرسة الغياثية بمكة، بناها عام ٨١٣هـ المنصور غياث الدين (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله.
- المدارس الأربع بمكة، بناها عام ٩٢٧هـ السلطان سليمان القانوني (ت ٩٧٤هـ)رحمه الله.

وقد أشار ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ) رحمه الله في رحلاته بأن مصر والعراق وسوريا كانت عامرة بالمعاهد العلمية الموقوفة[١]، كما تحدث أبو القاسم البلخي (ت ٣٨٢هـ) رحمه الله عن مدرسة في بلاد ما وراء النهر وذكر أنها كانت تتسع لثلاثة آلاف طالب ينفق عليهم، وعلى الدراسة من أموال موقوفة لهذا الغرض.[٢]

وجميع ما جاء حول هذه المدارس يدل دلالة واضحة على اهتمام الواقفين بالتعليم والعلماء والمتعلمين، وذلك من خلال توفير ما يلزم الأطراف الثلاثة لتحقيق أقصى قدر من النجاح والوصول إلى درجة عالية من العلم النافع، فالواقفون يوفرون المال والمكان والطعام والملبس والحبر والورق من خلال أوقافهم، والمطلوب من الأستاذ والطالب أن يتفرغا للعلم والعمل به في المجتمع.[٣]

---

(١) انظر: أثر الوقف على الدعوة إلى الله، المهيدب، ص١٣٢، دور الوقف في العملية التعليمية، د.المعيلي، ص١٧-١٨

(٢) انظر: الوقف في الشريعة الإسلامية، د.الصالح، ص ٢٦.

(٣) انظر: الوقف والمجتمع ، د.الساعاتي، ص ٣٦.

كما اهتم الواقفون السابقون بتوفير الكتب والمكتبات العامة والخاصة؛ لكونها تعد مصدراً من مصادر الدعوة، ورافداً مهماً لنشرها بين الناس، مما أسهم في توفير الكتب ، وتيسير وصولها للعلماء ، وطلبة العلم، وقد وانتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الهجري الرابع، وأصبحت تلك المكتبات قبلة لطلاب العلم.[1]

وبعد مضي عدة قرون من عمر الأمة الإسلامية، طرأت بعض التغيرات على المجتمعات المسلمة، فجوّز الفقهاء أخذ الأجور على القيام بالواجبات والشعائر الدينية العامة، من تعليم القرآن والعلم والقيام بالإمامة والخطابة والآذان؛ لضرورة إحيائها خوفاً من تقاصر الهمم عنها؛ لكون طلب العلم وتعليمه لم يكن عملاً مستقلاً في العصور السابقة، وإنما كان العلماء من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم – ومن جاء بعدهم من أئمة السلف الصالح – رحمهم الله –يَجْمعون بين التعليم والاكتساب بأنفسهم، ونتيجة لذلك فقد ظهر اتجاه جديد في الأموال الموقوفة ومصارفها من خلال الصرف على القائمين بالتعليم والإمامة والخطابة والوعظ في المجتمعات المسلمة.[2]

ولقد كان الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية ، والفكرية على مدار القرون؛ حيث أسهم الواقفون في مساندة المسيرة التعليمية، وذلك عن طريق تشييد المدارس والإنفاق عليها، والإفادة من المساجد في التعليم، والعناية بتوفير مصادر المعلومات عن طريق وقف الكتب على المدارس وجهات

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢) انظر: الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، د.الضحيان، ص٢٨.

التعليم المختلفة.[1]

واستمرت هذه الميادين والوسائل الدعوية الرئيسة:

- المساجد.
- المدارس والكتاتيب.
- المكتبات والكتب.
- القائمون بالدعوة والتعليم والخطابة والإمامة.

استمرت تؤدي دورها لفترات زمنية طويلة في حياة المسلمين، واستفاد منها خلق كثير على مدى أجيال متعاقبة، وقد تحقق لها ذلك بفضل الله تعالى، ثم بفضل نظام الوقف الذي ازدهر في تصاعد مستمر مع ازدهار الحضارة الإسلامية، وكان يخدم مجالاتها الواسعة النافعة للناس، ولم يكن قاصراً على وسائل تقليدية محددة، بل كان يتعايش مع حاضره، وواقعه الاجتماعي، ويدور مع مصالح الإسلام والمسلمين، مما مكن الدعاة إلى الله - بعد فضل الله تعالى - من مواصلة أداء دورهم في المجتمعات المسلمة، وإيصال الدعوة ونشرها بين الناس من خلال وسائل متنوعة.

وفي هذا إشارة مهمة ذات فائدة كبرى لكل القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة بأن يسعوا من خلال مؤسساتهم إلى تحقيق أفضل السبل المعينة لوصول الدعوة ببرامجها المختلفة إلى الناس كافة، وعليهم أن يسيروا في نشاطات مؤسساتهم لتحقيق هذه الغاية الكبرى وفق أهداف ووسائل وأساليب دعوية مشروعة أو مباحة، وأن يجتهدوا في سبيل ذلك بكل وسيلة (قديمة أو جديدة) لا تتعارض مع أحكام الإسلام وأوامره، إذ

(١) انظر: أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، د.الخطراوي، ص٤٧.

إن مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) مبدأ مرفوض عندهم؛ لكونهم يسلكون من الوسائل والأساليب ما أباحه الشرع وأجازه، لا ما حرمه ونهى عنه، وديننا الحنيف لا يقف حجر عثرة أمام الإفادة مما هو مباح من الوسائل المعاصرة التي توصل صورة الإسلام الصحيحة للناس، أو تكشف عوار الشبهات المضللة عنه. (١)

(١) للاستزادة حول ضوابط الوسائل انظر: الغاية لاتبرر الوسيلة، الخياط، ص ١٣، المدخل إلى علم الدعوة، د.البيانوني، ص٢٨٥-٣٠٠، وسائل الدعوة، د.المغذوي، ص١٧-٢١.

المبحث الثالث

أوقاف صالح بن عبدالعزيز الراجحي كنموذج للمؤسسات الوقفية المعاصرة في المملكة العربية السعودية [1]

تعد أوقاف الشيخ صالح الراجحي – بحمد الله – أنموذجاً مشرفاً لتلك الأوقاف التي شاعت في أمتنا ، واستمراراً لمنهجها القويم ، وانسياقاً مع أهدافها السامية.

والمطلع على البرامج ، والأعمال الخيرية التي قامت بها هذه المؤسسة المباركة خلال عمرها الزمني القصير ليحمد الله تعالى على أن أوجد من أثرياء المسلمين من يوقف هذه الأوقاف الضخمة التي يعود ريعها للصرف على المحتاجين والمعوزين، وإلى خدمة الدين ونشر أحكامه في المجتمعات المسلمة، وسنقتصر في هذه الدراسة على تناول البرامج الدعوية التي قامت بها إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي منذ إنشائها عام ١٤١٧هـ [2] وحتى نهاية عام ١٤٢٦هـ وفق المصارف التي حددها الواقف - أجزل الله له الثواب - ، وذلك وفق الآتي:

---

(١) استقى الباحث معلومات هذا المبحث من تقرير الأعمال الخيرية لإدارة أوقاف صالح الراجحي (عشر سنوات من العطاء)، ومن المقابلة مع أمين عام إدارة أوقاف صالح الراجحي الأستاذ عبدالسلام الراجحي يوم الثلاثاء ١٤٢٧/١١/٢١هـ، ومن المقابلة مع الأستاذ تركي الوهبي مسؤول الأعمال الخيرية بإدارة الأوقاف يوم الأربعاء ١٤٢٧/١١/٨هـ، الذي أيضاً زوده ببعض المطبوعات والتقارير المتنوعة للأعمال المنفذة خلال السنوات الماضية، بالإضافة إلى موقع إدارة الأوقاف في شبكة الإنترنت: www.awqafalrajhi.com.

(٢) بدأت إدارة الأوقاف أعمالها الخيرية المتنوعة فعلياً عام ١٤١٨هـ.

مصرف: نشر القرآن الكريم ودعم حلقاته.

يقدم هذا المصرف الدعم لنشر القرآن الكريم بصور النشر والرعاية المختلفة، وقد خصصت إدارة أوقاف صالح الراجحي مبالغ مقدرة بميزانياتها السنوية في دعم هذا المصرف، كما قامت بتنفيذ العديد من المشروعات التي تندرج تحته، ويأتي هذا الاهتمام منها عملاً بقول الرسول ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).[1]

وتقوم إدارة الأوقاف بهذا المصرف طلباً في تحقيق الأهداف الآتية:

١- مساندة الجهود التي تقوم بها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تعليم كتاب الله عز وجل و نشره.

٢- مساعدة الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بدعم بنود رواتب المدرسين والمدرسات.

٣- التأكيد على دور إدارة الأوقاف في خدمة كتاب الله عز وجل.

وتنفذ إدارة الأوقاف هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

١. التنسيق مع الأمانة العامة للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بشأن دعم رواتب المدرسين والمدرسات بالجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

٢. تقديم الدعم المادي لجمعيات تحفيظ القرآن الكريم.

٣. إنشاء المجمعات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم.

٤. إقامة الدورات التدريبية لحفظة كتاب الله – عز وجل – ومعلميه.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم ٥٠٢٧.

٥. تبني مسابقات تحفيظ القرآن الكريم بالجمعيات الخيرية للتحفيظ.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طريقتين رئيستين:

أولهما: برامج دعم الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم من خلال تخصيص مبالغ مقطوعة لكل جمعية لتسيير أعمال الجمعية دون تحديد لأوجه صرف هذا الدعم.

الأخرى: برامج دعم رواتب المدرسين والمدرسات بالجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (٤٥,٩٤١,٩٠٢) فقط خمسة وأربعين مليوناً وتسعمائة وواحد وأربعين ألفاً وتسعمائة وريالين.

مصرف: الدعوة إلى الله عز وجل:

يعنى هذا المصرف الدعم بالعمل الدعوي في مختلف وسائله وطرقه، وقد أولت إدارة الأوقاف اهتماماً بهذا المصرف؛ لفضله وأهميته وآثاره التي لا تخفى على كل مسلم.

وتقوم إدارة الأوقاف بهذا المصرف رغبة في تحقيق الأهداف الآتية:

١- المساهمة في نشر العلم الشرعي من خلال طباعة الكتب الإسلامية ، والرسائل التوجيهية النافعة الموجهة لمختلف فئات المجتمع.

٢- المساهمة في دعم المؤسسات العاملة في المجال الدعوي كالرئاسة العامة لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمكاتب التعاونية للدعوة وتوعية الجاليات وغيرها.

٣- المساهمة في دعوة غير المسلمين للدخول في الدين الإسلامي الحنيف.

٤- توعية المقيمين من المسلمين غير الناطقين باللغة العربية، وتبصيرهم بأمور دينهم، وحثهم على التمسك بالعقيدة الصحيحة.

٥- التأكيد على دور إدارة الأوقاف في دعم ونشر الدعوة إلى الله عز وجل.

وتقوم إدارة الأوقاف بتنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- دعم الخطط التوعوية، والتوجيهية الموجهة لأفراد المجتمع من قبل الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- دعم برامج المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات.
- التنسيق مع المؤسسات العاملة في المجال الدعوي لتنفيذ البرامج والأنشطة الدعوية المختلفة.
- دعم الدورات والبرامج التدريبية للعاملين في حقل الدعوة إلى الله.
- طباعة الكتب والكتيبات والرسائل والمطويات الدعوية بمختلف اللغات.
- طباعة الأشرطة الإسلامية الدعوية الموجهة لمختلف فئات المجتمع.

وقامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طرق متعددة منها:

أولاً: برنامج دعم المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد، وتوعية الجاليات المنتشرة في جميع مناطق المملكة العربية السعودية للأعوام ١٤١٨هـ و ١٤٢٤هـ و ١٤٢٦هـ، بتكلفة إجمالية بلغت (٤,٣٤٩,٩٧٠) أربعة ملايين وثلاثمائة وتسعة وأربعين ألفا وتسعمائة وسبعين ريالاً، من خلال طباعة الكتب والأشرطة الإسلامية باللغات المختلفة، أو تبني البرامج الدعوية المختلفة لهذه المكاتب.

ثانياً: برنامج دعم الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للأعوام ١٤٢١هـ و ١٤٢٣هـ و ١٤٢٦هـ، من خلال تبني خطط الإدارة العامة للتوعية والتوجيه في المجتمع، وقد شملت هذه الخطط طباعة الكتب العلمية، والكتيبات التوجيهية، والرسائل والمطويات، والأشرطة الإسلامية، والرسائل التوجيهية باللغات الأجنبية بالإضافة إلى برامج إجازة الربيع والصيف، ومكتبة المحتسب واللوحات الإرشادية في الطرقات في عدة مدن بالمملكة، وقد أنفقت إدارة الأوقاف على الخطط المشار إليها مبلغ (٤,٢٥٩,٤٠٠) أربعة ملايين ومائتين وتسعة وخمسين ألفاً وأربعمائة ريال.

ثالثاً: مشروع رعاية المسابقة العلمية لطالبات المرحلة الثانوية على مستوى المملكة بالتعاون مع تعليم البنات في وزارة التربية والتعليم، وقد بلغت التكلفة الكلية لتنفيذ هذه المسابقة مبلغ (١,٢٥٠,١١٠) مليون ومائتين وخمسين ألفا ومائة وعشرة ريالات.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (١١,٤٠٨,٥٦٤) فقط أحد عشر مليوناً وأربعمائة وثمانية آلاف وخمسمائة وأربعة وستين ريالاً.

مصرف: الإنفاق على طلبة العلوم الشرعية والدعاة:

يُعْنى هذا المصرف بالإنفاق على طلبة العلوم الشرعية وعلى أهل العلم القائمين بنشر العلم والدعوة إلى الله، وذلك لأهمية أمثال هؤلاء في الأمة، وأثرهم الإيجابي في بنائها.

وتقوم إدارة الأوقاف بهذا المصرف طلباً في تحقيق الأهداف الآتية:

١- تأهيل أبناء المسلمين المحتاجين تأهيلاً علمياً لينهلوا من ينابيع العلم الشرعي.

٢- تيسير السبل لتحصيل أبناء المسلمين للعلوم النافعة.

٣- نشر العلوم الشرعية.

٤- الإسهام في رفع قدرات المعلمين ، وزيادة تأهيلهم ، وتمكين البارزين منهم ، والكفاءات العلمية الشرعية المؤهلة من القيام بالعملية التعليمية والتربوية الصحيحة.

وتحرص إدارة الأوقاف على تنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- توفير المنح الطلابية في العلوم الشرعية ، واللغة العربية.
- التنسيق مع الجامعات السعودية لاستيعاب الطلاب من الدول الإسلامية لدراسة العلوم الشرعية ، وتأهيلهم تأهيلاً علمياً مناسباً ليصبحوا دعاة في بلدانهم بعد ذلك.
- إقامة دورات لتأهيل الأئمة ، والدعاة بالتنسيق مع المؤسسات الخيرية السعودية.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طريقين رئيسيين:

أولاً: مشروع الصرف على طلبة العلم لعامي ١٤١٨هـ و ١٤١٩هـ، بالتنسيق مع المؤسسات الخيرية السعودية لكفالة عدد من طلاب العلم في دول مختلفة من بلدان المسلمين.

ثانياً: مشروع صندوق إدارة أوقاف صالح عبد العزيز الراجحي للمنح

الدراسية، ويعد هذا الصندوق من أول المشاريع الخيرية المنظمة لمناشط إلحاق طلبة العلم الشرعي بالجامعات السعودية، وقد جاءت فكرته من الحاجة الماسة للدول الإسلامية لدعاة يتم إعدادهم علمياً وعملياً من منابع علمية صافية، وهو ما تمتاز به جامعاتنا السعودية ولله الحمد والمنة، وقد قامت إدارة الأوقاف بإعداد هذا الصندوق وتنفيذه مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حالياً بتكلفة بلغت (٦,٤٠٠,٠٠٠) ستة ملايين وأربعمائة ألف ريال لكفالة أربعين طالباً من طلاب المنح كفالة شاملة.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (١١,٤٠١,٣١٥) فقط أحد عشر مليوناً وأربعمائة وألف وواحداً وثلاثمائة وخمسة عشر ريالاً.

مصرف: بناء المساجد وصيانتها وتوفير الخدمات المتعلقة بها.

ارتبط هذا المصرف بعناية إدارة الأوقاف ببناء المساجد وفرشها وتكييفها، وصيانتها ، وتوفير الخدمات المتعلقة بها، وتهدف من قيامها بهذا المصرف تحقيق الأهداف الآتية:

١- العمل على رفع راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في مختلف بقاع الأرض.

٢- بناء المساجد طلباً للأجر والثواب المتمثل بقول النبي ﷺ: (من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له مثله في الجنة).[1]

٣- مساعدة الأئمة والمؤذنين على طلب العلم الشرعي؛ حتى يفيدوا في

(١) سبق تخريجه.

مساجدهم بعد ذلك.

٤- مساعدة الأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لمجمعات إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي العقارية في أداء مهامهم بتوفير السكن المناسب من حيث الموقع والمساحة.

وتحرص إدارة الأوقاف على تنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- التنسيق مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وفروعها في المملكة بشأن بناء المساجد الجديدة ، وإعادة إعمار القديم منها..
- التنسيق مع المؤسسات الخيرية السعودية لإعمار المساجد خارج المملكة.
- تأمين السكن للأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لمجمعات إدارة الأوقاف.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال طريقين رئيسيين:

الأول: مشروع بناء المساجد وصيانتها: قامت إدارة الأوقاف بالمساهمة في بناء عدد من المساجد وفرشها وتكييفها وصيانتها وتقديم الخدمات المتعلقة بها.

الثاني: مشروع سُكْنى الأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لإدارة أوقاف صالح عبد العزيز الراجحي: قامت إدارة الأوقاف بتأمين السكن للأئمة والمؤذنين بالمساجد التابعة لمجمعاتها العقارية، بتكلفة سنوية بلغت (٢٤٠,٠٠٠) مائتين وأربعين ألف ريال، وقد بلغت التكلفة الإجمالية لهذا المشروع حتى العام ١٤٢٧هـ مبلغ (٢,١٦٠,٠٠٠) مليونين ومائة وستين ألف ريال.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (٨,١٧٠,٦١٨) فقط ثمانية ملايين ومائة وسبعين ألفاً وستمائة وثمانية عشر ريالاً.

مصرف: طباعة الكتب الإسلامية النافعة.

تقوم إدارة الأوقاف من خلال هذا المصرف بتنفيذ ما أوصى به الواقف؛ حيث حدد في صك الوقفية بأنه يُعْنى بـ: (طباعة الكتب الإسلامية النافعة، ونحوها من كتب العقيدة السلفية ، أو كتب الفقه والحديث وغيرها مما يخدم العقيدة السلفية ، والمنهج الإسلامي الصحيح وتوزيعها، وشراء شيء مما طبع منها وتوزيعه، ويستشار في النافع منها أهل العلم الثِّقات، ولا يطبع أو يشترى إلا ما كان نافعاً للمسلمين في دنياهم وأخراهم).

وتسعى إدارة الأوقاف من خلال هذا المصرف تحقيق الأهداف الآتية:

١- تزويد المكتبات العلمية داخل المساجد – بالتنسيق مع الجهات الرسمية – بمجموعة من كتب السلف المعتمدة.

٢- تلبية حاجة المكتبات الإسلامية لكتب اللغة الإنجليزية في العلوم الشرعية المختلفة.

٣- المساهمة في نشر العلوم الشرعية بين مختلف شرائح المجتمع الإسلامي وبلغات مختلفة.

٤- الإسهام في النشر العلمي الإلكتروني بالوسائل الحديثة.

وتتخذ إدارة الأوقاف من الوسائل الآتية عوناً لها - بعد الله - في تنفيذ هذا المصرف:

- طباعة الكتب الإسلامية النافعة، وتوزيعها على طلبة العلم الشرعي.
- طباعة كتب العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وتوزيعها على المراكز

الدعوية بالدول الإسلامية.

- ترجمة وطباعة الكتب الإسلامية النافعة وتوزيعها على المسلمين الناطقين بغير اللغة العربية.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال الطرق الآتية:

١) مشروع طباعة الكتب الإسلامية:

مشروع حقيبة طالب العلم :

قامت إدارة الأوقاف بطباعة عدد من أمهات الكتب الإسلامية وحقائب طلبة العلم لتوزيعها على طلبة العلوم الشرعية ، والأئمة والدعاة داخل المملكة وخارجها، وقد طبع من هذه الحقائب العلمية أكثر من أربعة آلاف حقيبة، وقد تم تنفيذ هذه الحقائب على مرحلتين، وذلك وفق الآتي:

المرحلة الأولى: (حقيبة طالب العلم الأولى)

الجدول رقم (١):

عنوان الكتاب	المؤلف
تفسير القرآن العظيم	الحافظ ابن كثير
بلوغ المرام من أدلة الأحكام	الحافظ ابن حجر
رياض الصالحين	الحافظ النووي
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ
الرحيق المختوم	الشيخ صفي الرحمن المباركفوي

المرحلة الثانية: (حقيبة طالب العلم الثانية)

الجدول رقم (٢):

عنوان الكتاب	المؤلف
زبدة التفسير من فتح القدير	الشيخ محمد الأشقر
اللؤلؤ والمرجان لما اتفق عليه الشيخان	الشيخ محمد عبدالباقي
تيسير العلام بشرح عمدة الأحكام	الشيخ عبدالله ابن بسام
شرح العقيدة الواسطية	الشيخ د.صالح الفوزان
مختصر سيرة الرسول ﷺ	للشيخ محمد بن عبدالوهاب
التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية	الأستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد
الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث	الشيخ أحمد شاكر

٢) طباعة الكتب الإسلامية:

قامت إدارة الأوقاف وضمن برنامج دعم الطلبات بالدول الإسلامية بطباعة مائة ألفٍ من كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ووزع في عدة دُول إسلامية.

كما قامت إدارة الأوقاف بطباعة عدد مائتين وخمسين ألف نسخة من كتاب (حراسة الفضيلة) لمؤلفه الشيخ الدكتور بكر أبو زيد، وقد وزع مجاناً على طالبات المرحلة الجامعية في الجامعات والكليات في عدة مناطق بالمملكة.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا

المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (١٠,٨٨١,١٧٩) فقط عشرة ملايين وثمانمائة وواحد وثمانين ألفاً ومائة وتسعة وسبعين ريالاً.

مصرف: إنشاء المدارس الإسلامية ودعمها.

يقدم هذا المصرف الدعم والمساندة في إنشاء المدارس الإسلامية التي تقوم مناهجها على العقيدة السلفية الصحيحة.

وتحرص إدارة الأوقاف من خلال هذا المصرف تحقيق الأهداف الآتية:

١- إتاحة الفرصة للطلاب الفقراء في الحصول على فرص التعليم النافع.

٢- غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الطلاب وتنشئتهم تنشئة صالحة.

٣- التركيز على تحفيظ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

٤- إكساب الطلاب المهارات العلمية المختلفة.

وتقوم إدارة الأوقاف في تنفيذ هذا المصرف من خلال الوسائل الآتية:

- إنشاء المجمعات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم بمختلف مناطق المملكة العربية السعودية بالتنسيق مع وزارة التربية والتعليم.
- إنشاء المدارس الإسلامية ، ودعم ميزانيات القائم منها.

وقد قامت إدارة الأوقاف بتنفيذ أعمالها في هذا المصرف من خلال الآتي:

أولاً: مشروع بناء المجمعات التعليمية لتحفيظ القرآن الكريم بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم في المملكة، ويضم كل مجمع من المجمعات الثلاثة جميع المراحل الدراسية (ابتدائي، متوسط، وثانوي) بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية الأخرى، وتتضح هذه المشروعات وفق الجدول الآتي:

جدول رقم (٣):

المشـــروع	المساحة	عدد الطلاب	التكلفة
مجمع الشيخ صالح الراجحي التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم للبنين بمدينة الرياض	١٠٠٠٠م	١٤٤٠	٩,٢٧٢,٦٧٥
مجمع الشيخ صالح الراجحي التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم للبنات بمكة	٥٠٠٠م	١٢٠٠	٦,٦١٦,٦٤٠
مجمع الشيخ صالح الراجحي التعليمي لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة البكيرية بمنطقة القصيم	١١٠٦٣م	١٤٤٠	١١,٢٧٢,٠٠٣
الإجمـالي	- -	٤,٠٨٠	٢٧,١٦١,٣١٨

ثانياً: مشروع دعم المدارس الإسلامية:

قامت إدارة الأوقاف بدعم العديد من المدارس الإسلامية داخل المملكة وخارجها، وقد بلغ إجمالي الدعم المقدم لهذه المدارس مبلغ (١٠,٥٥٦,٢٢٨) عشرة ملايين وخمسمائة وستة وخمسين ألفا ومائتين وثمانية وعشرين ريالاً.

وقد بلغت التكلفة الإجمالية المصروفة من قبل إدارة الأوقاف على هذا المصرف خلال الأعوام (١٤١٨- ١٤٢٧هـ): (٣٧,٧١٧,٥٤٦) فقط سبعة وثلاثين مليوناً وسبعمائة وسبعة عشر ألفاً وخمسمائة وستة وأربعين ريالاً.

الجدول التالي يوضح إجمالي المنصرف على البرامج الدعوية حسب المصارف المذكورة سابقاً لدى إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (١٤١٨- ١٤٢٧هـ)

جدول رقم (٤)

م	المصـرف	المبلغ المنصرف على المصرف
١	نشر القرآن الكريم ودعم حلقاته	٤٥,٩٤١,٩٠٢
٢	الدعوة إلى الله عز وجل	١١,٤٠٨,٥٦٤
٣	الإنفاق على طلبة العلوم الشرعية	١١,٤٠١,٣١٥
٤	بناء المساجد وصيانتها	٨,١٧٠,٦١٧
٥	طباعة الكتب الإسلامية النافعة	١٠,٨٨١,١٧٩
٦	إنشاء ودعم المدارس الإسلامية	٣٧,٧١٧,٥٤٦
	الإجـمـالي	١٢٥,٥٢١,١٢٣
مائة وخمسة وعشرون مليوناً وخمسمائة وواحد وعشرون ألفاً ومائة وثلاثة وعشرون ريالاً		

وقد خرج الباحث بعد اطّلاعه على جهود إدارة أوقاف صالح بن عبدالعزيز الراجحي في البرامج الدعوية ببعض النقاط التي يرغب الإشارة إليها:

- بلغت نسبة البرامج الدعوية المنفذة لدى إدارة الأوقاف أكثر من (٥٠٪) من إجمالي أعمالها الخيرية المتنوعة، كما توضح ذلك الأرقام السابقة.
- اتضح للباحث أن القائمين على إدارة الأوقاف يحرصون أن لا يباشروا تنفيذ هذه الأعمال بأنفسهم، بل يقوموا بذلك من خلال التعامل مع

الجهات الرسمية سواء الحكومية، أو الخيرية، كما يتبين ذلك في تعاون إدارة الأوقاف في تنفيذها لهذه المناشط مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، أو وزارة التربية والتعليم، أو الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو جامعة الإمام، أو بعض المؤسسات الخيرية الرسمية داخل المملكة أو خارجها، ولم يسبق أن قامت إدارة الأوقاف بمباشرة الأعمال الدعوية بنفسها، بل تعقد الاتفاقيات مع هذه الجهات الرسمية لتقوم بالبرنامج الدعوي المحدد، وهي تتولى تمويله، حرصاً منها على الوصول به إلى أكبر قدر من الإتقان والفاعلية.

- تحرص إدارة الأوقاف على الأعمال التي لها صفة الاستمرار والانتفاع بصورة طويلة، كما يتضح ذلك في أعمالها بإنشاء المجمعات التعليمية، أو طباعة الكتب، أو كفالة طلبة العلم من دول مختلفة.
- اهتمت إدارة الأوقاف بتكوين قواعد معلومات عن الجهات المستفيدة من خدماتها في داخل المملكة، أو خارجها.

الجدول رقم (٥) يوضح إجمالي المنصرف على المصارف العامة في أوقاف صالح الراجحي من عام (١٤١٨هـ) وحتى نهاية عام (١٤٢٧هـ).

جدول رقم (٥)

م	المصـــرف	المبلغ المنصرف على المصرف	النسبة المئوية
١	الصرف على الأيتام والأرامل والفقراء	١٧,٦١٤,٨٥٩	٧,٦٣٪
٢	الصرف على المنكوبين	٥٥,٦٧٨,٥١٠	٢٤,١٣٪
٣	التيسير على المعسرين	١٠,٩١٤,٤٦١	٤,٧٣٪
٤	دعم نشر وتحفيظ القرآن الكريم	٤٥,٩٤١,٩٠٢	١٩,٩٣٪
٥	الدعوة إلى الله	١١,٤٠٨,٥٦٤	٤,٩٥ ٪
٦	الإنفاق على طلبة العلم	١١,٤٠١,٣١٥	٤,٩٤ ٪
٧	بناء المساجد	٨,١٧٠,٦١٧	٣,٥٤٪
٨	طباعة الكتب الإسلامية النافعة	١٠,٨٨١,١٧٩	٤,٧١٪
٩	دعم المدارس الإسلامية وإنشائها	٣٧,٧١٧,٥٤٦	١٤,٨١٪
١٠	المياه والتمور وتوزيع الأطعمة	٤٢,٩٠٤,٨٨٠	١٨,٥٩٪
١١	الأضاحي	١٠٥,٧٩٣	٠,٠٤٪
	الإجـمـالـي	٢٣٠,٧٣٦,٠٠٠	١٠٠,٠٪
مائتان وثلاثون مليوناً وسبعمائة وستة وثلاثون ألف ريال			

رسوم بيانية لمصارف أوقاف صالح الراجحي (داخل المملكة وخارجها):

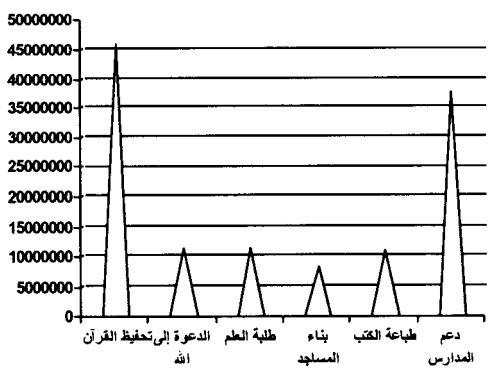

الرسم البياني أعلاه يوضح المصارف الدعوية لدى إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (١٤١٨- ١٤٢٧هـ) .

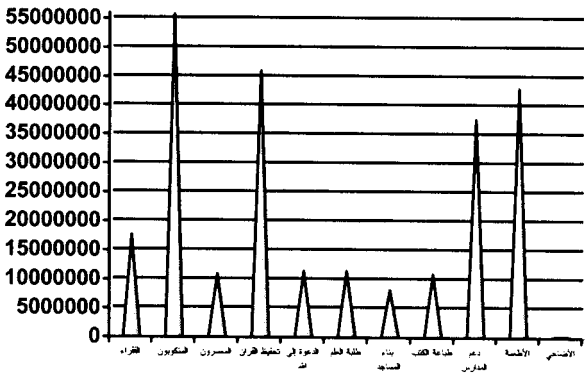

الرسم البياني أعلاه يوضح جميع المصارف لدى إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (١٤١٨- ١٤٢٧هـ) .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

ففي نهاية المطاف مع هذه الدراسة الموجزة يجد الباحث أنه لزاماً عليه أن يُذَكِّرَ ببعض **نتائجها:**

- أهمية الوقف وفضله في شريعتنا الإسلامية السمحة.
- كان للوقف دور كبير على حياة المسلمين ، وذلك بتقديم الخدمة لمجتمعاتهم ، وخصوصاً فيما يتعلق بالدعوة إلى الله ، والإنفاق على وسائلها ، وميادينها المتنوعة.
- لم يقتصر الوقف في مراحل متعددة من تاريخنا الإسلامي على نوع معين من المصارف، بل كان يدور مع حاجات المسلمين ، ويتوافق مع متطلبات واقعهم المعاصر.
- استمر الوقف في زمننا المعاصر في القيام بدوره الرائد في خدمة الإسلام ، والمسلمين من خلال أوقاف العديد من المسلمين الموسرين الذين جعلوا من مصارف أوقافهم تقديم النفع للناس ، وتقديم الخير والإحسان إليهم من المصارف الرئيسة في أوقافهم.
- الدور الرائد الذي تقوم به إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي كنموذج حي مبارك للمؤسسات الوقفية الخاصة في تقديم البرامج الخيرية المتعددة للآخرين، وفي مقدمتها الدعوة إلى الله بمختلف الأنواع النافعة لهم بإذن الله.

وأما أبرز توصيات هذه الدراسة فهي:

- التأكيد على الموسرين من المسلمين بتخصيص جزء من عوائد أوقافهم الخيرية لخدمة الدعوة وبرامجها المتنوعة، وبيان فضل ذلك.
- التأكيد على القائمين على المؤسسات الوقفية الخاصة ونظارها بشمول الدعوة وبرامجها المتنوعة لأعمال مؤسساتهم الخيرية.
- التأكيد على الدارسين والباحثين أن يبذلوا المزيد من الاعتناء والاهتمام والدراسة بهذه المؤسسات الخيرية الخاصة (الوقفية أو العامة)، وأن يظهروا إسهاماتها الخيرية في المجتمع؛ حتى يسهموا في بث الوعي لدى كافة الموسرين ليقتدوا بمن سبقهم في هذه المجالات النافعة، ولكي يسهموا كذلك في الثناء على هذه الجهود الجليلة ويبرزوا فضائل أهل الخير والإحسان، ولا ريب أن هذا من حقهم على المجتمع وأفراده.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الخير والإحسان والدالين عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الآثار الاجتماعية للأوقاف، د.عبدالله السدحان، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ .

٣- أثر الوقف على الدعوة إلى الله تعالى، خالد المهيدب، الرياض، دار الوراق، ١٤٢٥هـ.

٤- أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، د.محمد العيد الخطراوي، المدينة المنورة، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥- أثر الوقف في تنمية المجتمع، د.نعمت مشهور، القاهرة، جامعة الأزهر، ١٩٩٧م.

٦- أحكام الأوقاف، أبوبكر الشيباني (الخصاف)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون سنة طبع.

٧- أحكام الأوقاف، مصطفى الزرقا، عمان، دار البيارق، ١٤١٩هـ.

٨- أحكام الوقف، محمد الكبيسي، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٧م.

٩- أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٨٤م.

١٠- أهمية الوقف في دعم المؤسسات الدعوية، د.شرف بن علي الشريف، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.

١١- الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، د.عبدالرحمن الضحيان،

المدينة المنورة ، دار المآثر ، ١٤٢١هـ.

١٢- التعريفات، علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٣- تقرير الأعمال الخيرية، إدارة أوقاف صالح عبدالعزيز الراجحي (عشر سنوات من العطاء ١٤١٧- ١٤٢٦هـ)، مركز زد للإعلان، الرياض، ١٤٢٧هـ.

١٤- الجهود الدعوية للمؤسسات الخيرية في المملكة، عبدالله المطوع، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الدعوة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ.

١٥- دور الوقف في العملية التعليمية، د.عبدالله المعيلي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.

١٦- دور الوقف في دعم المؤسسات الدعوية ووسائلها، أ.د.حمد بن ناصر العمار، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، مكة المكرمة، تنظيم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ.

١٧- السيرة النبوية ، ابن هشام، القاهرة، دار الريان، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق عمر تدمري.

١٨- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشيخ محمد الشوكاني، بيروت، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ طبع.

١٩- شرح صحيح مسلم (المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج)، الحافظ

النووي، بيروت، دار المعرفة ،ط٤، ١٤١٨هـ، تحقيق خليل شيحا.

٢٠- صحيح الإمام البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر، الرياض، مكتبة الرياض، ودار الفكر، بدون سنة طبع، رقّم أبوابه الشيخ محمد عبد الباقي، وقرأ أصله الشيخ عبدالعزيز بن باز.

٢١- صحيح الإمام مسلم المطبوع مع شرح النووي (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، بيروت، دار المعرفة ،ط٤، ١٤١٨هـ، تحقيق خليل شيحا.

٢٢- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، الأردن، دار النفائس، ط٤، ١٤١٩هـ.

٢٣- صور من علاقة الوقف بالدعوة إلى الله تعالى (مقارنة بين الماضي والحاضر)، د.خالد القريشي، مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

٢٤- الغاية لا تبرر الوسيلة، محمد الخياط، بيروت، دار المعالي، ط١، ١٤١٥هـ

٢٥- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ودار الفكر، بدون سنة طبع.

٢٦- فقه السنة، سيد سابق، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٣٩٧هـ.

٢٧- الفواكه الدواني، أحمد غنيم النفراوي المالكي، القاهرة، مكتبة الحلبي، ط٣، ١٣٧٤هـ.

٢٨- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢٩- لائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية الصادرة بقرار مجلس الوزراء

رقم ١٠٧ وتاريخ ١٤١٠/٦/٢٥هـ والقواعد التنفيذية للائحة الصادرة بقرار معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية رقم ٧٦٠ وتاريخ ١٤١٢/١/٣٠هـ، من مطبوعات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وكالة الوزارة للشؤون الاجتماعية، الإدارة العامة للمؤسسات والجمعيات الخيرية.

٣٠- محاضرات في الوقف، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١م.

٣١- مختار الصحاح، الرازي، بيروت، دار لبنان، ١٩٨٦م.

٣٢- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د.صالح العساف، الرياض، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٣- المدخل إلى علم الدعوة، د.محمد البيانوني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٥هـ.

٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، للعلامة المقري، القاهرة، طبع وزارة المعارف المصرية، ط٢، ١٣٢٤هـ.

٣٥- مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، محمد الشربيني الشافعي، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ الطبع.

٣٦- المغني، ابن قدامة المقدسي، دمشق، هجر للطباعة، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق د.عبدالله التركي ود.عبدالفتاح الحلو.

٣٧- منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل، إبراهيم بن ضويان، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٧، ١٤١٠هـ.

٣٨- موقع إدارة أوقاف صالح الراجحي في شبكة الإنترنت: www.awqafalrajhi.com.

٣٩- نظام مجلس الأوقاف الأعلى، الرياض، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ.

٤٠- وسائل الدعوة، أ.د.عبد الرحيم المغذوي، الرياض، دار إشبيليا، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤١- الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره على المجتمع، د.محمد الصالح، مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

٤٢- الوقف وأثره في نشر الدعوة، وجهود المملكة العربية السعودية في هذا المجال، أ.د.عبد الرحيم المغذوي، مؤتمر الأوقاف الأول في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، شعبان ١٤٢٢هـ.

٤٣- الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، د.يحيى جنيد الساعاتي، كتاب صحيفة الرياض العدد (٣٩)، الرياض، ١٤١٦هـ.

البحث رقم ٦

علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضبط الحريات

إعداد

د. خالد بن حسن العبري

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

ملخص بحث

علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضبط الحريات

للدكتور خالد بن حسن العبري

موضوع الحرية موضوع شائك وشائق في الوقت ذاته، ووفير ومثير، ومتشعب ومتصعب، وفي بداية التفكير في هذا البحث وجدت نوعاً من الصعوبة، ثم وجدتني بعد ذلك مولعاً به، ومنهوماً بالكتابة فيه، وشغوفاً بإعادة النظر فيه مرة بعد مرة.

ولا أحب هاهنا أن أعيد ما كتبته في البحث فهو موجود، ولكني محتاج إلى اختصار فيه شيء من الإجمال.

أقول: قد انحرف كثيرون في فهم حقيقة الحرية وعلاقتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأردت البيان.

البحث جعلته في فصلين: الأول: مفاهيم وتعريفات، وفيه أربعة مباحث: المبحث الأول: مفهوم الحرية، المبحث الثاني: من أروع التعريفات العملية لمفهوم الحرية، المبحث الثالث: من يملك وضع قيود الحرية؟ والمبحث الرابع: من صور الحرية في الإسلام.

والفصل الثاني: حول دفع التعارض، وفيه مباحث: المبحث الأول: هل يتعارض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحريات الشخصية؟ وتناولت فيه الموضوعات التالية: حث الإسلام على ترك التدخل فيما لا يعني، تحريم إنكار المنكر على من أغلق بابه، حديث السفينة يردُّ على من يتذرع بالحرية الشخصية، التأمل في الأسباب الدافعة لإنكار المنكر، وأسئلة

موجهة لمن يعارض الأمر بالمعروف بحجة الحرية. وفي المبحث الثاني ذكرت بعض التجارب الغربية في ضبط الحرية.

واشتمل البحث في المبحث الثالث على دراسة ميدانية تطبيقية حول الحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد عملت في هذه الاستبانة على إعداد مجموعتين من الأسئلة، كل مجموعة تحوي عشرة أسئلة متقابلة. وتلك الأسئلة لها علاقة مباشرة بالحرية والتصرفات الشخصية، كالتصرف في المال، أو حرية الملبس، أو حرية الكلام، أو غير ذلك. والأسئلة العشرة متقاربة من حيث المؤدَّى، والفرق بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية يبرز في طريقة الإعداد، وأسلوب الصياغة فقط، ولكن حقيقة السؤال بين المجموعتين لا تختلف كثيراً، ثم عرضت النتائج وحللتها وفسرتها. وهذه الدراسة جديدة الطريقة نوعاً ما، ولكني أحسب أنها قدمت نتائج ذات مغزى. والعلم عند الله تعالى.

د. خالد بن حسن العبري.

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، أما بعد:

إن الحرية كلمة ذات مدلولات واسعة، فكثيراً ما تغنى الناس بكلمة الحرية، واستهوتها قلوبهم، وافتتنوا بها، وتنادوا بها في كل وادٍ، بل إن بعض الناس رفعوها شعاراً لبعض الثورات. وإن النظرة إلى مفهوم الحرية، ومقاييسها تختلف من مجتمع لآخر، وإن اتفقوا على أهميتها؛ ولا شك أن الحرية من الأهمية بمكان، حيث تبرز أهميتها حين ندرك مدى الحاجة إليها، إضافة إلى ارتباط قضايا كثيرة في حياة الإنسان بها، أو ارتباطها بقضايا أخرى كثيرة. فهي ترتبط بمعانٍ عظيمة فكراً وتصوراً وتطبيقاً، كمفهوم العدالة والمساواة والأمن والإخاء. وقد جعل الإسلام الحرية حقاً من الحقوق الطبيعية فلا قيمة لحياة الإنسان بدون الحرية.

وعلى الرغم من أهمية الحرية إلا أنه لا ينبغي امتطاء مفهوم الحرية الشخصية للتطاول على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الاعتراض عليه.

ولذلك تأتي أهمية البحث في مسائل هذا الموضوع من حيث:

- هل تتعارض المبادئ، والنظم الإسلامية مع الحرية؟ أم أن الإسلام يقر الحرية، ويدعو إليها؟!
- وإن كان الإسلام يقرها فما حدود المسموح منها، والممنوع؟ ومن الذي يضع تلك الحدود؟

- ما الجواب على من امتطى مفهوم الحرية الشخصية في التطاول على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ ومن قال إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعارض مع الحريات الشخصية؟ وهل تثبت هذه الفرضية عند الدراسة والتحقيق؟
- هل يسمح لكل أحد بقول كل شيء، بما في ذلك القدح في الذات الإلهية، والطعن في الأنبياء، والنيل من الصحابة، والسخرية من أحكام الشريعة، وشتم الصالحين، والاستهزاء بهم؟ أو الكلام في الناس بما شاء من القول؟ أو قذف الآخرين في أعراضهم رجالاً كانوا أم نساءً؟ وهل يسوغ لي أن أُنكر على صاحب المعصية لأن معصيته تضرني كما تضره؟

هذا البحث محاولة لتجلية هذه الأسئلة، ومعالجتها مع إضافة بيانٍ إن شاء الله تعالى. وأسأل الله ﷻ أن يبلغني أعلى من مقاصدي، وفوق إرادتي.

الفصل الأول

مفاهيم وتعريفات

المبحث الأول

مفهوم الحرية

الحرية كلمة ذات مدلول واسع، وذات مفهوم له عدة احتمالات. فقد أُستخدم مصطلح الحرية في العالم الغربي للدلالة على رفض الأنظمة العبودية والإقطاعية في العصور الوسطى. حتى ظن بعض الناس في زماننا هذا أن كلمة الحرية تعني التحرر من كل قيد، والتحلل من أي سلطان. ولا جرم أن هذا الفهم يعدُّ نوعاً من التلاعب، والابتزاز لهذا المصطلح.

فهل كلمة الحرية تعني الخلاص من القيود مطلقاً؟ ولمعرفة حقيقة الحرية فإن من أهم الخطوات الرجوع إلى قواميس اللغة للنظر في تعريف الكلمة؛ فالقواميس هي المرجع لا ما تعارف عليه الناس، وإن شاع.

فمن إطلاقات الكلمة عند العرب ما يلي[1]:

- الحُرُّ: كلُّ شيء فاخِرٍ من شِعْرٍ أو غيره.
- الحُرُّ من الناس: أَخيارهم وأَفاضلهم.
- والحُرِّيَّةُ من العرب: أَشرافهم.
- والحُرَّةُ من النساء: الكريمة.
- والحُرُّ من الفاكهةِ: خِيارُها.

---

(١) ينظر في هذا لسان العرب ١٨٢/٤، والقاموس المحيط ص: ٤٧٨، ومختار الصحاح ص: ١٢٩، كلهم في مادة (حرر).

- والحُرُّ من الأَرض: وسَطُها وأَطيبها.
- والحُرَّةُ والحُرُّ: الطين الطَّيِّبُ.
- وحُرُّ الدار: وسطها وخيرها.
- والحُرَّة من السحاب: كثيرة المطر.
- والحُرُّ من الأفعال: أحسنها.

فالحرية إذن لا تعني مجرد التحرر، والفكاك من القيود؛ إلا من وجه واحد وهو: التحرر من سلطة الهوى، والنفس الأمارة بالسوء.

والمقصود من ذلك أن مفهوم الحرية يحصل بتحقيق العبودية لله تعالى. قال الشاعر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لَكُنْتُ حراً[1].

ولا شك أن نتيجة ذلك التحرر من الهوى والشهوات، تحقق المعنى اللغوي الذي أُشير إليه آنفاً. قال ابن القيم في النونية:

هربوا من الرق الذي خلقوا له فبلوا برق النفس والشيطان[2].

فحقيقة الحرية هي تعبيد القلب لله وحده لا لغيره، وأن يكون همه إرضاء الله تعالى ولو كان شيئاً مخالفاً لهوى النفس، وقد قال سبحانه وتعالى في الناجين يوم الدين ﴿إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[3] فالقلب السليم: سليم من الشرك والشك، ومحبة الأشرار، والإصرار على البدعة والذنوب.

---

(١) منسوب للحلاج، قاله لما أخرج ليقتل. انظر: تاريخ بغداد ١٣٠/٨، والأنساب ٢٩٤/٢، والبداية والنهاية ١٤٢/١١.

(٢) النونية ٤٦٦/٢.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٨٩.

فكمال الحرية يتحقق بكمال العبودية لله.

والرقيق حقاً من كان عبداً لغير الله ﷻ، ومن عبد شهوته، وعبد بطنه، وعبد ماله، وعبد منصبه. قال الرسول ﷺ: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض"[1]. والملحظ هنا أن النبي ﷺ لم يقل: تعس مالك الدينار؟ أو جامع الدينار؟ لأن جمع المال وملكه ليس مذموماً في ذاته إذا كان على قدر الحاجة. لكن عندما يتعلق الأمر بالهلع والحرص والتعنت والشغف، بحيث يجعل رضاه وسخطه من أجل الدرهم، والدينار فعند ذلك يكون عبداً له. ونبَّه النبي ﷺ بالقليل وهو: الخميصة، للإشارة إلى ما هو أعلى منها. وقوله ﷺ: "إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط"، يبين حال الإنسان في رقه وعبوديته للدنيا، وأن من صفاته إذا أعطي من الدنيا رضي وإذا منع سخط على الله وعلى المخلوقين، فرضاهم لغير الله، وسخطهم لغير الله. وهكذا حال من كان متعلقًا برئاسة أو بصورة، ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له، إذاً الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته.

تعريف الحرية:

بعد هذا العرض خرجت بتعريفٍ للحرية بأنها: هيئة راسخة تطلق الإنسان من قيود العبودية إلا لله، تمكِّنه من التصرف لأداء الواجب واستيفاء الحق دون ضرر، ولا ضرار. والعلم عند الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري وغيره واللفظ له، كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، الفتح ٨١/٦، ح(٢٨٨٦).

المبحث الثاني

نماذج تطبيقية لمفهوم الحرية عند الصحابة

إن تاريخ سلفنا الصالح – من حكام ومحكومين – مليء بالنماذج المبهرة في تطبيق مفهوم الحرية. ولكن لعلي أنتقي هذا النموذج الذي أفخر به وأفاخر:

فقد فسر ربعي بن عامر ﷺ الحرية حين دخل على "رستم" قائد الفرس في القادسية، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت، واللآلئ الثمينة والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم؛ وإنما جئتكم حين دعوتموني، فان تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام[1].

فهذا التعريف البسيط في عبارته والواضح في دلالته، يُبَيّن أن الحرية التي جاء بها الإسلام هدفها تحرير الإنسان من عبودية ما سوى الله ﷻ، سواءً كان نبياً، أو شيخاً، أو ملكاً، أو مالاً، أو النفس، أو الهوى، أو الجنس، أو النساء، أو غير ذلك من المعبودات.

---

(١) البداية والنهاية ٣٩/٧.

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فقد بيَّن مفهوم الحرية حينما أتى إليه القبطي شاكياً وهو يقول: سابقت ابن عمرو بن العاص؛ فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين!. فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه، ويقدم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الأليمين، فقال عمر لعمرو: مذْ كمْ تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال عمرو: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني[1].

ما مقياس الحرية المنشودة في الإسلام وما ضوابطها؟

إن من أهم المبادئ التي خلق الله السموات والأرض لأجلها إقامة الحق، قال ﷻ: ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[2]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾[3]. فالحرية المطلوبة هي الحرية التي تتقيد بقول الحق، وعمل الحق، وتأييده، ودعم أهله، ونصرة القائمين عليه. فالأصل أنه ليس في الحرية ما يؤدي إلى الباطل بأنواعه، وتعدياته، وليس في الحرية ما يسبب الضرر والهلاك للنفس أو الغير. ولعلي أذكر ههنا أهم ضوابط الحرية كما يلي:

- ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بنفسه.
- ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بالآخرين.

---

(١) فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٩١.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٣.

(٣) سورة ص، الآية ٢٧.

- ألا تنتهك حريته الصالح العام.

المبحث الثالث

قيود الحرية عند المسلمين

حينما منح الإسلام للعبد الحرية لم يتركها مطلقة؛ بل حددها ببعض الضوابط. ولا جرم أن هذا التقييد لا يملك وضعه ورفعه إلاّ خالق الخلق. فهو الذي له الخلق والأمر. فلا ينبغي لأحدٍ أن يعترض على أمر الله ونهيه؛ بل على المسلم إذا أراد النجاة في الدنيا والآخرة أن يسلّم ويذعن للأحكام التي تنضبط بها حياته، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون.

قال تعالى: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1]، قال ابن القيم: (فأقسم سبحانه بنفسه: أنا لا نؤمن حتى نحكم رسوله في جميع ما شجر بيننا، وتتسع صدورنا بحكمه؛ فلا يبقى منها حرج، ونسلم لحكمه تسليماً فلا نعارضه بعقل، ولا رأي ولا هوى ولا غيره، فقد أقسم الرب سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن هؤلاء الذين يقدمون العقل على ما جاء به الرسول، وقد شهدوا هم على أنفسهم بأنهم غير مؤمنين بمعناه وإن آمنوا بلفظه وقال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[2]، وهذا نصٌ صريح في أن حكم جميع ما تنازعنا فيه مردود إلى الله وحده، وهو الحاكم فيه على لسان رسوله، فلو قدم حكم العقل على حكمه لم يكن هو

---

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٠.

الحاكم بوحيه وكتابه، وقال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾[1])[2].

وقال في موضع آخر: (فأكد ذلك بضروب من التأكيد:

أحدها: تصدير الجملة المقسم عليها بحرف النفي المتضمن لتأكيد النفي المقسم عليه وهو في ذلك كتصدير الجملة المثبتة بإن.

الثاني: القسم بنفسه سبحانه.

الثالث: إنّهُ أتى بالمقسم عليه بصيغة الفعل الدالة على الحدوث أي لا يقع منهم إيمان ما حتى يحكموك.

الرابع: إنّهُ أتى في الغاية بحتى دون إلاَّ المشْعِرة بأنه لا يوجد الإيمان إلا بعد حصول التحكيم لأن ما بعد حتى يدخل فيما قبلها.

الخامس: إنّهُ أتى المحكم فيه بصيغة الموصول الدالة على العموم وهو قوله فيما شجر بينهم أي في جميع ما تنازعوا فيه من الدقيقة والجليلة.

السادس: إنّهُ ضم إلى ذلك انتفاء الحرج وهو الضيق من حكمه.

السابع:إنّهُ أتى به نكرة في سياق النفي أي لا يجدون نوعاً من أنواع الحرج البتة.

الثامن: إنّهُ أتى بذكر ما قضى به بصيغة العموم فإنها إما مصدرية أي من قضائك أو موصولة أي من الذي قضيته وهذا يتناول كل فرد من أفراد قضائه.

التاسع: إنّهُ لم يكتف منهم بذلك حتى يضيفوا إليه التسليم وهو قدر زائد على التحكيم وانتفاء الحرج فما كل من حكم انتفى عنه الحرج ولا

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٣.

(٢) الصواعق المرسلة ٨٢٨/٣.

كل من انتفى عنه الحرج يكون مسلماً منقاداً فإن التسليم يتضمن الرضا بحكمه والانقياد له.

العاشر: إنّهُ أكد فعل التسليم بالمصدر المؤكد)[1].

فالله وحده هو من يقوم بتحديد الحرية في الإسلام، وتحديد المسموح منها من الممنوع؛ لأنه خالق الإنسان، والمنَزَّه عن صفات النقص، أو الضعف والعجز، وهو العالم بأحوال عباده، وما يُناسبهم وما يحتاجون إليه، وبالتالي فالحرية في الإسلام تمتاز بالثبات والاستقرار، فالذي يجوز من الحرية للإنسان قبل أربعة عشر قرناً يجوز له في يومنا هذا، فكل امرئٍ يعرف ما له وما عليه، والمساحة التي يمكن أن يتحرك بها. وهذا يميز الحرية بالحق والعدالة والثبات والاستقامة؛ لأنها صادرة عن الله سبحانه، وهذا بخلاف الحرية في تشريع البشر الذي يحتمل الوقوع في الظلم والخطأ، والقصور والنقص.

والحق أن الحرية عندما تكون غير منضبطة بدين الله، فإن تقييد إطلاقها سيكون خاضعاً لعقول البشر وأهوائهم، على أنه مقرر بأن كل حق مقطوع به نقلاً أو عقلاً في باب الحرية فهو مشروع، وإن صدر من غير المسلمين، ولكن المراد هنا بيان التفاوت في فهم الحرية إن كان الفهم مجرداً عن ضابط الشرع المطهر. ومن ثم ستختلف معاني الحرية بحسب ذلك، فمفهوم الحرية في النظام الاشتراكي يغاير مفهومها في النظام الرأسمالي. وعند الاشتراكيين: فإن مفهومها في الصين مثلاً قد تراه مغايراً لمفهومها في كوبا، ومثل ذلك يقال في إطار النظام الرأسمالي، فإن مفهوم

---

(١) الصواعق المرسلة ٤/١٥٢٠-١٥٢١.

الحرية في فرنسا مثلاً قد تراه مغايراً لمفهومها لدى ألمانيا وهكذا.

المبحث الرابع

صور الحرية في الإسلام

كرم الإسلام الإنسان، وظهر التكريم جلياً في عدة آيات ومناسبات، فمن مظاهر التكريم: أن الله فضل الإنسان على كثير ممن خلق. ومنها: أن الله ﷻ جعل الإنسان خليفة في الأرض يستعمرها وسخر له ما في الأرض جميعاً. ومن مظاهر التكريم: أن الله ﷻ خلق آدم بيديه، وكلَّف الملائكة بالسجود له. ومن ذلك: أن الله ﷻ جعل الإنسان حراً، ومنحه السلطة في التصرفات والأفعال، بحيث يختار أفعاله دون إجبار أو إكراه، إما إقداماً أو إحجاماً.

والحقُّ أن هذا المظهر الأخير وهو: الحرية: يُعدُّ حقاً طبيعياً من حقوق الإنسان في الإسلام، ولا يقلُّ قدراً عن حق الحياة والكرامة. وهذا الحق له صور كثيرة مختلفة لا يمكن الإحاطة بها في هذا البحث، ولكن أذكر منها ما يلي:

حرية الاعتقاد:

إذ نهى الإسلام أن يكره أحد على اعتناقه. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ** ﴾[2]. وسبب نزول

(١) سورة يونس، الآية ٩٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

هذه الآية يبين اهتمام الإسلام بالحريات، فقد صحَّ الخبر أنها نزلت في قوم من الأنصار أو في رجل منهم، كان لهم أولاد قد هودوهم، فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك حتى يكون دخولهم في الإسلام باختيارهم[1]. فبالرغم من الظروف التي دخلوا فيها اليهودية[2]، ورغم العداوة التي بين المسلمين واليهود، لم يبح الإسلام إكراه أحد على الخروج من دينه، وعلى الدخول في دين آخر، ولو كان هو الإسلام.

حرية التعبير:

للإنسان الحق أن يعبِّر عن وجهة نظره وعن رأيه، ويجادل ويناقش حول أي موضوع يريد، حتى وإن لم يكن من أهل الإسلام، فلم يطلب الله من المسلمين أن يكبتوا غير المسلمين، أو أن يحولوا بينهم وبين التعبير عن أفكارهم وآرائهم. بل طلب منهم أن يحاجوا غير المسلمين، وأن يقدموا البراهين والأدلة على صحة ما يقولون، ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾. فالمسؤولية تقع على المسلمين في إقناع غير المسلمين بالبرهان والحجة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[3]، وقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً

(١) انظر تفسير الطبري ١٥/٣. والصحيح المسند من أسباب النزول للشيخ مقبل الوادعي، ص ٢٠.

(٢) ورد في بعض الروايات عن ابن عباس ﷺ وغيره قال: كانت المرأة تكون مقلاتاً لا يعيش لها ولد فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. الطبري ١٥/٣.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥.

أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

هذا في جانب التعامل مع غير المسلمين، أما في العموم فمن الشواهد الدالة على حرية الرأي: إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والنصح لكل مسلم، ومشروعية الشورى، وغير ذلك.

بل إن الخلفاء في الصدر الأول كانوا يطلبون من الناس إبداء الرأي بلا حرج، ويلتمسون منهم النصح والتوجيه، وكانوا يفسحون صدورهم للنقد والرأي. ولما بايع الناس أبا بكر الصديق ﷺ قام خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: "أما بعد: أيها الناس فإني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق إن شاء الله .... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[2].

فالمقرر في الشرع أن الله ﷻ أعطى لكل مسلم حق إنكار المنكر، سواء صدر المنكر من عامة الناس أو خاصتهم. وهذا تأكيدٌ لحرية الرأي ولا شك، ولكن إنكار المنكر على الحاكم المسلم الذي يحكم بشرع الله له ضوابط، ومنهجٌ عند أهل السنة والجماعة، فالاحتساب عليه ليس كالاحتساب على غيره ممن ليس له ولاية فهم لا يرون التشهير به على المنابر وفي المجامع العامة؛ لأن ما ينتج عنه من الفتنة والفساد أعظم مما يحصل من الخير المقصود.

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٢٣٨، والبداية والنهاية ٥/٢٤٨، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

ولذا فإن منهج أهل السنة في الاحتساب على الولاة وسطٌ بين طائفتين:

إحداهما: الخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج على السلطان إذا ارتكب المنكر، بل إن من أصول المعتزلة الخمسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحقيقته عندهم الخروج على الولاة.

وثانيهما: الروافض الذين يعتقدون في حكامهم، وأئمتهم قداسة بلغوا بها مرتبة العصمة.

قال ابن مفلح: (ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظاً له وتخويفاً، أو تحذيراً من العاقبة في الدنيا والآخرة؛ فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك ... والمراد: ولم يخف منه بالتخويف والتحذير وإلا سقط، وكان حكم ذلك كغيره، قال ابن الجوزي: الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ، فأما تخشين القول؛ نحو: يا ظالم يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرِّك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء، قال: والذي أراه المنع من ذلك)[1].

وقد قيل لأسامة بن زيد رضي الله عنه: لو أتيت فلاناً -أي عثمان- فكلمته، فقال: إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه[2].

قال القاضي عياض: (مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام لما يخشى من عاقبة ذلك، بل يتلطف به، وينصحه سراً فذلك

---

(١) الآداب الشرعية: ١/١٩٥-١٩٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٧). الفتح: ٦/٣٣١، وكتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، برقم: (٧٠٩٨) الفتح: ١٣/٤٨.

أجدر بالقبول)[1].

ودليل هذا قوله ﷺ من حديث عياض بن غنم رضي الله عنه: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدَّى الذي عليه"[2]. وهذا أيضاً ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ، فعن زياد بن كُسيب العدوي، قال: كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب، وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق، فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله"[3]. وعن سعيد بن جهمان قال: أتيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر، فسلمت عليه، قال: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جهمان، قال: ما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة، قال: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار، قال: قلت: الأزارقة، وحدهم أم الخوارج كلها؟ قال: بلى، الخوارج كلها.

قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم، قال: فتناول يدي، فغمزها بيده غمزة شديدة ثم قال: "ويحك يا ابن جهمان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كان السلطان يسمع منك؛ فأته في

(١) نقله الحافظ في الفتح: ٥٢/١٣.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، باب كيف نصيحة الرعية للولاة، برقم (١٠٩٦) وأحمد في مسنده: ٤٠٣/٣، وصحح إسناده الشيخ ناصر الدين الألباني في كتاب السنة: ٥٠٧/٢-٥٠٨.

(٣) رواه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الخلفاء، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السنن برقم (١٨١٢).

بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه"[1].

قال النووي عند كلامه على أثر أسامة المتقدم في قوله: "دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه": (يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما جرى لقتلة عثمان رضي الله عنه، وفي الأدب مع الأمراء، واللطف بهم، ووعظهم سراً، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه، وهذا كله إذا أمكن ذلك، فإن لم يمكن الوعظ سراً والإنكار فليفعله علانية لئلا يضيع أصل الحق)[2].

وقال الغزالي في باب أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر: (قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوله: التعريف، وثانيه: الوعظ، وثالثه: التخشين في القول، ورابعه: المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة.

والجائز من جملة ذلك مع السلطان الرتبتان الأوليان وهما: التعريف والوعظ، وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرّك الفتنة، ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر.

وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم، يا من لا يخاف الله ... وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه، فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار، والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٨٢/٤. وحسنه الشيخ الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم: ٥٠٩/٢.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: ١١٨/١٨.

"خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك" وقال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"...)[1].

قلت: لا بد من التعليق على كلام الغزالي رحمه الله؛ لأن الإغلاظ والتخشين في القول يختلف من حيث قبوله باختلاف من يصدر منه، وباختلاف الأمراء، وباختلاف الحاجة إلى الإغلاظ، ومدى فائدته المرجوة، ويختلف أيضاً باختلاف مادة الإغلاظ والتخشين.

فأما اختلافه باختلاف من يصدر منه فإن من المعلوم أن الإنكار على الولاة والأمراء بالشدة والإغلاظ لو صدر من عالم مطاع ذي هيبة في القلوب ووقار وسمت، لن يكون قبوله كما لو صدر من رجل عامّي لا يتصف بشيء من تلك الأوصاف، وبخاصة أن القدر الأكبر من المسؤولية في صلاح الأمراء تقع على عاتق العلماء؛ لأنهم إذا أخلصوا النية أثَّر كلامهم فيه، قال الغزالي – رحمه الله – عن بعض علماء عصره: (وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسن العلماء وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا، ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا، ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل فكيف على الملوك والأكابر؟ والله المستعان على كل حال)[2].

وأما اختلاف الإغلاظ والتخشين باختلاف الولاة فظاهر؛ لأن السلف –

(١) إحياء علوم الدين: ٢/٢٤٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ٢/٣٥٧.

رحمهم الله – ما كانوا يغلظون ويصرحون بالإنكار على الولاة إلا حيث كان الأمراء يقبلون منهم، ومع هذا فلم يكن من عادتهم الإنكار عليهم بالشدة والإغلاظ والتخشين في القول، وإنما كانت عادتهم الإنكار عليهم بالتلطف واللين، مراعين في ذلك هيبة السلطان، وجلال الحكم ليكون ذلك أدعى للقبول والاستجابة؛ ولأن عدم مراعاة ذلك قد يتسبب في الجرأة على السلطان من العوام، ومن أصحاب المقاصد الدنيئة.

وأما اختلاف الإغلاظ باختلاف مادة الإغلاظ والتخشين فهو أمر تجب ملاحظته؛ لأن التخشين في القول إن كان مشتملاً على السِّباب والفحش والتعيير فهو ليس بمطلوب ولا مندوب إليه، ولا هو من الفطنة ولا من الحكمة؛ لأن السلطان لا ينزجر بذلك، بل إن ذلك يثير غضبه، ويضاعف شرّه، وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه –، قال: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب[1].

حرية العمل والتملك:

للإنسان الحق أن يختار من الوظائف والأعمال ما شاء، وليس هناك حدٌّ أعلى للتملك في الإسلام. وهذه الحرية مقررة شرعاً، سواءً عمل الإنسان لنفسه، أو عمل لغيره بناءً واعتماداً على العقد بينهما.

ولكن الحرية في النشاط الاقتصادي التي منحها الإسلام للإنسان من العمل والكسب والتملك، والتمتع برزق الله، لم يتركها مطلقة، بل

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وقال الشيخ الألباني "إسناده جيد، ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر"، ص ٤٧٤.

قيدها بقيدين أساسيين:

أولهما: أن يكون هذا النشاط غير مضر بمصلحة خاصة أو عامة.

ثانيهما: أن يكون مشروعاً.

أما القيد الأول، فلأن الإضرار بالآخرين محرم، بناء على القاعدة الفقهية العامة: "لا ضرر ولا ضرار"[1]، وذلك مبني على قول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾[2]، فإذا وقع التعدي والإضرار بالآخرين وَجَبَ على ولي الأمر أن يتدخل ليعيد الأمور إلى نصابها، ويُرْجِع الحق إلى صاحبه.

وأما القيد الثاني، فإن الأصل أن كل نشاط اقتصادي مشروع في ظل الإسلام، إلا ما ورد النص بتحريمه، وذلك تطبيقاً لقاعدة:

الأصل في المعاملات الإباحة– وبذلك يكون الإسلام قد فتح آفاقاً واسعة للنشاط الاقتصادي، ولكنها محدودة ومقيدة بالنصوص المحرمة لبعض النشاطات المضرة.

فقد حرّم الإسلام إنتاج المحرمات كالخمور، وحرم التعامل بالربا، ومنع الإسلامُ الاحتكارَ، كما حرّم الإسلامُ كسبَ المال عن طريق التطفيف في الكيل والميزان، والغش فيه، وحذّر الله ﷻ من أكل أموال الناس بالباطل بجميع أشكاله، ويدخل في الباطل: جميع بيوع الغرر التي نهى عنها النبي ﷺ، والتي فيها جهالة وغش وخداع. ويدخل في الباطل:

---

(١) أصل هذه القاعدة حديث رواه الحاكم وصححه، وأحمد في المسند، وابن ماجه في السنن، والبيهقي في السنن الكبرى، عن عدد من الصحابة، وصححه الألباني.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٩٠.

القمار واليانصيب، فإن فيه من الغرر المفضي إلى التلف، والفائز فيه إنما يأكل أموال الناس بالباطل. ويدخل فيه: الغصب، والسرقة، وجحد الحقوق، وما لا تطيب به نفس مالكه، أو حرّمته الشريعة وإن طابت به نفس مالكه، وكذلك استغلال النفوذ والسلطة للحصول على المال.

الحرية ينتج عنها حرية:

ما ذُكر من أنواع الحريات يستلزم حصول حريات أخرى بداهة، مثل حرية التفكير، وحرية التصرف، وحرية التنقل، وحرية السكن، وحرية الطعام، وحرية النظر، وحرية التعلم، وحرية القرار، وغيرها.

الفصل الثاني
دفع التعارض

المبحث الأول
هل يتعارض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحريات الشخصية؟

عرض الشبهة:

قد يعارض بعض الناس القائمين بفريضة الأمر المعروف والنهي عن المنكر، وقد يتوقف بعضهم عن القيام بهذه الفريضة بحجة أنها تتعارض مع الحريات الشخصية، وأنه يجب علينا أن نترك الناس وشأنهم فيما يتعلق بأقوالهم وأفعالهم.

يظهر الجواب من خلال النقاط التالية:

حث الإسلام على ترك التدخل فيما لا يعني:

فقد جاء الترغيب في ترك الفضول من الأقوال والأفعال، وترك فضول النظر، والخوض فيما لا يعني. وقد أكدَّ النبي ﷺ على هذا الأمر بقوله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". وهذا الحديث من (كلام النبوة وحكمتها وهو جامع لمعان جمة من الخير)[1]، وقد عدَّه أهل العلم واحداً من أصول الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، قال أبو داود: (نظرت في الحديث المسند فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت فإذا مدار أربعة آلاف

(١) الاستذكار ٢٧٦/٨.

الحديث على أربعة أحاديث: حديث النعمان بن بشير الحلال بيّن والحرام بيّن، وحديث عمر إنما الأعمال بالنيات، وحديث أبي هريرة إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين الحديث، وحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[1].

وقال الناظم:

عمدة الدين عندنا كلمات أربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية[2].

قال ابن عبد البر: (وليس المراد أنه يترك ما لا عناية له به ولا إرادة بحكم الهوى، وطلب النفس، بل بحكم الشرع والإسلام. ولهذا جعله من حسن الإسلام؛ فإذا حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الإسلام من الأقوال والأفعال؛ فإن الإسلام يقتضي فعل الواجبات – كما سبق ذكره في شرح حديث جبريل عليه السلام – وإن الإسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات كما قال النبي ﷺ: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)[3]. قلت: وإن حُسن الإسلام يقتضي القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما التفحص والسؤال عن خاصة الإنسان في أهله وماله وملبسه ومأكله ومركبه ووظيفته، فهذا ليس من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في شيء، وليس هو من وظائف الدعاة.

---

(١) جامع العلوم والحكم ٩/١.

(٢) عمدة القاري ٢٢/١.

(٣) جامع العلوم والحكم ١١٤/١.

الحفاظ على الحقوق الخاصة عند وجود المنكر:

وهذا من المجالات البديعة في إفساح الحريات، وقد يجهل هذا الأمر كثير ممن يحتج بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضيق على الحريات. وهم لا يعلمون أن الإسلام اشترط شروطاً للمنكر الموجب للحسبة، ومن هذه الشروط: أن يكون المنكر ظاهراً يُعلم بغير تجسس.

وأدلة هذا الشرط قوله ﷺ من حديث أبي سعيد ﷺ "من رأى منكم منكراً ..." حيث علق وجوب الإنكار برؤية المنكر، فليس للآمر والناهي أن يتجسس كي يحتسب لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾[1]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً"[2]. وعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال: "يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله"[3].

وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنك إن اتبعت عورات

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن، رقم الحديث (٦٠٦٦) الفتح: ٤٨٤/١٠.

(٣) رواه الترمذي أبواب البر والصلة باب ماجاء في تعظيم المؤمن، وهو في صحيح سنن الترمذي: ٢٠٠/٢، برقم (١٦٥٥).

الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم"[1]. وقد دلت النصوص على فضل ستر المسلم، كما جاء في حديث ابن عمر عن النبي ﷺ : "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"[2]، وقال ﷺ : "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمن ألَمَّ بشيء منها فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله، فإنه من يُبد لنا صفحته نُقم عليه كتاب الله"[3].

ولا يجوز الاطّلاع على دار الغير بغير إذن لحرمة البيوت، فعن سهل ابن سعيد قال: اطّلع رجل من جُحْرٍ في حُجَر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مِدْرَى[4] يحك به رأسه فقال: "لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر"[5]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقئوا عينه"[6]،

---

(١) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٩٢٤/٣ برقم (٤٠٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث (٢٤٤٢)، الفتح: ٩٧/٥.

(٣) حديث صحيح عن ابن عمر، أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التوبة والإنابة، برقم (٧٦١٥)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، المستدرك ٢٧٢/٤. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (١٤٩)، وخرجه في السلسلة الصحيحة (٦٦٣).

(٤) المِدْرَى: هي حديدة يسوى بها شعر الرأس، وقيل: هو شبه المشط، وقيل: هي أعواد تحدد تجعل شبه المشط، وقيل: هو عود تسوي به المرأة شعرها (شرح مسلم: ١٣٧/١٤).

(٥) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر، رقم الحديث (٦٢٤١)، الفتح: ٢٤/١١.

(٦) الحديثان رواهما مسلم في كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت الغير، شرح النووي: =

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح"[1].

وعن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه حرس ليلة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبيناهم يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمُّونه، حتى إذا دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدري من هذا؟ قال: قلت: لا، قال: هو ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب، فما ترى؟ قال عبد الرحمن: أرى قد أتينا ما نهانا الله عنه، نهانا الله فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ فقد تجسسنا، فانصرف عنهم عمر وتركهم[2].

وعن زيد بن وهب قال: أتي عبد الله بن مسعود فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً، فقال عبد الله: "إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذْ به"[3].

وسئل الإمام أحمد – رحمه الله – عن الرجل يسمع حسَّ الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه، فقال: وما عليك؟ وقال: ما غاب عنك فلا تفتش[4] وسئل

=

١٣٨/١٤.

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف برقم (١٨٩٤٣)، وورد مثل هذه المرويات عن عمر أيضاً في (١٨٩٤٢)، (١٨٩٤٤).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٩٢٥/٣ برقم (٤٠٩٠).

(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للخلال، ص ٩٨.

عن الخمر إذا كان مغطًّى، فقال: لا تتعرض له إذا كان مغطى[1]. وسئل عن الرجل يرى القنينة يرى أن فيها مسكراً، قال: دعه، يعني لا تفتش[2].

قال النووي: (وليس للآمر بالمعروف التنقير والتجسس واقتحام الدور بالظنون بل إن عثر على منكر غيَّره جهده، هذا من كلام إمام الحرمين)[3]، وقال الغزالي: (فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى اللَّه تعالى عنه)[4]، وقال ابن النحاس:(اعلم أن التجسس حرام، فليس للإنسان أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع أصوات الملاهي، ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوب إنسان ليعرف هل الذي داخله منكر أم لا؟ ولا أن يستخبر من جيران ليخبروه بما يجري في بيت جاره)[5].

وربما أن بعض المنكرات تستثنى من هذا الشرط، كالمنكرات التي لا تحتمل التأخير كمن اختلى بامرأة لينتهك عرضها، أو المنكرات التي يتعدى ضررها على الآخرين؛ فإن كان المنكر ذا ضرر وفساد متعدٍ للمسلمين، كأن يعلم المحتسب أن شخصاً أو أشخاصاً يجتمعون في بيت لصنع الخمر، والتخطيط لترويجه، فمثل هؤلاء لا حرمة لهم في هذا الجانب ؛ لأن ضررهم متعدٍ، وعملهم هذا فيه إفساد لغيرهم من المسلمين، وقد ذكر السُّنامي باباً فيه جواز الهجوم على المفسدين، والدخول في بيتهم من

---

(١) المرجع السابق، ص ١١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢١.

(٣) شرح مسلم: ٢٦/٢.

(٤) إحياء علوم الدين : ٣٢٥/٢.

(٥) تنبيه الغافلين، ص ٣٢.

غير استئذان[1]، ولعل استعماله كلمة "المفسدين" دون "الفاسدين" له معنى في هذا الباب.

تأكد الأمر والنهي عندما تكون الحرية الشخصية تهديداً للمجتمع:

في حديث النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مثل القائم على حدود الله، والمداهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين أسفلها يصعدون فيستقون الماء، فيصيبون على الذين في أعلاها، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: فإنا ننقبها في أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعاً، وإن تركوهم غرقوا جميعاً"[2].

ذكر ابن النحاس بعضاً من فوائد هذا الحديث فقال: (منها: أنه كما لا ينجي الشركاء من الهلاك قول المفسد: إنما أفسد فيما يخصني، كذلك لا ينجي المسلمين من الإثم والعقوبة قول مرتكب المنكر إنما أجني على ديني لا على دينكم...

ومنها: أنه إذا أنكر مُنْكِرٌ من أهل السفينة على الشريك الذي أراد خرقها، فاعترض عليه معترض منهم، نسب ذلك المعترض إلى الحمق وقلة العقل والجهل بعواقب هذا الفعل، إذْ المنكِر ساع في نجاة المعترض وغيره.

---

(١) نصاب الاحتساب، ص ٢٠٤.

(٢) رواه البخاري بنحوه كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهام فيه. برقم(٢٤٩٣) الفتح: ١٣٢/٥، وفي كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات برقم (٢٦٨٦)، الفتح: ٢٩٢/٥-٢٩٣، والترمذي، في كتاب الفتن، باب منه، واللفظ له، وهو في صحيح سنن الترمذي برقم(١٧٦٥)، ٢٣٣/٢، ورواه وأحمد في المسند: ٢٦٨/٤.

كذلك لا يعترض على من ينكر المنكر إلا من عظم حمقه، وقلَّ عقله، وجهل عواقب المعصية وشؤمها، إذْ المنكِر قائم بإسقاط الفرض الواجب على المعترض وغيره، وساع في نجاتهم وخلاصهم من الإثم والحرج...)[1].

ويقول الدكتور محمود توفيق محمد سعد: (يشبه الرسول ﷺ القائم على حدود الله تعالى المراقب له، الواقف عند حماه في جميع شأنه، والواقع فيها الراتع المنهمك المستمر في انتهاكها، فلا يرعوي.

يشبه هذين الصنفين -وفي رواية لأحمد[2] يضيف إليهم المداهن في حدود الله المصانع المنافق، المزين لانتهاك الحرمات، الساكت عن ذلك الانتهاك تحت ستار الحرية - يشبه هذه الأصناف الثلاثة وعلائقهم ببعضهم على ظهر هذه الأرض، بقوم شاؤوا السفر في سفينة تمخر عباب البحر، فكان بينهم استهام المنازل واقتسامها، فكان لبعضهم أعلاها

---

(١) تنبيه الغافلين، ص ٦٤-٦٥، وراجعه لمزيد من الفوائد المستنبطة من الحديث.

(٢) المسند، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناده، برقم (١٨٣٧٩) ٣٠/٣٢٩-٣٣٠.

أقول: وفي رواية البخاري أيضاً كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات رقم الحديث (٢٦٨٦) لفظه: "مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها...".

وهل هم صنفان أم ثلاثة؟

قال ابن حجر: (وقع عند الإسماعيلي في الشركة: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها" وهذا يشمل الفرق الثلاث وهو: الناهي عن المعصية، والواقع فيها، والمرائي في ذلك، ووقع عند الإسماعيلي أيضاً هنا "مثل القائم الواقع في حدود الله تعالى والناهي عنها" وهو المطابق للمثل المضروب، فإنه لم يقع فيه إلا ذكر فرقتين فقط لكن إذا كان المداهن مشتركاً في الذم مع الواقع صارا بمنزلة فرقة واحدة، وبيان وجود الفرق الثلاث في المثل المضروب أن الذين أراود خرق السفينة بمنزلة الواقع في حدود الله، ثم من عداهم إما منكر وهو القائم، وإما ساكت وهو المدهن) الفتح ٥/٢٩٥.

وكان لبعضهم أسفلها، وهو أوعرها وشرها كما في رواية لأحمد[1] – وكذلك منازل الناس في الحياة على هذه الأرض– وكان الذين في أسفلها في حاجة إلى أن يستقوا ماءً، فإذا استقوا مروا على من فوقهم، النازلين اقتراعا أعلى السفينة، فكان ضرورة أن يَصُبَّ الأسفلون عند مرورهم على الأعلين، فتأذى الأعلون، وفي رواية للترمذي وأحمد[2] "فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا" فثقل ذلك على الأسفلين: كما في رواية لأحمد[3] فقال الأسفلون: "لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً فاستقينا منه، ولم نمر على أصحابنا فنؤذيهم"، وفي رواية للبخاري[4]: "فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا: مالك؟ فقال: تأذيتم بي ولا بدَّ لي من الماء" وهنا برز صنيع المداهنين المصانعين، الذين يبغون الفتنة في الأرض تحت شعار الحرية الشخصية، فقال بعضهم كما في رواية للإمام أحمد[5]: "إنما يخرق في نصيبه" وقال الآخرون: لا، فإن أخذوا على يدي ذلك الخارق، ولم ينخدعوا بمقالة المداهن، الرافع شعار "الحرية الشخصية" نجا

---

(١) المسند، وصحح شعيب الأرنؤوط إسناده، برقم (١٨٣٧٠) ٣٠/٣٢٢.

(٢) هي الرواية التي ذكرت لفظها عند الترمذي. وهي عند أحمد برقم (١٨٣٦١) وصححها شعيب.

(٣) المسند: رقم(١٨٣٧٩)، وفي هذا إشارة إلى أن طيب المقاصد وحسن النوايا لا ينجي من العذاب، ولا يعد حجة حيث قالوا: (ولم نؤذ من فوقنا).

(٤) انظر: الفتح: ٥/٢٩٣. في هذا إشارة من النبي ﷺ إلى أن بعض المعاصي والمنكرات يكون سببها منع الحقوق الواجبة من قبل الأعلين فحين يمنع الغني الزكاة، يحمل بعض الفقراء على خرق السفينة بالسرقة ، أو الاحتيال أو غيرها.

(٥) المسند: رقم(١٨٤١١) وصححها شعيب الأرنؤوط. وفي هذا إشارة إلى الشعار الذي يرفعه المضللون المثبطون على مرّ العصور، وهو من التلبيس الذي يلبّسون به على عوام الناس، فمن مصدق، ومن متردد، ومن متوقف.

الجميع، وإن تركوه يخرق في نصيبه خرقاً هلكوا جميعاً.

هذا التفصيل لوقائع الأحداث في المشبه به (أصحاب السفينة) يشير إلى وقائع مثلها في حياة الناس، في هذه الأرض، والرسول ﷺ اختار موقع أحداث المشبه به سفينة، وهو مكان دال على عظيم تعرضه للمخاطر الجسام، التي لا تخفى، ليهدي الناس إلى أن هذه الأرض، وما عليها، لا تقل تعرضاً للمخاطر الجسام عما تتعرض له السفينة في بحر لجّي، قد تكون خطايا بعض ساكنيها سبباً لهلاك جميعهم حين لا يأخذون على أيديهم)[1].

التأمل في الأسباب الدافعة لإنكار المنكر:

المتأمل في الدوافع التي تجعل المسلم حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجد أن المراد منها كبت الحريات الشخصية والتضييق على الناس، ولكن هناك دوافع يقصد من ورائها مصلحة ثلاثة أطراف: أولها: الآمر والناهي. ثانيها: المأمور والمنهي. ثالثها: المجتمع عامة.

فيُعلم أن ترك القيام بهذا الواجب يؤدي إلى الضرر، والمطلوب إزالة الضرر وبخاصة إذا كان عاماً أو متعدياً. وليتأمل المرء مثلاً ما ينتج عن المنكرات من العقوبات الإلهية لكان حرياً به أن يقف في وجهها مهما اعترض المفسدون. فعن زينب بنت جحش – رضي الله عنها – أن النبي – ﷺ – دخل عليها فزعاً يقول: "لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها" قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال:

---

(١) فقه تغيير المنكر، ص ٣٨-٤٠.

"نعم إذا كثر الخبث"[1]. كثرة الخبث تؤذن بالعذاب الإلهي العام، والهلاك الشامل، وهذه سنة الله سبحانه في كل أمة يحق عليها العذاب فإن لم يكن في الأمة من ينهي عن السوء والفساد، فلا نجاة لأحد منها: ﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[2].

فليست وظيفة الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تعطيل الحريات، بل هو صمام الأمان للأمة، وسبب نجاتها من الإهلاك العام، فإن فُقِد هذا الصنف من الناس؛ فإنّ الأمة – وإن كان فيها صالحون – يحل عليها عذاب الله كلها؛ صالحها وفاسدها؛ لأن الفئة الصالحة سكتت عن إنكار الخبث، وعطلت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاستحقت أن تشملها العقوبة. وجاء من حديث جرير – رضي الله عنه – قال سمعت رسول الله –ﷺ – يقول: "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا"[3]. فمن حق كل مسلم أن يدفع الضرر عن نفسه مما سيلحق به من آثار المعاصي، وإن ادَّعى أحد أن في ذلك كبتاً للحرية فقد جهل النتائج.

قلت: إن من يعترض على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة الحرية عليه أن يطمئن؛ لأن الحرية بمفهومها الصحيح مطلب نحن أول من يطالب به.

---

(١) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج. برقم (٣٣٤٦) الفتح: ٣٨١/٦.

(٢) سورة هود، الآية ١١٦.

(٣) رواه أبو داوود كتاب أحاديث الملاحم، باب الأمر والنهي، برقم(٤٣٣٩) وحسنه الألباني.

أسئلة موجهة لمن يعارض الأمر بالمعروف بحجة الحرية:

من الضروري أن أسأل هذه الأسئلة:

- ماذا يقال فيما ثبت من عشرات النصوص المتضافرة في الكتاب والسنة التي توجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- ما الجواب على ما ورد عن النبي ﷺ من مواقف في إنكار المنكر، سواء أكان على الكفار أم المسلمين، وفي جوانب الحياة المختلفة: العقدية والعبادية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية؟
- ما القول في العقوبات المفروضة، التعزيرات منها، والحدود التي شرعت لردع المجرمين والمفسدين؟
- ما الرأي في آلاف الآثار الثابتة عن سلف الأمة، من الصحابة والتابعين، وتابعيهم بإحسان، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- هل اعتراض من يعترض على الأمر بالمعروف معارضة للمبدأ ذاته؟ أم اعتراض على الأسلوب الذي يستعمله الآمر؟ فإن كانت الأولى فأنت على خطر، وإن كانت الثانية فالأمر هين. وذلك بتقويم الخطأ لا بقطع الأمر.

وأخيراً أسأل القارئ: من أكثر الناس اعتراضاً على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن يبحث عن مثالب الآمرين بالمعروف ويستقصي عيوبهم، ويحصي أخطاءهم؟ أليس هو غالباً ممن وقف أولئك المصلحون في وجهه في مرات عدة، وقد عارضوا محبوباته وشهواته، وربما حصل له موقف معهم بهذا الصدد، فكشفوا فساده وعواره وسوء عمله، فتسبب ذلك بحنقه عليهم. والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني
تجارب غربية في ضبط الحرية

لا يمكن الزعم بأن الحرية الشخصية موجودة على إطلاقها. ومن ادعى وجودها فقد أَخطأ. فكل تجمع بشري لا بد له من وضع ضوابط تنظم سير حياتهم. وهذه الضوابط البشرية قد تصيب وقد تخطئ.

فهل يستطيع أحدٌ في المجتمعات الغربية أن يقطع إشارة المرور من غير أن يجد محاسبة؟ وهل يتعارض هذا مع الحرية الشخصية؟

ولو امتلك رجلٌ سيارة فإنه يحق له التصرف بها في حدود معينة، ولا يسمح له بقيادتها بغير رخصة؛ أو دون السن القانونية. فهل يتعارض هذا مع الحرية الشخصية؟

وهل يقدر إنسان في الغرب أن يتصرف في أرض يملكها بحُرِّ ماله كما شاء وكيفما أراد، كأن يبني بيتاً على الوجه الذي يريد. دون أن يأخذ في الاعتبار الضوابط التي تضعها البلدية أو غيرها؟ فهل يتعارض هذا مع الحرية الشخصية؟

والأمثلة على هذا الأمر كثيرة، والأهم من ذلك هو تجلية الصورة، فلعل الفكرة التي أريد أن أوصلها اتضحت. وهذا التقييد والتقنين موجود في كل تجمع بشري سواء أكان في الشرق أم الغرب، وسواء أكان المجتمع مسلماً أم لا.

ولا تتوقف هذه القيود عند الأمور الحسية فحسب؛ بل تتجاوزها إلى النواحي الأخلاقية والدينية، فلا أدري ما الضابط حقيقة في الأنظمة الغربية؟ وإني لأعجب حين ينتقد الإسلام وحده في تقنينه للحرية الشخصية.

(ففي بريطانيا تم إنتاج شريط فيديو قصير عن المسيح عليه السلام تحت عنوان «مشاهد صوفية»، إلا أن جهاز الرقابة على الأفلام في بريطانيا رأى أن الفيلم يمثل إساءة إلى المسيحية، وأنه ينطوي على التحريف، وإساءة الأدب في حق المسيح، فقررت الرقابة حظر عرض الشريط على الجمهور، الأمر الذي احتج عليه بشدة مؤلف الفيلم، ومخرجه على السواء، ورفعا القضية إلى محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في «ستراسبورغ»، إلا أن المفاجأة كانت في رفض المحكمة لاعتراض الكاتب والمخرج، وتأييدها لقرار جهاز الرقابة البريطاني، وتأكيدها أن الفيلم انطوى على إساءة الأدب، وقدر غير قليل من التحريف والإساءة إلى المسيحية)[1].

وفي مجال مراقبة الإنترنت لم يكن الاهتمام بضبط استخدام الإنترنت قاصراً على المجتمعات المحافظة فقط، فَثَمَّةَ جهات كثيرة عالمية وضعت ضوابط لاستخدام الإنترنت؛ ففي الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت إحدى عشرة ولاية "تشريع أكسون" القاضي بتقييد استعمال الإنترنت وحَصره لتأمين "الحشمة" وكان الكونجرس أقره، ووقّع عليه الرئيس السابق كلنتون سنة ١٩٩٥م، لكن لم يلبث أن أُلغي من محاكم عدة على اعتبار أنه منافٍ للحريات، ويخالف المادة الأولى من الدستور الأمريكي التي تنص على حرية التعبير، وقامت جامعتا كارنيغي ميلون وأكسفورد بوضع ضوابط لاستخدام الإنترنت، ومنعت الأخيرة مجموعات إخبارية إباحية، وكذلك قامت شركة الهاتف الألمانية بقطع الخطوط الهاتفية

(١) مقال: مصطلح «الحرية» بات مشبوهًا، وغدا هاجسًا يقلق المجتمع، لجمال سلطان، جريدة المحايد، العدد: ٨٦، ١/ربيع الأول/١٤٢٥هـ.

الخاصة بمقدم خدمة أمريكي لحمله مواد دعائية للنازية، وقد دعا البرلمان الأوربي إلى تحرك عالمي لضبط تبادل المواد الإباحية، والعنصرية على الإنترنت، وكان مما دعا إليه تكوين "شرطة إنترنتية"، ووضع اتفاقيات دولية لمحاكمة من يسيئون استخدام الإنترنت، وأكد على ضرورة تحديد معايير محددة للمواد غير المرغوب بها. يُذكر أن ألمانيا كانت الدولة الأوربية الأولى التي تراقب الإنترت تحت مسمى "المراقبة الإيجابية"[1].

تلك النماذج الغربية مهما سمت فهي معرضة للخطأ؛ لأنها نابعة من العقل البشري المتصف بالقصور الزماني والمكاني[2]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فكل بشر على وجه الأرض فلا بد من أمر ونهي، ولا بد أن يأمر وينهى، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها إما بمعروف وإما بمنكر كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[3] .... وإذا كان الأمر والنهي من لوازم بني آدم، فمن لم يأمر بالمعروف الذي أمر الله به رسوله، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله وإلا فلا بد أن يَأْمر وينهى،

---

(١) مقال كتبه معتز الخطيب، على الشبكة الإسلامية، بتاريخ ٢٠٠٢/١١/٢٤.

(٢) لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا التجربة الفاشلة التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية حينما أصدرت قانون منع بيع الخمور وشربها عام ١٩١٩م ولكنها اضطرت إلى إلغائه في عام ١٩٣٣م بعد خسائر فادحة، والسبب انتفاء الإيمان الذي هو أساس تغيير السلوك والعادات. فعلى سبيل المثال: يقدر ما أنفقته الحكومة الأمريكية في الدعاية ضد الخمر ما يزيد على ستين مليون دولاراً، وما أصدر من الكتب والنشرات يبلغ عشرة بلايين صفحة، وغيرها كثير. انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٨٠. قلت: هذا يبين الآثار المترتبة على انفتاح الحريات وعدم ضبطها. بينما في المجتمع الإسلامي في الصدر الأول فعلت آية واحدة (فهل أنتم منتهون) ما لم تفعله ملايين الدولارات! فهل أنتم تعقلون وتدركون؟.

(٣) سورة يوسف، الآية ٥٣.

ويُؤْمر ويُنهى، إما بما يضاد ذلك، وإما بما يشترك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله الله. وإذا اتخذ ذلك ديناً كان ديناً مبتدعاً)[1].

ونتيجة ذلك أن ضرورة التجمع البشري تقتضي وجود أنظمة شرعية تعالج الآثار المترتبة على هذا التجمع من التزاحم والتنافس والتخاصم، الذي يقتضي وجود سلطة تأمر وتنهى وتزجر وتحاسب وتعاقب، تملك قوة التنفيذ والفصل. وربما يفهم بعض الناس أن وجود هذه الأنظمة يعدُّ تقييداً للحريات.

والحق أنه قد أثبت الدليل العقلي القطعي وجوب إيجاد مثل هذه الضوابط، وأثبت الدليل العقلي كذلك أن الحرية لها حدود، سواء أكان ذلك في الشرق أو في الغرب. ولنضرب على هذا مثالاً حسياً يوضح المراد إذا ما قورن بالوضع المعنوي: فلو ذهبت إلى مكان جميل رحب نظيف، فجاء شخص يزعجك بقذف قاذوراته أمامك، وأمام الآخرين. فهل يجب عليك أن تسكت عن ذلك بحجة أن هذا الشخص حرٌّ في الاستمتاع بالمكان بطريقته؟ وهل يجب عليك أن تسكت عمن ملأ جو المكان النقي بروائح عفنة، وغازات ضارة؟

(١) الحسبة في الإسلام، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٩٣-٩٤.

المبحث الثالث

دراسة ميدانية تطبيقية حول الحرية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

منهج الدراسة:

هي دراسة ذات منهج وصفي، واستخدمت بالتحديد الدراسة المسحية التي تتطلبها طبيعة هذا البحث، التي تهتم بدراسة الحاضر وتتسم بالسعة، وتزود الباحث بمعلومات تمكنه من التعليل، والتفسير والكشف عن العلاقات. واستخدمت استبانة مكونة من مجموعة أسئلة.

وراعيت في الاستبانة ارتباط أسئلتها بالبحث، وتحقيق أهدافه المنشودة، وراعيت فيها التنوع، والشمول لجوانب الموضوع، كما راعيت فيها اليسر والوضوح في العبارة.

وأجريت اختباراً مبدئياً للاستبانة قبل البدء بالمسح الرئيس، لكي أكتشف بعض المشكلات، وأسعى في حلها.

وقدمتُ الاستبانة عن طريق الاتصال المباشر؛ لأني أعتقد أن الاتصال المباشر أكثر دقة؛ لأنه يمكّن الباحث من توضيح ما يثار من تساؤلات.

مجتمع الدراسة، والعينة:

الحقيقة أن جمهور الدراسة في مثل هذه الموضوعات واسع النطاق. فالرجل والمرأة والصغير والكبير والطالب والمدرس والموظف والعامل والبائع وغيرهم من طبقات المجتمع المختلفة كل أولئك لهم شأن في الموضوع. وجمهور بهذا الانتشار يصعب حصره فضلاً عن دراسته. ولكن حسبي أنموذج من هذا الجمهور، عيّنةً واحدة لعلها تُظهر الصورة. وهذه العينة

عبارة عن طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

وستقتصر عينة الدراسة على طلاب جامعة الملك فهد للبترول والمعادن؛ ولأن قلة العدد في العينة يؤثر في النتائج سأحرص على اختيار عدد كبير نسبياً لضمان الصدق في النتائج؛ (ولعل سبب ذلك هو أن أي سمة من السمات الإنسانية موزعة بين الناس بدرجات متفاوتة، وكلما كانت العينة أكثر تمثيلاً لأفراد المجموعة كانت النتائج أكثر دقة)[1].

وقد حصرت أعداد الطلاب المبحوثين في الجامعة، ولأنه يصعب تحديد العينة بحسب القسم في هذه الجامعة فقد حددت مجتمع الدراسة بالطريقة العشوائية وفقاً لأعداد الشعب الدراسية. واستخدمت أسلوب العينة العشوائية المنتظمة (systematic)؛ لأني وجدته الأنسب لطريقة بحثي، ولأن أفراد المجتمع الأصلي للدراسة كلهم معرفون تماماً ومسجلون في قوائم ومتجانسون أيضاً، وبالتالي فإن هذا الحصر يُتيح اختيار عينة تمثلهم.

وقد عمدت إلى اختيار الرقم (٣) عشوائياً، واخترت مسافة ثابتة منتظمة بين كل رقم والرقم الذي يليه وهي عشرة أرقام، فصار الترتيب كالتالي: ٣، ١٣، ٢٣، ٣٣.....وهكذا، كل شعبة على حدة.

وبهذا صار عدد من ستكون عليهم الدراسة (٥٧) طالباً، وقد أجاب جميع الطلاب الـ (٥٧) على جميع الأسئلة، مع أني أخذت الحيطة فزدت من الاستبانات تحسباً لضياع أو ترك الإجابة عنها. وأما العدد الإجمالي لمن شملتهم الدراسة وتفاصيل ذلك فهو بالنظر إلى أَن عدد الشعب في مادة الإيمان (١٤) شعبة، وعدد الطلاب (٥٥٦) طالباً على النحو التالي:

---

(١) المرشد في كتابة الأبحاث، الدكتور حلمي فودة والدكتور عبدالرحمن صالح عبدالله، ص ٣٦.

(جدول ١)

الشعبة	عدد طلابها	عدد المبحوثين
١	٤٢	٤
٢	٤٣	٥
٣	٣٩	٤
٤	٣٩	٤
٥	٤٢	٤
٦	٤٢	٤
٧	٤١	٤
٧	٤٣	٥
٩	٤٣	٥
١٠	٤٠	٤
١١	٤٣	٥
١٢	٤٢	٤
١٣	٢٠	٢
١٤	٣٧	٣
المجموع	٥٥٦	٥٧

وتمَّ هذا الاختيار العشوائي وفق شرط محدد -كما رأيت- لا وفق الصدفة، فقد توفر لكل فرد من أفراد المجتمع الأصلي للدراسة الفرصة المكافئة لكل فرد آخر، دون تحيز أو تدخل من الباحث[1]. والله تعالى أعلم.

(١) البحث العلمي. مفهومه. أدواته. أساليبه، الدكتور ذوقان عبيدات والدكتور عبدالرحمن عدس والدكتور كايد عبدالحق، ص ١٠٩-١١١.

تحكيم الاستبانة:

تمَّ إجراء اختبار الصدق (validity) وذلك بتحكيم الاستبانة عن طريق مجموعة أساتذة من مختلف التخصصات بعد أن عُرضت عليهم الاستبانة وأهدافها، ثمَّ عُملت التعديلات المقترحة حذفاً وإضافة على ضوء رأي المحكمين، فلهم مني جزيل الشكر على تعاونهم، وهم: الدكتور/ عبدالكريم بن صالح الزهراني، والدكتور/ عبدالله بن عمر الحاج، والدكتور/ عبدالرزاق حسين، والأستاذ/ محمد بن عبدالرحمن الزامل، وجميعهم أساتذة في قسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن.

أهداف الدراسة:

هناك هدف قريب وآخر بعيد، أما البعيد فيظهر في عرض صورة حية صادقة -قدر الإمكان- عن واقع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاقته بالحرية. على أن تكون هذه الصورة من رسم من يتعامل مع هذا الواقع، وهم أفراد المجتمع متمثلاً في طلاب المرحلة الجامعية.

وأما الهدف القريب فهو محاولة لإظهار الحقيقة، وتصحيح المفاهيم حول علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحرية الشخصية.

إجراءات البحث:

- الذي عملته في هذه الاستبانة هو إعداد مجموعتين من الأسئلة، كل مجموعة تحوي عشرة أسئلة متقابلة. وتلك الأسئلة لها علاقة مباشرة بالحرية، والتصرفات الشخصية، كالتصرف في المال، أو حرية الملبس، أو حرية الكلام، أو غير ذلك.

- الأسئلة العشرة متقاربة من حيث المؤدَّى، والفرق بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية يبرز في طريقة الإعداد، وأسلوب الصياغة فقط، ولكن حقيقة السؤال بين المجموعتين لا تختلف كثيراً.
- حاولت أولاً أن أحصر المجالات والتصرفات التي تدخل في حدود الحرية، ويعتبرها الناس حرية شخصية؛ فوجدت أن غالبها يتعلق بالكلام والسماع واللباس والعلاقات الاجتماعية والتصرفات المالية والمطعومات والاتجاه الثقافي، وهناك مجالات أخرى داخلة في نطاق الحرية، ولكني اكتفيت بما ستراه في الاستبانة؛ لأنه يكفي في تحقيق الهدف من البحث.
- تمَّ توزيع المجموعة الأولى من الاستبانة على عينة من الطلاب، ثمَّ بعد ذلك أُعطي هؤلاء الطلاب أنفسهم المجموعة الثانية من الاستبانة.
- أستطيع القول بأن المجموعة الثانية من الأسئلة عبارة عن الأعمال التي يقوم بها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر سواء أكانوا متطوعين أم رسميين. أما المجموعة الأولى من الأسئلة ففيها عموم ظاهر، وقد يستعمل بعض الناس هذا العموم في وصف عمل هيئة الأمر بالمعروف، فينتج عنه تغطية الصورة الحقيقية، وبالتالي يتهمون بأنهم يقيدون الحريات بل وينتهكونها.
- ثم بعد ذلك سوف يتم عرض النتائج وتحليلها وتفسيرها من خلال الأجوبة التي حصلت عليها في الاستبانة.
- أردت أن يكون هذا البحث دليلاً عملياً صادقاً في بيان هذا الموضوع، ومع هذا فإني أقول: إني موقنٌ تمام اليقين بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتعارض مع الحريات، والسبب في ذلك عندي ظاهر

جداً، وهو: لأن الله سبحانه هو الذي شرعه. ولكن من باب تأكيد هذه المسألة، ودفع الشكوك والشبهات التي يوردها بعض الناس. والعلم عند الله تعالى.

عرض نموذج الاستبانة:

المجموعة الأولى

أخي الكريم: الرجاء التكرم بتعبئة الاستبانة بما يعبر عن رأيك الصريح.

ملاحظة: هذه الأسئلة تستخدم في مجال البحث العلمي فقط.

س١: هل تتضايق حينما يتدخل شخص ما في أسلوب حياتك، كتدخله في خصوصيات بيتك، وخصوصية أهلك وأولادك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٢: هل تتضايق حينما يتدخل أحدٌ من الناس في نوع وطريقة لباسك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٣: هل تتضايق حينما يطلب منك شخص ما السكوت أثناء كلامك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٤: هل تتضايق إذا تدخل أحد في نوع أكلك أو طريقة أكلك؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٥: هل تتضايق إذا تدخل أحد فيما تسمعه؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٦: هل تتضايق إذا تدخل أحد في طريقة تصرفك في أموالك، أو أن تفعل بها ما تشاء؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٧: هل تتضايق إذا حدد لك شخص ما مع من تتكلم أو من تصاحب؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٨: هل تتضايق إذا حدد لك شخص مصدر ثقافتك كنوع القراءة مثلاً؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٩: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحح الخطأ بقسوة وجفاء؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س١٠: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

المجموعة الثانية

أخي الكريم: الرجاء التكرم بتعبئة الاستبانة بما يعبر عن رأيك الصريح.

ملاحظة: هذه الأسئلة تستخدم في مجال البحث العلمي فقط.

س١: لو رأى شخص ابنك وهو يخطئ فنصحه بطريقة حسنة، فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٢: إذا لبست لباساً فيه نوع من المخالفة الشرعية فكلمك شخص ما عن ذلك بأسلوب مهذب. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٣: لو اغتبت شخصاً أو تكلمت بفحش أو سب، فنصحك شخص ما بطريقة لبقة مهذبة. هل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٤: لو أكلت بشمالك، أو أكلت لحم خنزير وأنت لا تدري. هل تتضايق إذا نصحك شخص ما بطريقة مؤدبة؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٥: لو كنت ممن يسمع الأغاني، فطلب منك شخص ما أن تخفض صوت الأغاني. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٦: لو تعاملت بالربا فحذرك منه شخص ما بطريقة مهذبة. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٧: لو أن رجلاً عرف أن من تمشي معهم هم من أصحاب المنكرات والفواحش. فنصحك بألا تمشي معهم. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٨: لو أرشدك إنسان ما إلى كتاب نافع كي تقرأه. فهل تتضايق؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س٩: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحح الخطأ بأسلوب ليّن وبرفق تام؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

س١٠: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

☐ نعم ☐ لا ☐ غالباً ☐ نادراً

عرض النتائج

رأي المبحوثين في السؤال الأول:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق حينما يتدخل شخص ما في أسلوب حياتك، كتدخله في خصوصيات بيتك، وخصوصية أهلك وأولادك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١/أ)

السؤال الأول في المجموعة الأولى	النسبة المئوية
نعم	56
لا	4
غالباً	30
نادراً	٠1

وكان السؤال الأول في المجموعة الثانية هو: لو رأى شخص ابنك وهو يخطئ فنصحه بطريقة حسنة، فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١/ب)

السؤال الأول في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	88
غالباً	4
نادراً	8

رأي المبحوثين في السؤال الثاني:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق حينما يتدخل أحدٌ من الناس في نوع وطريقة لباسك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٢/أ)

السؤال الثاني في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	39
لا	18
غالباً	26
نادراً	17

وكان السؤال الثاني في المجموعة الثانية هو: إذا لبست لباساً فيه نوع من المخالفة الشرعية فكلمك شخص ما عن ذلك بأسلوب مهذب. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٢/ب)

السؤال الثاني في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	2
لا	82
غالباً	4
نادراً	12

رأي المبحوثين في السؤال الثالث:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق حينما يطلب منك شخص ما السكوت أثناء كلامك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٣/أ)

السؤال الثالث في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	60
لا	9
غالباً	21
نادراً	10

وكان السؤال الثالث في المجموعة الثانية هو: لو اغتبت شخصاً أو تكلمت بفحش أو سب، فنصحك شخص ما بطريقة لبقة مهذبة. هل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٣/ب)

السؤال الثالث في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	88
غالباً	3
نادراً	9

رأي المبحوثين في السؤال الرابع:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا تدخل أحد في نوع أكلك أو طريقة أكلك؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٤/أ)

السؤال الرابع في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	44
لا	21
غالباً	23
نادراً	12

وكان السؤال الرابع في المجموعة الثانية هو: لو أكلت بشمالك، أو أكلت لحم خنزير، وأنت لا تدري. هل تتضايق إذا نصحك شخص ما بطريقة مؤدبة؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٤/ب)

السؤال الرابع في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	5
لا	90
غالباً	0
نادراً	5

رأي المبحوثين في السؤال الخامس:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا تدخل أحد فيما تسمعه؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٥/أ)

السؤال الخامس في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	21
لا	28
غالباً	25
نادراً	26

وكان السؤال الخامس في المجموعة الثانية هو: كنت ممن يسمع الأغاني، فطلب منك شخص ما أن تخفض صوت الأغاني. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٥/ب)

السؤال الخامس في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	84
غالباً	5
نادراً	11

رأي المبحوثين في السؤال السادس:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا تدخل أحد في طريقة تصرفك في أموالك، أو أن تفعل بها ما تشاء؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٦/أ)

السؤال السادس في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	30
لا	19
غالباً	28
نادراً	23

وكان السؤال السادس في المجموعة الثانية هو: لو تعاملت بالربا فحذَّرك منه شخص ما بطريقة مهذبة. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٦/ب)

السؤال السادس في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	98
غالباً	0
نادراً	2

رأي المبحوثين في السؤال السابع:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا حدَّد لك شخص ما مع من تتكلم أو من تصاحب؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٧/أ)

السؤال السابع في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	60
لا	8
غالباً	25
نادراً	7

وكان السؤال السابع في المجموعة الثانية هو: لو أن رجلاً عرف أن من تمشي معهم هم من أصحاب المنكرات والفواحش. فنصحك بألا تمشي معهم. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٧/ب)

السؤال السابع في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	2
لا	68
غالباً	12
نادراً	18

رأي المبحوثين في السؤال الثامن:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل تتضايق إذا حدد لك شخص مصدر ثقافتك كنوع القراءة مثلاً؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٨/أ)

السؤال الثامن في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	44
لا	25
غالباً	19
نادراً	12

وكان السؤال الثامن في المجموعة الثانية هو: لو أرشدك إنسان ما إلى كتاب نافع كي تقرأه. فهل تتضايق؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٨/ب)

السؤال الثامن في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	1
لا	93
غالباً	2
نادراً	4

رأي المبحوثين في السؤال التاسع:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحح الخطأ بقسوة وجفاء؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٩/أ)

السؤال التاسع في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	58
لا	9
غالباً	26
نادراً	7

وكان السؤال التاسع في المجموعة الثانية هو: إذا عملت خطأ هل تتضايق إذا صُحّح الخطأ بأسلوب ليّن وبرفق تام؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ٩/ب)

السؤال التاسع في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	2
لا	88
غالباً	0
نادراً	10

رأي المبحوثين في السؤال العاشر:

وكان السؤال في المجموعة الأولى هو: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١٠/أ)

السؤال العاشر في المجموعة الأولى	نسبة
نعم	39
لا	19
غالباً	30
نادراً	12

وكان السؤال العاشر في المجموعة الثانية هو نفسه لم يتغير: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟

وقد جاءت نتائج السؤال وفق الجدول التالي: (جدول ١٠/ب)

السؤال العاشر في المجموعة الثانية	نسبة
نعم	0
لا	84
غالباً	7
نادراً	9

تحليل النتائج وتفسيرها

أسلوب الصياغة:

يظهر من النتائج السابقة أن أسلوب صياغة الأسئلة، وطريقة عرضها له تأثير كبير في النتيجة، حيث كانت نسبة الذين أجابوا بـ: (نعم) و (غالباً) في المجموعة الأولى من الأسئلة ظاهرة الارتفاع. أما وهم أنفسهم لما سُئلوا السؤال نفسه ولكن بطريقة مختلفة وأسلوب مغاير كما في المجموعة الثانية كانت نسبة الذين أجابوا بـ: (نعم) و (غالباً) قليلة جداً.

العكس صحيح عند الكلام عن نسبة الذين أجابوا بـ: (لا) و (نادراً) في المجموعة الأولى حيث كانت قليلة جداً. أما وهم أنفسهم لما سُئلوا السؤال نفسه بطريقة مختلفة كما في المجموعة الثانية كانت نسبة الذين أجابوا بـ: (لا) و (نادراً) مرتفعة جداً.

سؤال فيصل:

لفت نظري السؤال العاشر -وقد كان موحداً بين المجموعتين- وهو: هل ترى أن ما ذُكر في الأسئلة السابقة يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية؟ إن نسبة الذين أجابوا بالإيجاب في المجموعة الثانية من الأسئلة لا يمثلون شيئاً في النسبة حيث كانت نسبتهم (٠٪). وإني لأرجو من قارئ هذه

الورقات أن يعيد النظر في الأسئلة التي كتبتها في المجموعة الثانية، كما أرجو أن يتأملها جيداً.

إظهار الحقيقة:

المجموعة الثانية من الأسئلة تمثّل عمل الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر في الغالب. على أن هناك من يصور الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأنهم يقومون بتوجيه الناس بالطريقة المشار إليها في المجموعة الأولى من الأسئلة، وهذا من المغالطة في إظهار الواقع على خلاف ما هو عليه.

قلب الحقائق:

يستطيع المتحدث عن الآمرين بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقلب الحقيقة، بحيث يُخبر عن عملهم بما لا يتناسب مع الواقع.

فمثلاً: حين يقول لك إنسان: هل تتضايق حينما يطلب منك شخص ما السكوت أثناء كلامك؟ أو هل تتضايق إذا تدخل أحد في نوع أكلك أو طريقة أكلك؟

قلت: لا شك أنه حين يتمُّ عرض الموضوع بهذا الشكل؛ فإن الكثيرين سيعدونه من التدخل في الحريات الشخصية. ولكن هنا سؤال منطقي وهو:

هل هذا هو أسلوب الدعاة حين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ هل هم ممن يتدخلون مطلقاً في أفعال الناس؟ هل هم ممن يتدخل مطلقاً في أكل الناس؟ أو يتدخلون مطلقاً في سماع الناس أو كلامهم؟

إن هذا التدخل بالصورة المذكورة آنفاً لم أره في عملهم، ولم يقل به المنصفون من الناس. فما شهدنا إلا بما علمنا، وإذا كان الأمر كذلك فقد ثبت من خلال هذا البحث وبشهادة من شملتهم الدراسة أن عمل الآمرين

بالمعروف والناهين عن المنكر إذا كان وفق ما جاء في قائمة المجموعة الثانية من الأسئلة فإنه لا يُعدُّ تدخلاً في الحريات الشخصية. والمنصف حينما يتأمل عمل الدعاة إلى الخير يجد بلا ريب أنه ينطبق على المجموعة الثانية من الأسئلة.

إذاً لعل هناك مشكلة في تزوير الحقائق، وتسمية الأشياء بغير اسمها، وذلك حينما يُعرض فعل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بأنه تدخل في الحريات، كما تمَّ تصويره في المجموعة الأولى من الأسئلة، فأقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وكذب قديم، فقد اعتبر بعض الناس الربا تطوراً اقتصادياً، والزنا وشرب الخمر حرية شخصية، كما اعتبروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حدًّا من الحريات وتدخلاً في شؤون الآخرين، فالتبس الحق بالباطل، واستبدل الهوى بالهدى.

نقد الأسلوب أم انتقاد المبدأ؟

ربما كانت المشكلة في الأسلوب والطريقة التي ينتهجها بعض الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وهذا أمرٌ لا أنكره لأنهم بشرٌ يصيبون ويخطئون كما يخطئ غيرهم، وإذا كان ذلك كذلك فليس الحل هو تزييف الحقائق، وإلباسهم ثياباً لم يرتدوها. وكذلك أقول: إنه لمن الظلم والتعدي تعميم هذا الخطأ على جميع العاملين في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ثم أقول: إنه لحري بالمخلصين أن يسددوا عمل أهل الحسبة، وأن يكملوا نقصهم، وأن يعينوهم على أداء هذا الواجب.

تشابهٌ مقصود:

- لا شك أن المجموعتين من الأسئلة لا يتطابقان من جميع الوجوه، وقد قصدت هذا؛ لأني قلت إن التشابه حاصل في نتيجة كل سؤال، وهذا

هو الهدف من الاستبانة والبحث. فلا يضير الاختلاف في الأسلوب والصياغة ما دامت النتيجة واحدة.

- تكلمت بلغة معروفة، وهي لغة الأرقام التي لا تجامل أحداً، ولا تتأثر بعاطفة، وإنما تعطي الصورة الأقرب للحقيقية، والله تعالى أعلم.
- كراهة التدخل في الخصوصيات، وعدم ممانعة التدخل المنضبط.
- ظهر جلياً من خلال النتائج أن الناس لا يعترضون على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يعدونه من التدخل في الحريات الشخصية، ولا من التطاول عليها.
- من طبع الإنسان أنه لا يحب أن يتدخل أحد في شؤونه وخصوصياته – كما هو نتيجة المجموعة الأولى– لكن هذا الإنسان نفسه لا يمانع عندما يكون هذا التدخل يحقق مصلحة له ومنفعة. وإنما يعترض الجهال، أو المغيبون لعقولهم، أو غير المدركين لمصالحهم، وهذا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياقه الشرعي، وهذا التدخل المنضبط وارد من الأطباء في المسائل الصحية، أو من المؤسسات الاجتماعية المنظمة لحياة المجتمع في مسائل المرور والغش والأمن وغيرها.

فالعقلاء إذاً يرحبون بكل ما فيه مصلحتهم حتى لو عده البعض قيداً أو تدخلاً أو غير ذلك.

- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأعمال الجليلة التي لها آثار ومصالح عديدة، سواء أكانت تلك الآثار عائدة إلى الآمر أو المأمور أو عامة، وهذا أمر لا ينكره أحد. فلا ينبغي أن يصار إلى القول زوراً بأنه تدخل في الحريات.

- إن الحرية الشخصية تُعدُّ في الإسلام من الأمور التي يجب صيانتها ورعايتها، فهي من المعروف الذي يسعى الإسلام لتحقيقه وتأكيده، ولكن بضوابط وقيود، ولا يخلو قانون من ضوابط.

ثبت المراجع

١- أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، (الكويت: الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية).

٢- أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر).

٣- أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي، تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، (الرياض: مكتبة الحرمين، ١٤٠٦هـ) ط: الثانية.

٤- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، (إستانبول: طبعة دار الدعوة تركيا، ١٤٠١هـ).

٥- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الحسبة في الإسلام، (الكويت: مكتبة دار الأرقم، ط. الأولى، ١٤٠٣هـ).

٦- أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ت: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ) ط: الأولى.

٧- أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٨- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة).

٩- أحمد بن محمد بن هارون الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ت: مشهور حسن محمود سلمان وهشام بن إسماعيل السقا، (المكتب الإسلامي، ١٤١٠هـ) ط: الأولى.

١٠- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٠م) ط: الثالثة.

١١- بدر الدين العيني، عمدة القارئ، (بيروت: دار إحياء التراث).
١٢- جريدة المحايد، العدد: ٨٦، ١/ربيع الأول/١٤٢٥هـ.
١٣- حلمي فودة والدكتور عبدالرحمن صالح عبدالله المرشد في كتابة الأبحاث، (جدة: دار الشروق، ١٩٨٣م) ط: السادسة.
١٤- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ت: محمود الطحان، (الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ).
١٥- ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي مفهومه أدواته أساليبه، (عمان: دار مجدلاوي).
١٦- زين الدين بن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (دار الدعوة، طبعة الحلبي، ١٣٨٢هـ).
١٧- الضحاك بن مخلد بن أبي عاصم، كتاب السنة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ) ط: الثانية.
١٨- عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠٣هـ) ط: الثانية.
١٩- عبدالرحمن بن أعين القرشي، فتوح مصر وأخبارها، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٦هـ) ط: الأولى
٢٠- عبدالكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨م) ط: الأولى.
٢١- عمر بن محمد بن عوض السنامي، نصاب الاحتساب، تحقيق ودراسة، د. مريزن سعيد مريزن عسيري، (مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٤٠٦هـ) ط: الأولى.
٢٢- عمر بن محمد بن عوض السنامي، نصاب الاحتساب، تحقيق

ودراسة، د. موئل يوسف عز الدين، (الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ) ط: الأولى.

٢٣- محمد بن أبي بكر بن القيم الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ) ط: الأولى.

٢٤- محمد بن أبي بكر بن القيم، القصيدة النونية، المسماة: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرح وتحقيق محمد خليل هراس، (مصر: دار الفاروق الحديثة).

٢٥- محمد بن جرير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ).

٢٦- محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (بيروت: دار الكتب العلمية).

٢٧- محمد بن مفلح بن محمد، الآداب الشرعية، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٧٧م).

٢٨- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر).

٢٩- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ) ط: الأولى.

٣٠- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٣١- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) ط: الثالثة.

٣٢- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ) ط: الأولى.

٣٣- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٩هـ) ط. الأولى.

٣٤- محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف الجامع الصغير وزيادته، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) ط: الثالثة.

٣٥- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٣٦- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ) ط. الأولى.

٣٧- محمود توفيق محمد سعد، فقه تغيير المنكر، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٥هـ) ط: الأولى.

٣٨- محيي الدين أبو زكريا يحيى النووي صحيح مسلم، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٩- مقبل بن هادي الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النزول، (القاهرة: المكتب السلفي، ١٤٠١هـ) ط: الثانية.

٤٠- يوسف بن عبدالله أبو عمر بن عبد البر، الاستذكار، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م) ط: الأولى.

البحث رقم ٧

الدعـوة بـين الأخـوة

إعداد

د. الجوهرة بنت محمد العمراني

عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والاحتساب

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص بحث

الدعـوة بـين الأخـوة

الأخ له حق الإصلاح والرعاية على أخيه فهو من أهله وذويه ومحبته، والإحسان إليه، والرغبة في إصلاحه من مقتضيات الإيمان بالله تعالى كما ذكر النبي ﷺ فيما روى عنه أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".-وإذا كان هذا في حق الأخ المسلم فأخ النسب أولى – فلا يبلغ المؤمن درجة الإيمان الكامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

والأخوة لا يمكن أن تتحقق بصدق، وتؤتي ثمارها إن لم يكن الأخ محباً لأخيه ملتزماً بما يأمره به من خير ، فيحرص الأخ على أخيه، ويعينه على الخير والعمل الصالح حرصاً على مرضاة الله ﷻ قال ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

وإعانة الأخ لأخيه تتمثل في إرشاده وتوجيهه لطريق الصواب دون تزييف أو تدليس فالمؤمن كما قال ﷺ (المؤمن مرآة لأخيه) يعكس له الصورة الحقيقية فيرى فيه من عيوب نفسه ما لا يراه من نفسه هو. بل إن عليه أن يمنعه عن ارتكاب الباطل إن رآه عليه؛ حيث جاء عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال: تأخذ فوق يديه).

فالأخ عليه واجب الأخذ على يد أخيه، ونهيه عن ظلم نفسه حساً ومعنى مع الاهتمام بإعانته على الحق، وإلزامه به كي تستمر رابطة الأخوة التي أساسها الحق والإيمان الذي يجب على المسلم العمل بمقتضاه قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ففي هذه الآية دلالة صريحة على أن على المرء أن يوالي من قام بالحق، وأن يعادي من لم يقم به وإنْ كانوا من أقرب الناس إليه كالآباء والإخوة مما يؤكد أهمية الدعوة بين المرء وإخوانه فلا تنفع رابطة القرابة مهما قربت إذا انتفت رابطة الإيمان ومن هنا كانت فكرة البحث في موضوع (الدعوة بين الأخوة) ، ومما يؤكد ذلك :

- أن من مقتضيات البر والإحسان للإخوة دعوتهم إلى إصلاح نفوسهم وتقويم أخلاقهم،
- أن للدعوة بين الإخوة أهميتها في قوة بناء البيت المسلم وحصانته.
- أن في الإخوة معانياً كبيرة وكثيرة قد أشارت إليها النصوص القرآنية الشريفة كرفع الهم، وشد العضد، وزيادة القوة ومن هذه النصوص قوله تعالى لموسى (عليه الصلاة السلام): ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ .
- من خلال الدعوة بين الإخوة يتحد الصف داخل البيت، ويعم الأمن والاستقرار النفسي غالبا؛ مما يؤكد أهمية تفعيل الدعوة بين الإخوة.

وصلي اللهم على نبينا محمد
وعلى اله وصحبه أجمعين

مقدمة البحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ أما بعد، ..:

فقد قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1]،

ذكر الإمام القرطبي[2] رحمه الله في تفسيره لهذه الآية أن فيها مسألة واحدة وهي الأمر بوقاية الإنسان نفسه وأهله النار؛ فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله إصلاح الراعي للرعية.[3]

والأخ له حق الإصلاح والرعاية على أخيه فهو من أهله وذويه ومحبته، والإحسان إليه، والرغبة في إصلاحه من مقتضيات الإيمان بالله تعالى كما ذكر النبي ﷺ فيما روى عنه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا يؤمن

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦).

(٢) القرطبي، هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الأندلسي القرطبي، من مؤلفاته كتاب التذكرة بأمور الآخرة، والجامع لأحكام القرآن، توفي رحمه الله سنة (٦٧١هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد(٣٣٥/٥)، ش: دار ابن كثير، بيروت، ط: الأولى، والوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل الصفدي، ش: فرانز شتاير، ط: ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٩: ١٩٤-١٩٥)، الناشر: دار عالم الكتب.

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[1].-وإذا كان هذا في حق الأخ المسلم فأخ النسب أولى – فلا يبلغ المؤمن درجة الإيمان الكامل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير.

والأخوة لا يمكن أن تتحقق بصدق، وتؤتي ثمارها إن لم يكن الأخ محباً لأخيه ملتزماً بما يأمره به من خير[2]،

فيحرص الأخ على أخيه، ويعينه على الخير والعمل الصالح حرصاً على مرضاة الله ﷻ قال ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[3].

وإعانة الأخ لأخيه تتمثل في إرشاده وتوجيهه لطريق الصواب دون تزييف أو تدليس فالمؤمن كما قال ﷺ (المؤمن مرآة لأخيه)[4] يعكس له الصورة الحقيقية فيرى فيه من عيوب نفسه ما لا يراه من نفسه هو[5]. بل إن عليه أن يمنعه عن ارتكاب الباطل إن رآه عليه؛ حيث جاء عن أنس[6] رضي الله عنه قال:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب (٧) من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (٩/١) وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١) كتاب الإيمان من (١٧) باب =الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (٧١) ح (٤٥) (٦٧/١).

(٢) انظر: شرح الإمام النووي على صحيح الإمام مسلم (١٦/٢) .

(٣) انظر: معاني الأخوة ومقاصدها للدكتور محمود محمد بابلي، ص (٤٠) . والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحة: كتاب الذكر باب.فضل الاجتماع على تلاوة القران والذكر (٣٨) ح (٢٦٩٩)،(٢٠٧٤/٣)

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في النصيحة ح: ٤٩١٨(٢١٧/٥).

(٥) انظر: فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، ص ٩٢.

(٦) أنس هو الإمام المفتي أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن عدي بن النجار، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين وروى عنه علماً كثيراً توفي سنة ثلاث وتسعين للهجرة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٧١/١)، ش: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، وأسد =

قال رسول الله ﷺ: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً قال: تأخذ فوق يديه) [1].

فالأخ عليه واجب الأخذ على يد أخيه، ونهيه عن ظلم نفسه حساً ومعنى[2] مع الاهتمام بإعانته على الحق، وإلزامه به كي تستمر رابطة الأخوة التي أساسها الحق والإيمان الذي يجب على المسلم العمل بمقتضاه قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[3]،

ففي هذه الآية دلالة صريحة على أن على المرء أن يوالي من قام بالحق، وأن يعادي من لم يقم به وإنْ كانوا من أقرب الناس إليه كالآباء والإخوة [4] مما يؤكد أهمية الدعوة بين المرء وإخوانه فلا تنفع رابطة القرابة مهما قربت إذا انتفت رابطة الإيمان ومن هنا كانت فكرة البحث في موضوع (الدعوة بين الأخوة) لاسيما وأنني لم أجد من أفرد الدعوة بين الأخوة بمؤلف، أو بحث مستقل رغم أهميتها ضمناً في بعض الدراسات

=

الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (١٢٧/١)، ش: دار إحياء التراث العربي.

انظر: فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، ص ٩٢.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة (١١٨/٥) كتاب الظالم باب "اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً " ح (٢٤٤٤) . أخرجه الإمام البخاري في صحيحة (١١٨/٥) كتاب الظالم باب "اعن أخاك ظالماً أو مظلوماً " ح (٢٤٤٤).

(٢). انظر: فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، ص ٩٢.

(٣). سورة التوبة، الآية (٢٣) .

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (٢١٢/٣-٢١٣)، الناشر، مركز صالح الثقافي بعنيزه، عام ١٤١٢هـ.

المتعلقـة بالـدعوة بـين الأقـارب، أو دعـوة الأهـل، أو الـدعوة داخـل البيـت ونحوها مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع لأهميته وضرورته.

وقد قسمت هذا البحث بعد المقدمة إلى مباحث على النحو التالي:

- المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث.
- المبحث الثاني: أهمية الدعوة بين الأخوة.
- المبحث الثالث: نماذج للدعوة بين الأخوة.
- المبحث الرابع: ضرورة التعاون بين الأخوة لنشر الدعوة.
- المبحث الخامس: ثمار الدعوة بين الأخوة.
- الخاتمة.

المبحث الأول

التعـريف بالأخـوة

التعريف في اللغة:

الأخ أصله أخو بفتح الخاء ؛ لأنه جمع على أخاء مثل: آباء، فيقال في التثنية (أخوان) وفي الجمع يقال: إخوان، أيضاً و (إخوة) بكسر الهمزة، وضمها لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ [1].

والأخت للأنثى والجمع أخوات [2].

والأخ من جمعك وإياه صلب أو بطن أو إياهما معاً، [3]

و أخا فلاناً يأخوه أُخُوة، وإخاءة: اتخذه أخاً.

وأخّى فلاناً: قال له: يا أخي، وتأخيا: صاروا كالأخوين.

والآخيّة: الحرمة والذمة. [4]

التعريف في الاصطلاح:

مدلول الأخوة هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطرفين (الأب والأم) أو من أحدهما (الأب أو الأم)، أو من الرضاع، وهذا الإخاء هو الأخوة في النسب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ

---

(١) سورة النساء، الآية (١١) .

(٢) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، مادة (ا خ و) (٢٩٢/٤) .

(٣) انظر: المعجم الوسيط مادة (ا خ و) ص ٩.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي (٢١٢/٣-٢١٣)، الناشر، مركز صالح الثقافي بعنيزه، عام ١٤١٢هـ .

﴿السُّدُسُ﴾[1]، و (أخ: الأصل أخو، وهو المشارك للآخر في الولادة في الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع)[2].

وتأتي الأخوة بمعنى الأخوة في الدين أو القبيلة أو في صنعة أو معاملة أو في مودة أو في غير ذلك.[3] قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4].

ذكر الإمام ابن حجر[5] – يرحمه الله – أن معنى الأخوة في هذه الآية " التوادد وشمول الدعوة "[6].

ونظرا لكثرة معاني الإخوة فقد ارتأيت أن يكون المعنى المقصود في هذا البحث الإخوة في النسب ذكوراً وإناثاً على حد سواء.

وأعني بهم ما كان يربطهم رابطة النسب كالاجتماع في الصلب أو البطن وهم الإخوة من أب وأم، وكذلك الإخوة لأب أو الإخوة لأم، فيقال: نسبه في بني فلان. هو منهم، والنسبة الصلة والقرابة[7]. وأعني بالدعوة هنا مفهومها الواسع بما في ذلك الاحتساب بدرجاته المختلفة.

---

(١) سورة النساء، الآية (١١).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص (١٣) .

(٣) انظر المرجع السابق، ص (١٣) .

(٤) سورة الحجرات، الآية (١٠) .

(٥) ابن حجر هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعي العسقلاني الأصل المصري المولد. تفرد رحمه الله من بين أهل عصره في علم الحديث، وشهد له بالحفظ والإتقان . من أشهر مؤلفاته فتح الباري شرح صحيح البخاري والإصابة في تمييز الصحابة وتهذيب التهذيب وغيرها، توفي رحمه الله سنة ٨٥٢هـ، انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي، ص (٥٤٧) ش: مكتبة وهبة، ط: الأولى، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للشوكاني (٧/١)، ش: مطبعة السعادة، ط: الأولى.

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١٧/٧) .

(٧) انظر: المعجم الوسيط، مادة (ن س ب)، ص (٩٥٣).

المبحث الثاني

أهمية الدعوة بين الأخْوة

الإخْـوة ثمـرات الوالـدين، وهـم أقـرب الأرحـام، وألـصقهم بـالنفس، وأحـبهم إلى القلـب، وهـم الـذين يقـضي معهـم الإنـسان صـدر حياتـه، أيـام الطفولـة والنمـاء، والـبراءة والنقـاء جنبـا إلى جنـب في البيـت والمدرسـة وعلـى الطعـام والـشراب، وأثنـاء الليـل والنهـار.. لـذلك أكـد النبي ﷺ على أهميـة الإحسان للإخوة فيما رواه كليب بن منفعة عن جده[1] أنه أتى النبي ﷺ فقال:" يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك وأباك، وأختك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذلك حق واجب ورحم موصولة "[2].ومن مقتضيات البر بالأخ والأخت الحرص على وقايتهما من عذاب الله تعالى بأمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر.قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

(١) كليب بن منفعة هو: ابن منفعة الحنفي، روى عن أبيه عن جده ولم يذكر اسم جده هنا، قال ابن أبي خيثمة: لا يعرف اسمه، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣٠٧/٣).

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الأدب (١١٩-١٢٠) باب في بر الوالدين ح(٥١٤٠)، (٣٥١/٥) وأخرجه الإمام الترمذي في سننه كتاب البر باب في بر الوالدين ح: ١٨٩٨ وقال: حديث حسن، وقال الألباني " حديث حسن انظر تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام،للشيخ محمد بن ناصر الألباني ص: ٣٠الناشر المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، وذكره الإمام البخاري في تاريخه الكبير تعليقاً انظر التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم (٢٣٠/٧) الناشر: دار الفكر .

﴿يُؤْمَرُونَ﴾[1].

والوقاية تكون بأمرهم بطاعة الله، ونهيهم عن معصيته[2] وحينما يجتهد أفراد الأسرة بدعوة بعضهم البعض فان البيت المسلم سينعم ببناء قوي أساسه تقوى الله، فحينما يقوم الراعي داخل البيت بواجب الرعاية التي وجه إليها النبي ﷺ بقوله (ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) [3] ينمو لدى الأسرة الشعور بأهمية الاجتماع والتعاون فيما بينهم، ويحرص كل فرد منهم – غالباً – على إعانة الآخر والأخذ بيده بما في ذلك الأخوة بعضهم مع بعض إذ يجدر بهم التعاون على الخير والتواصي به، ويحظى الأخ الأكبر غالبا بالمكانة العظيمة في أسرته لتحمله أعباء الأسرة.

فيكون بمنزلة الأب من حيث الرعاية لأخوته، والإحسان إليهم، وإعانتهم على الخير، وإذا غرس الوالدان في نفس الابن الأكبر العطف والحنان على إخوته الصغار والرعاية لهم، وفي نفس الصغير الاحترام والتقدير للأخ الكبير ؛ فإن الأسرة ستسير سيرا متوازناً يعرف كل فرد منها واجبه نحو الآخر قبل أن يبحث عن حقه عليه [4]. وسيكون – تبعا

---

(١) سورة التحريم الآية(٦) .

(٢) انظر جامع البيان في تفسير القران لأبي جعفر الطبري ١٠٧/١٢

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحة كتاب الجمعة، باب (١١) الجمعة في القرى والمدن (٢١٥/١) وكتاب الاستقراض باب (٢٠) العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه (٨٨/٣) وكتاب العتق باب (١٧) كراهية التطاول على الرقيق (١٢٥/٣) وباب (١٩) العبد راع في مال سيده (١٢٥/٣) وغيره.

(١) انظر: منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور بن عبد الحفيظ سويد، ص (١٦٦) الناشر: مكتبة دار المنار الإسلامية، دار طيبة.

لذلك – لديه شعور بالمسؤولية في القيام بدعوتهم إلى الصراط المستقيم، ومحاولة إعانتهم على التعاون على القيام بأعباء الدعوة، وحثّ الإسلام على رعاية الإخوة والعناية بتقويمهم بما في ذلك الأخوات،

فقدبيَّن النبي ﷺ فضل رعاية الأخوات والإحسان إليهن بقوله: (من عال ابنتين، أو ثلاث بنات، أو أختين، أو ثلاث أخوات حتى يمتن أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين)أشار بإصبعية السبابة والوسطى.[1] ومن أعظم أنواع الرعاية دعوتهن إلى الخير، والعمل على استقامة سلوكهن، وفقه صحابة النبي الكريم ﷺ أهمية الإحسان إلى الإخوة والعناية بهم، وإرشادهم إلى الصواب.

فعن جابر بن عبد الله [2]– رضي الله عنهما – قال: هلك أبي وترك سبع بنات فتزوجت امرأة ثيباً فقال لي رسول الله ﷺ تزوجت يا جابر، فقلت: نعم، فقال: (بكراً أم ثيباً). قلت: بل ثيباً قال: (فهلا جارية تُلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك قال: فقلت له: إن عبد الله[3] هلك وترك بنات وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن فقال: (بارك الله لك) أو خيراً [4] .

---

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٤٧/٣–١٤٨) والإمام ابن حبان ح(٢٠٤٥) بإسناد صحيح على شرط الشيخين. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (٢٩٦) (٥٢٩/١).

(٣) هو أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن جابر بن عبد الله الأنصاري الخزرجي السلمي من الصحابة المكثرين من رواية الأحاديث توفي سنة ٧٨هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٨٩/٣) .

(٣) عبد الله: يعني والده والد جابر ﷺ . اسمه عبد الله بن ثعلبة بن حرام صحابي جليل أحد النقباء ليلة العقبة ﷺ، انظر المرجع السابق (٣٢٤/١) .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب البيوع، باب (٣٤) شراء الدواب والحمير (٣، ١٥)، وكتاب الاستقراض باب (١٨) الشفاعة في وضع الدين (٨٦/٣).

=

فجابر ﷺ اختار أن يتزوج من الثيب لتعينه على تربية أخواته وتصلحهن[1] فأقر النبي ﷺ فعله ودعا له بقوله ﷺ: (بارك الله لك) وفي رواية أنه ﷺ قال له: (أصبت) [2] وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أهمية الاعتناء بالأخوات وتقويمهن وإرشادهن إلى الطريق السوي.

مما يؤكد أهمية الدعوة بين الأخوة ومشروعيتها ، جاء عن عقبة ابن عامر الجهني [3] ﷺ قال: نَذَرتْ أختي أن تمشي حافية إلى البيت غير مختمرة فسألت النبي ﷺ فقال: (مُرْ أختك أن تختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام) [4] وفي رواية أنه ﷺ قال: (اذهب إلى أختك فقل لها تركب وتتقنع)[5].

يؤكد النبي ﷺ من خلال هذا الحديث على أهمية الدعوة بين الأخوة فجاء في الرواية الأولى (مُر أختك) وفي الثانية (اذهب إلى أختك) فعلى الأخوة القيام بهذا الأمر العظيم بينهم، وعدم إغفاله ونحن في هذا العصر نحتاج إلى إحياء هذا الجانب في نفس الأخوة بعضهم مع بعض لا سيما وأنه يلحظ في بعض البيوت إغفال دور الأخ أو تجاهله من حيث الإصلاح والتقويم لما يراه من خلل أو قصور على إخوته ذكوراً وإناثاً. فبعض الدعاة،

=

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧) كتاب الرضاع (١٥) باب استحباب نكاح ذات الدين (٥٤) ح (٧١٥) ٢/ (١٠٨٧) .

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري (٢٥/٩) .

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (١٨)، (٣١/٥).

(٣) هو ابن عبس بن عمرو بن عدي الجهني، له صحبة روى عن النبي ﷺ كثيراً . مات ﷺ في خلافة معاوية انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٤٨٩/٢) .

(٤) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٨) كتاب النذور والإيمان باب(١٧) ح (١٥٤٤) (١١٦/٤) قال أبو عيسى حديث حسن.

(٥) هذه الرواية في مسند الإمام لروياني، ح (٢٥٥)، (١٩٢/١)

يبذل دعوته للآخرين، ويغفل عن عشيرته الأقربين وبخاصة في هذا العصر، وربما دخل في ذلك شيء من حظوظ النفس كطلب السمعة والذكر بين الأقران أو لربما ،كان الداعية حريصاً على دعوة أقاربه من أب أو أم أو أخ أو أخت ونحوهم، ولكنه قد يحتار في الوسيلة والأسلوب الذي يسلكه معهم وربما يكون الخوف أو الحياء مانعاً من دعوته إياهم [1].

كما ينعدم في بعض البيوت الدور الفاعل للأخت تجاه إخوتها وانشغالها مع قريناتها ، وكأن الدعوة والإرشاد للغريب دون القريب.

عليه يلزم التأكيد على إحياء الدور الدعوي المتبادل بين الأخوة داخل البيت وخارجه، فالدعوة إلى الله تعالى دعوة إسلامية عامة وشاملة للصغير والكبير القريب والبعيد. كما يتأكد أهمية مراعاة الأساليب الدعوية الملائمة لدعوة الأخوة كل بحسبه صغيراً كان أم كبيراً.

(١) انظر دعوة الأقربين: ص: (٤٧٢)

المبحث الثالث

نماذج للدعوة بين الأخوة

١- دعوة موسى [١] عليه السلام لأخيه هارون [٢] عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٣].

نبي الله موسى – عليه السلام – دعا أخاه عليه الصلاة و السلام إلى الصلاح وعدم إتباع طريق العصاة واختار لذلك عبارات موجزة واسعة المعنى [وأصلح] وكانت دعوته له –عليهما الصلاة والسلام–دعوة صريحة سلك موسى عليه الصلاة و السلام فيها مسلك التوجيه المباشر حيث نصحه مباشرة وجمعت هذه النصيحة بين الأمر والنهي فالأمر بقوله لأخيه: [وأصلح] والنهي بقوله لأخيه: [ولا تتبع سبيل المفسدين] أي الذين يعملون المعاصي. [٤]

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ◆ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ

---

(١) موسى عليه السلام هو أحد أنبياء الله اسمه موسى بن عمران بن يصهر بنت فاهت من سبط لاوي ابن يعقوب ولد بأرض مصر وهو من أولي العزم من الرسل مات في الأرض المقدسة، انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٩٨/١)، ش: دار المعارف، ط: الثالثة.

(٢) هارون عليه السلام هو نبي الله هارون بن عمران ولد قبل موسى عليهما الصلاة والسلام بسنة، انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٣٠/١)، ش دار الكتب العلمية، ط: الأولى.

(٣) سورة الأعراف الآية (١٤٢) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٧٧/٧ ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٧/٣) .

(٢) سورة طه الآية:٩٢

أَمْرِي﴾ [٢].

إنكار موسى عليه السلام على أخيه هارون ما رآه من ضلال قومه وزجره بالقول [ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني] ما منعك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك لهم زاجرة لفعلهم. [١]

ثم قال موسى منكراً على هارون عليه السلام [أفعصيت أمري] بالصلابة في الدين والمحامات عليه واشتد غضبه بما رآه من جراءة قومه على عبادة العجل في غيبته عنهم فأخذ بشعر رأس أخيه ولحيته عليه السلام فقال له هارون عليه السلام: ﴿يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ ثم بين له سلامة موقفه، وصفاء عقيدته له. وذكر تعليلاً لموقفه بكل رفق. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ فعلى الرغم من أن نبي الله هارون أكبر سناً من أخيه موسى عليه السلام إلا أنه راعى جانب غضب موسى لله تعالى فتأدب معه في الحديث، وذكر له سبب بقائه مع قومه خشية أن يحدث فيهم الفرقة والشقاق.

وهذه الدعوة الموجهة إلى نبي من أنبياء الله إنما هي من باب التنبيه والتذكير، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهته ومكانته – صلوات الله وسلامه عليه – وسائر الأنبياء [٢] وعلى هذا الأساس فإن الأتقياء والصالحين من الناس عامة، ومن الإخوة خاصة بحاجة إلى التذكير والتنبيه اقتداء بذلك الموقف الدعوي بين موسى وهارون عليهما السلام كما أننا بحاجة إلى الاقتداء بهذا الأدب العظيم من الأخ

---

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣٧/٣.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٤٤/٢)، ش: دار الفكر ١٤٠٠هـ، ط: الأولى .

المدعو مع أخيه الداعية وإن كان أصغر منه سناً.

ومما يجدر التنبيه إليه هنا أنه مهما بلغت درجة صلاح الأخ فليست مغنية عن توجيه الخطاب الدعوي إليه حسب ما يقتضيه الحال [1].

وقد يُبْتلى الأخ بأخ يسيء لنفسه بارتكاب المعاصي مما يستلزم مبادرة أخيه إلى تذكيره للعودة إلى طريق الحق والصواب، وتبصيره بالحق، وتحذيره من الباطل.

٢- موقف النبي ﷺ من أخته:

من المتفق عليه إن النبي ﷺ بعث إلى الناس كافة [2]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [3]، فدعوته شاملة وعامة للرجال والنساء على حد سواء وفي معرض حديثي عن الدعوة بين الإخوة أورد هنا نموذجاً لحرص النبي ﷺ على دعوة أخته – رضي الله عنها – وبيان الحق لها فقد ذكر الحافظ بن عبد البر [4] أنه غارت خيل رسول الله ﷺ على هوازن [5]، وأخذوها فيمن أخذوا من السبي فقالت لهم: أنا أخت صاحبكم، فلما قدموا بها على

---

(١) انظر: دعوة الأقربين في القرآن الكريم للدكتور سليمان بن قاسم العيد مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد (٥٤)، ص (٥١٤، ٥١٥) .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢٤٤/٢) .

(٣) سورة الأعراف الآية (١٥) .

(٤) هو الإمام العلامة حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، القرطبي الأندلسي، صاحب التصانيف الفائقة، توفي رحمه الله سنة (٤٦٣هـ)، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣١٥/٣) .

(٥) هوازن: قبيلة معروفة مشهورة من أكبر قبائل العرب.

رسول الله ﷺ قالت له: يا محمد أنا أختك، وعرَّفته بعلامة عرفها فرحب بها، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، ودمعت عيناه وقال: (إن أجبت فأقيمي عندي مكرَّمة مُحببة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك أوصلتك فقالت: بل أرجع إلى قومي) فأسلمت فأعطاها رسول الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء)[1].

ومن خلال موقف النبي ﷺ هنا يتبين أن الأخت تتمتع غالباً لدى أخيها بمنزلة خاصة وما كان ترحيب النبي ﷺ بأخته من الرضاعة وبسطه رداءه لها إلا تعبيراً لتلك المنزلة [2] وتتويجا لتلك المودة والمحبة عرض عليها النبي ﷺ الدعوة حين دعاها الإسلام بقوله: (إن أجبتِ) فأسلمت – رضي الله عنها – واختارت العودة إلى أهلها فأكرمها بما أعطاها إياه تقديراً لمنزلتها عنده ﷺ.

٣- عبد الرحمن بن أبي بكر [3] رضي الله عنهما وأخته عائشة[4] في رحلة الحج:

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: يا رسول الله: أيرجع الناس بأجرين

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨٧٠– ١٨٧١) وهذا الاثر ذكره ابن حجر في الفتح انظر كتاب السيرة الحلبي(ة ١/ ١٧٠).

(٢) انظر: مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص (٢٠–٢١) .

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر عبد الله بن عثمان بن أبي قحافة كان اسمه ﷺ عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ . تأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحسن إسلامه توفي ﷺ سنة ٥٣هـ وقيل غير ذلك، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (٢/ ٤٠٧) ش: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

(٤) هي ابنة أبي بكر الصديق ﷺ – أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت أحاديث عديدة عن النبي ﷺ وروى عنها جمع من الصحابة والتابعين توفيت رضي الله عنها سنة ٥٧هـ وقيل سنة ٥٨هـ . انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة (٥/ ٥٠١) .

وأرجع بأجر؟ فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن ينطلق بها إلى التنعيم [1] قالت: فأردفني خلفه على جمل له، قالت: فجعلتُ أرفع خماري أحسره [2] عن عنقي فيضرب رجلي بعِلة [3] الراحلة، قلتُ له: وهل ترى من أحد ؟! قالت: فأهللتُ بعمرة ثم أقبلنا حتى انتهينا إلى رسول الله ﷺ وهو بالحصبة[4].

ومن خلال هذا الموقف بين عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وأخته عائشة – رضي الله عنهما – يتبين قيام كل منهما بتوجيه الآخر فعبد الرحمن ﷺ حينما رأى ما ظنه منكراً أنكر عملياً على أخته فعلها حينما رفعت الخمار عن وجهها، أما عائشة – رضي الله عنها – لفقهها في أحكام الحج فقد كانت مُحْرِمة وحينما لم تَرَ أحداً كشفت عن وجهها ولما أنكر عليها أخوها هذا الفعل كان أدبها في الحديث معه بالاستفهام عن إن كان هناك أحد يراها !! فالمحرمة تكشف عن وجهها عند عدم وجود الرجال الأجانب عنها.

وفيما مر يتضح تكريم الإسلام للمرأة بأن حظيت بالرعاية والاهتمام بكون الأخ محرماً لها، وفيه درسٌ عظيمٌ للدعاة إلى الله تعالى حيث ضربت عائشة – رضي الله عنها – مع أخيها نموذجاً عظيماً في التناصح وتدارس العلم بين الأخوة.

---

(١) التنعيم: موضع بمكة المكرمة، انظر: معجم البلدان (٤٩/٢) .

(٢) أحسره: أي أكشفه وأزيله: انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (حسر) (٣٨٣/١).

(٣) عِلة: عِلة الراحلة بسببها فيُظهر أنه يضرب جنب البعير برحلة وإنما يضرب رجلي / انظر: المرجع السابق مادة (علل) (٢٩١/٣) .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب العمرة باب (٦) عمرة التنعيم (٢٠٠/٢)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥) كتاب الحج (١٧) باب بيان وجوه الإحرام (١١٢) (٨٧٠/١) و(١٣٤)ح:١٢١٢، ٨٨٠/١ واللفظ له.

٤- سفانة بنت حاتم الطائي [١] تدعو أخاها للإسلام:

ذكـر ابـن إسـحاق [٢] أن عـدي بـن حـاتم [٣] كـان يقـول: مـا رجـل مـن العرب كان أشد كراهة لرسول الله ﷺ حين سمع به مني، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وكنت أسير في قومي بالمرباع [٤]، وكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبالك، أعدد لي من إبلي أَجمالاً ذللاً سماناً، فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذني، ففعل، ثم أنه أتاني ذات غداة فقالت: يا عدي ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن، فأني قد رأيت رايات، فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمد.

قال: قلت: فقرب إلي أجمالي، فقربها، فاحتملت بأهلي وولدي، ثم قلت الحق بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الحوشية [٥]، وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها، وتخالفني خيل رسول

---

(١) سفانة بنت حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس ... بن طيء أبوها حاتم الجواد الموصوف بالجود وهي من فضليات النساء ومن أجود النساء أسلمت فحسن إسلامها رضي الله عنها، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، ص (١٨٣٦) .

(٢) ابن إسحاق هو: أبو عبد الله محمد بن إسحاق يعتبر أول مؤرخ عربي كتب سيرة رسول الله ﷺ قضى معظم حياته في المدينة توفي رحمه الله سنة (١٥١هـ) انظر: سيرة ابن إسحاق في مقدمة السيرة النبوية لابن هشام ش: مكتبة الرياض.

(٣) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، صحابي شهير كان ممن ثبت في الردة، حضر فتوح العراق وحروب علي، مات سنة ٦٨هـ .

(٤) المرباع: هي النوق التي تلد في أول النتاج وقيل هي التي تبكر في الحمل، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٨٩/٢) .

(٥) الحوشية: الحوشي: رجل بالدهناء، انظر: معجم البلدان.

الله ﷺ فتصيبت ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربي إلى الشام.

قال: فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس بها، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة.

فقالت: يا رسول الله هلك الولد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك.

قال: (ومن وافدك ؟)

قال: عدي بن حاتم.

قال: (الفار من الله ورسوله)،

قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان الغد مرَّ بي فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس.

قالت: حتى إذا كان بعد الغد مَرَّ بي، وقد يئست فأشار إليّ رجل خلفه أن قومي فكلميه.

قالت: فقمت إليه فقلت: يا رسول الله هلك الولد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك.

فقال ﷺ: (قد فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني).

فسألت عن الرجل الذي أشار إلى أن كلميه فقيل لي: علي بن أبي طالب [1].

---

(١) هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ولد قبل البعثة بعشر سنين تربى في حجر النبي ﷺ وروى عنه كثيراً من الأحاديث انظر الإصابة في تمييز الصحابة (٥٠٧/٢).

قالت: فقمت حتى قدم من بلي أو قضاعة [1] قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عدي: فو الله إني لقاعد في أهلي، فنظرت إلى ظعينة تصوب إلى قومنا، قال: فقلت، ابنة حاتم قال: فإذا هي هي، فلما وقفت علي استحلت تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك.

قال: قلت: أي أخيه لا تقولي إلا خيراً فو الله مالي من عذر لقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت فأقامت عندي.

فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تزل في عز اليمن وأنت أنت.

قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال: (من الرجل ؟).

فقلت: عدي بن حاتم فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته، فو الله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك،

---

(١) قضاعة: قبيلة عربية تضم أشهر قبائل العرب لها عريقة في تاريخ العرب.

قال: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً فقذفها إليَّ.

فقال: (اجلس على هذه).

قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها.

قال: بل أنت.

فجلست وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.

قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال: (إيه يا عدي بن حاتم ألم تك ركوسياً).

قال: قلت بلى !

قال: (أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ؟).

قال: قلت: بلى.

قال: (فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك).

قال: قلت: أجل ! والله.

قال: (وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل).

ثم قال: (لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه إنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من

أرض بابل [1] قد فتحت عليهم).

قال: فأسلمت.

قال: فكان عدي يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه. [2]

فسفانة ابنة حاتم الطائي حينما رجعت إلى أخيها أنكرت عليه ابتداءً تركه لها بقوله: [القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك)، ثم أرشدته إلى سرعة الاستجابة لدعوة النبي ﷺ بقولها: أرى والله أن تلحق به سريعاً ثم بينت له فضل ذلك بقولها لأخيها: فإن يكن الرجل نيباً فللسابق إليه فضله فأخذ عدي برأيها فأتى النبي ﷺ وأخبره بإسلامه.

٥- موقف عبد الله بن رواحه [3] من بكاء أخته عليه:

عن النعمان بن بشير [4]- رضي الله عنهما - قال: أغمي على عبد الله بن رواحه فجعلت أخته عمره [5] تبكي، واجبلاه، وكذا ، وكذا - تعدد

---

(١) بابل: مدينة عراقية عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٧٧/٥)، والسيرة النبوية لابن هشام (١٦٦/٤-١٦٧).

(٣) عبد الله بن رواحه هو: ابن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة أبو عمرو الأنصاري الخزرجى البدري صحابي جليل روى عدداً من الأحاديث عن النبي ﷺ استشهد في غزوة مؤتة ﷺ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٣٠/١) ش: مؤسسة الرسالة، ط: السابعة.

(٤) النعمان: هو ابن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي له ولأبيه صحبة - رضي الله عنهما - توفي سنة (٦٥هـ) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥٥٩/٣) .

(٥) عمره هي ابنة رواحه بن ثعلبة الأنصارية زوجة الصحابي بشير بن سعد والد النعمان بن بشير رضي =

عليه –فقال حين أفاق: ما قلتِ شيـئاً إلا قيل لي: أنت كذلك[1].

فعبد الله بن رواحه ﷺ أنكر على أخته فعلها ونهاها عن الاسترسال في الندب والبكاء ورفع الصوت [2] عليه، فما كان منها رضي الله عنها إلا الاستجابة وترك ما نهاها أخوها عنه حيث جاء عن النعمان بن بشير – رضي الله عنهما – أنه قال: أغمي على عبد الله بن رواحه، .. إلى أن قال: فلما مات لم تبكِ عليه [3].

=

الله عنهما، انظر: المرجع السابق (٣٦٦/٤) .

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (٤٤) غزوة مؤتة من أرض الشام (٨٨/٥).

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري (٥٩٠/٧) .

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (٤٤) غزوة مؤتة من أرض الشام (٨٨/٥) .

المبحث الرابع

ضرورة التعاون بين الأخوة لنشر الدعوة

الدعوة إلى الله تعالى لم تعد مقتصرة على المحاضرات والخطب وإنما – بالإضافة إلى ذلك – تنشد الارتقاء بمستوى الفرد والمجتمع لتحقيق البناء السليم، وتكوين المجتمع المتآلف القائم بالعبادات الصحيحة، والمتصف بالأخلاق الكريمة التي تبعده عن ارتكاب الأخطاء والمعاصي تحقيقا لضرورة التعاون بين الدعاة، وجميع المسلمين ؛ لإيجاد إستراتيجية جيده لضمان نجاح الدعوة الإسلامية، واستمرارها وتخطيها لبعض تحديات الدعوة المعاصرة، وإن اختلفت الأساليب والوسائل بين الدعاة.

ولعل أولى الخطوات التي يجب أن يهتم بها الداعية – بعد الاستعانة بالله تعالى – هي الإفادة من إخوته، وتفعيل دورهم، واستقطاب طاقاتهم؛ للمساهمة في بناء الأسرة أولاً وبناء المجتمع ثانياً.

وللأخ دوره الفاعل إذا أحسن الداعية الاستفادة منه وتفعليه فالداعية يبدأ بنفسه، وبأهل بيته، ويحرص على التعاون معهم لاستمرار زرع الخير ولتحقيق الحصانة لأهل بيته لا سيما وأن وقاية الأهل، ودفعهم للخير ضرورة أمر الله بها ؛ لوقايتهم من عذاب الله تعالى –كما مر بنا– قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [1].

ولا ينحصر أمر التعاون على مراقبة أهل البيت، وإعانتهم على الخير،

---

(١) سورة التحريم، الآية (٦) .

ومنعهم من الشر وإنما يجد الداعية ثمرة التعاون والمؤازرة إذا استعان بأخيه في مهام الدعوة إلى الله تعالى في سائر الأماكن.

وإذا تأملنا في دعوة نبي الله موسى عليه السلام نجد أنموذجاً حسياً في الاستفادة من الأخ في الدعوة إلى الله تعالى، والتعاون معه لبيان الحق والإرشاد إليه.

يقول تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ◆ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي◆ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ◆ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي◆ يَفْقَهُوا قَوْلِي◆ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ◆ هَارُونَ أَخِي ◆ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ◆ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي◆ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا◆ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا◆ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾[1].

فحينما أمر الله ﷻ النبي موسى عليه السلام بأن يذهب إلى دعوة فرعون نجد أن موسى عليه السلام دعا الله ﷻ وطلب الإعانة بأخيه لتبليغ الرسالة. ولتقوى به نفسه [2] وجاء أمر الله تعالى لموسى وأخيه هارون – عليهما السلام – ليقوما بأمر الرسالة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا◆ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾[3]، فالخطاب الإلهي في هذه الآية لموسى وأخيه [4] عليهما السلام.

فتعاون موسى مع أخيه هارون – عليهما السلام – وبلغا ما أمرهما الله به.

---

(١) سورة طه، الآيات (٢٤–٣٥) .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (ح ١٩٢/١١–١٩٣) .

(٣) سورة طه، الآيات (٣٥–٣٦) .

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن ج (٣٠/١٣) .

وقد أثار هذا غضب فرعون وقومه فذكر الله تعالى أنهم اتهموا موسى وهارون – عليهما السلام – بالسحر قال تعالى: ﴿ سِحْرَانِ تَظَاهَرَا ﴾[1][2] قالوا سحران بدلاً عن ساحران لشدة التأكيد، ومعنى تظاهرا أي تعاونا مما يدل على استنكارهم لهذا التعاون والتآزر بين الأخوين والذي كان له أثره العظيم في قيامهما بالدعوة.

وحين يتعاون الأخ مع أخيه فيوحدا جهودهما في الدعوة ؛ تعظم الثمار، وتكون النتائج مضاعفة بإذن الله ولما كانت الإخوة ذات تأثير في تحقيق الأهداف الكبيرة أولى نبي الأمة ﷺ هذا الأمر كل اهتمام فأقام المجتمع بعد الهجرة إلى المدينة على دعائم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مما أزال الفرقة بين النفوس، ووحد الكلمة بين القلوب يقول تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3] وانعكس ذلك على تمكين الدعوة في المجتمع الجديد.

فأنعم الله تعالى عليهم بالدين الذي جمع كلمتهم، وألف بين قلوبهم وجعلهم إخواناً بسبب ما قذفه الله في قلوبهم من الألفة والمحبة.

وأثمرت المؤاخاة بين الصحابة ﷺ الألفة بينهم وهذه الألفة تعد إحدى القواعد المهمة التي يصلح بها حال الإنسان ذلك أن المرء إذا كان آلفاً

---

(١) سورة القصص، الآية (٤٨).

(٢) انظر: جامع البيان في تفسير القرآن (١٠/٥٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

مألوفاً انتصر بالألفة على أعاديه، وامتنع من حاسديه، فسلمت نعمته منهم.[1]

وإذا كان للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار أثرها في إمداد الدعوة الإسلامية وانتشارها فإنه حريّ بأفراد المجتمع اليوم تقوية رابطة الأخوة بين المؤمنين أولاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[2]. مع الحرص على القضاء على ما يعتري العلاقات الاجتماعية من منغصات قد تؤثر على سير الدعوة.

إلا أن مما يؤسف له أننا نرى التقاطع والتباغض بين الإخوة الدعاة فترى كلا يعمل بمعزل عن أخيه ؛ فتتبعثر الجهود، وتختلف الآراء، ويترتب على ذلك فوات مصالح كبيرة، فان تحقيق الألفة والمودة في البيوت مقصد شرعي مما يؤكد وجوب إصلاح العلاقات بين الإخوة وتحقيق الاجتماع على القيام بواجب الدعوة،

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٠٥/١١) .

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين (للماوردي) ص (١٤٨) .

المبحث الخامس

ثمار الدعـوة بيـن الإخـوة

أولاً: الاقتداء بدعوة النبي ﷺ:

ويكـون ذلـك بـان يبـدأ الداعيـة ببره وخيره بأقاربـه الـذين هـم إخوانـه وهذا مأخوذ من فعل النبي ﷺ حينما بدأ دعوته بأقاربه امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1].

ثانياً: تحقيق شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل البيت:

فحينمـا يقـوم الأخ بـدعوة إخوتـه فإنـه سيـساهم في إحيـاء هـذه الـشعيرة داخل بيته وبين إخوته.

ثالثاً: القيام بالدعوة من أسباب الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة:

وقيام الأخ بالدعوة بين إخوته يثمر فوزه وفلاحه يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

فالداعيـة إلى الله حينمـا يوجـه الـدعوة إلى إخوتـه فإنـه يظهـر أنموذجـاً للحرص على فلاح أخيه، وجلب الخير له.

رابعاً: القوة والمنعة ووحدة الصف:

فممـا لا شـك فيـه أن الوحـدة والتكـاتف تحقـق القـوة والمنعـة وحينمـا نتأمل دعوة النبي موسى عليه السلام نجد أنه استعان بأخيه في الدعوة قال

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

تعالى: مخاطباً موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [1].

فمعنى قوله تعالى: سنشد عضدك سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور [2].

وحينما يتعاون الأخ مع أخيه للقيام بالدعوة ففي ذلك القوة والمنعة بإذن الله تعالى.

خامساً: الطمأنينة والاستقرار داخل البيت:

فالبيت حينما يقوم على تقوى من الله تعالى فسيعمه الأمن النفسي، والاستقرار لوجود الحصانة الذاتية بين أفراده بل إن هذا الاستقرار سيمتد نفعه إلى المجتمع.

سادساً: قوة المجتمع وتماسكه:

لقد حققت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ثماراً يانعة وكان لها دورها العظيم في وحدة الصف، وقوة المجتمع المسلم في عهد النبي ﷺ فواجه الصحابة – رضوان الله عليهم – حينما آخى بينهم النبي ﷺ أكبر التحديات، وحينما يتكاتف الأخوة، وتتوحد كلمتهم يكونون صفاً واحداً قائمين بالدعوة داخل البيت وخارجه فإن ذلك سيساهم في المحافظة على قوة المجتمع.

سابعاً: ظهور المثل الأعلى والقدوة الصالحة في المجتمع:

مما لا شك فيه أن حب الأخ لأخيه، وتآزره معه في الدعوة، وفعل الخير

---

(١) سورة القصص، الآية (٣٥).

(٢) انظر: تفسير أبي السعود، (١٣/٤).

سـيظهر للمجتمـع المبـادئ العظيمـة للإسـلام وبنـاءه العلاقـة بـين الأخـوة، وتعـاونهم علـى الخـير، وإذا رأى غـير المـسلمين هـذه القـوة وتلـك الأخـوة المتلاحمـة فـإن هـذا سـيدفعهم للنظـر في هـذا الـدين الـذي ألـف ووحـد بـين القلوب، وسـيرون الـصورة المشرقة، والمثل العليـا الـتي مـن المنتظـر إخراجهـا للمجتمـع مـن جميـع الأفـراد لإزالـة مـا هـو عـالق بأذهـان الأعـداء عـن بعـض المسلمين، وما هم عليه من الخلافات.

وخلاصـة الثمـار ! أنـه كلمـا نمـت وترعرعـت العلاقـة بـين الأخ وأخيـه وتكاتفـا في الـدعوة إلى الله تعـالى ؛ فـإن العمـل للإسـلام سـينمو ويزدهـر، وستجنى الثمار الطيبة للبناء الأخوي الذي يسير وفق (أدب الأخوة) مترجماً في تناصح وتكافل وتحاب يجمع القلوب، ويعمها التحالم – إن لم يكن الحلم – مثلما يعلمها المكافأة والوفاء، والشكر عند إسراع المبادر. [1]

(١) انظر: فقه الأخوة لمحمد أحمد الراشد (٢/١) .

الخاتمـــة

أحمد الله ﷻ وأثني عليه ثناءً حسناً لتوفيقه وإعانته، وأصلي وأسلم على النبي المصطفى الذي دعا فألف وآخى ووحد الكلمة ﷺ تسليماً كثيراً. أما بعد:

فقد أتمت الباحثة بحمد الله تعالى كتابة هذا البحث عن (الدعوة بين الأخوة) والذي توصلت من خلاله لعدد من النتائج ومنها:

- إن من مقتضيات البر والإحسان للإخوة دعوتهم إلى إصلاح نفوسهم وتقويم أخلاقهم،
- إن للدعوة بين الإخوة أهميتها في قوة بناء البيت المسلم وحصانته.
- إن في الإخوة معانياً كبيرة وكثيرة قد أشارت إليها النصوص القرآنية الشريفة كرفع الهم، وشد العضد، وزيادة القوة ومن هذه النصوص قوله تعالى لموسى (عليه الصلاة السلام): ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (سورة القصص: ٣٥).
- من خلال الدعوة بين الإخوة يتحد الصف داخل البيت، ويعم الأمن والاستقرار النفسي غالبا؛ مما يؤكد أهمية تفعيل الدعوة بين الإخوة،
- وفي خاتمة هذا البحث تضع الباحثة بعض التوصيات والمقترحات والتي أسأل الله تعالى أن ينفع بها ومنها:

١- ضرورة مبادرة الوالدين للبدء منذ الصغر في مزاولة الدعوة داخل البيت، وحث الأبناء عليها.

٢- إزالة الفروق والخلافات الأسرية،

٣- دعم الدعوة ومن يقوم بها، وتذليل العقبات التى تواجهها.

٤- مبادرة الوالدين أو أحدهما لتخصيص درس يومي أو أسبوعي يجمع الأسرة ويوضح لها الأحكام والآداب.

٥- التأكيد على استمرار الدعوة بمختلف، الأساليب والوسائل والتخطيط لها.

ولنتذكر جميعاً أن الدعوة بين الأخوة خاصة، والأقارب عامة تأخذ طابع اليسر والسهولة ؛ لسرعة الوصول إلى الأقارب، والالتقاء بهم، وعدم التكلف، معهم. مما يعني ضرورة القيام بها، لاسيما في هذا العصر الذي يلحظ فيه التفكك الأسري، والفرقة بين الأخوة عند بعض الأسر.

ختاماً أسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا، وأن ينعم علينا بالتوفيق للقيام بأمر الدعوة إليه في أسرنا، ومجتمعنا وأينما كنا.

وعلى اله وصحبه أجمعين، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المسوح الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

المراجـــع

١- القران الكريم

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٢٨هـ.

٥- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، الناشر: دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد الشوكاني، الناشر: مطبعة السعادة بمصر، الطبعة: الأولى ١٣٤٨هـ.

٧- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

٨- تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، علي بن محمود بن سعود الخزاعي أبو الحسن، تحقيق: د. إحسان عباس الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

٩- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، الناشر: دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

١٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي، الناشر: مركز صالح الثقافي بعنيزة، عام ١٤١٢هـ.

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الناشر: دار الريان للتراث، ودار الحديث بالقاهرة، الطبعة ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

١٢- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الناشر: دار عالم الكتب.

١٣- سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م.

١٤- السيرة النبوية لابن هشام، الناشر: المطبعة الفنية للطبع والنشر والتجليد العباسية، بمصر.

١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

١٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله البخاري، الناشر: دار الدعوة ودار سحنون بتونس، الطبعة الثانية.

١٧- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، الناشر: دار الدعوة، ودار سحنون بتونس، الطبعة: الثانية.

١٨- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار الفكر، الطبعة، ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

١٩- طبقات الحفاظ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي بن محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م.

٢٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، الناشر:

السلفية، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٢١- فقه الأخوة في الإسلام للدكتور: علي عبد الحليم محمود، الناشر: دار التوزيع والنشر، القاهرة، الطبعة ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٢٢- فقه الأخوة لمحمد أحمد الراشد.

٢٣- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الناشر: دار الجيل، بيروت.

٢٤- الكامل في التاريخ، للإمام محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

٢٥- لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الناشر: دار صادر بيروت.

٢٦- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الرابع والخمسون، ربيع الآخر، ١٤٢٧هـ.

٢٧- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة للثقافة الإسلامية، سنة الطبع ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٨- مسؤولية النساء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للدكتور فضل إلهي، الناشر: إدارة ترجمان إسلام باكستان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٩- معاني الأخوة ومقاصدها للدكتور محمود محمد بابلي، ط ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣٠- معجم البلدان، الإمام شهاب أبو عبد الله ياقوت الحموي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.
٣١- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، لفيفٌ من المستشرقين، نشره الدكتور: أبي ونسنك، الناشر: دار الدعوة، استانبول، سنة ١٩٨٦م.
٣٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار الحديث، خلف جامع الأزهر، ودار الرياض للتراث، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.
٣٣- المعجم الوسيط، للدكتور: إبراهيم أنيس (وجماعة) الناشر: دار الفكر.
٣٤- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني تحقيق: محمد السيد الكيلاني، الناشر: شركة البابي الحلبي بمصر سنة الطبع ١٣٨١هـ /١٩٦١م.
٣٥- منهج التربية النبوية للطفل، لمحمد نور بن عبد الحفيظ سويد، الناشر: مكتبة دار المنار الإسلامية، الكويت، ودار طيبة بمكة المكرمة، الطبعة: الرابعة، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.
٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير) الناشر: المكتبة العلمية، بيروت.
٣٧- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل الصفدي، الناشر: فرانز شتاير، الطبعة: ١٣٩٤هـ /١٩٧٤م.

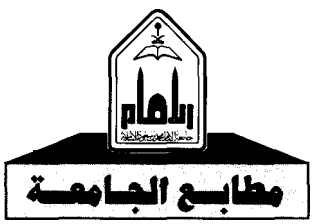

https://dawa.center
المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١. تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه .

٢. تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية .

٣. تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية .

٤. تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية .

٥. تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها .

المملكة العربية السعودية
ص.ب ٤٨٤٧ الرياض ١١٤١٢
هاتف - فاكس: ٢٥٨٥١٣٢
www.dawastud.org

مطابع الجامعة

ردمد : ٣٨٨٤ - ١٦٥٨